الياس الفاضل

الأعمال الكاملة



الياس الفاضل

الأعمال الكاملة

دمشق - الشام

أوراق جريحة

الإهـــــــداء

الى....

فاتنتي السمراء..

الى صباح عينيها الذي ينشر الأحلام على ربوعي..

ويغمر قلبي بالفرح والغبطة والأغاني..

الياس

أغنية للقلق

حياتي ضياع وغربة وتشرّد..

ويومي يرتمي قتيلا في المقاهي البليدة

المركّزة في قعر العدم

كيوم عاهرة تعلك قلبها في ملل...

أنا عين لي على القمر وعين تغرق في الوحل

وأمضي الى ما لست أدري

حاملا تمرّدي معي

يمزّق القلق روحي وينتّف مهجتي

أنت لا كنت يا قلق..

يا موسم الشكوك والوحشة والفراغ..

وبيدر الغصات والآهات والأحزان

أنت يا قلق

يا دروب الضياع والغربة والتشرّد..

* * *

يا ليتني حوذي ينحر أوقاته على ضفاف بردى الخالد

مستمعاً بلذّة الى غناء النهر العذب الجميل..

وله صاحبة تنتظر عودته في آخر الليل

لتعطيه دفئها وحبها وحنانها...

يا ليتني نسمة في حديقة الله

لا تمر على دنيا إلا لتبرعمها...

وتتركها ربيعاً أخضر بعمر الأزل...

يا ليت لي جناح غيمة

وقلب حمامة

وعش سنونو...

ضيـاع

أنا والليل وقلبي والآخرون على الدرب

نتسكع كنسمة شرقية في ليل خريفي ثقيل...

لست أدري ما الوقت..

وتهب على الشارع رياح باردة مثقلة بالرمال...

فيتخثّر الضوء في عيني

وأحس بيد قوية تدفعني الى الهروب..

فأركض.. واركض على غير هدى

كيتيم أعمى...

ثم أدلف الى حانة صغيرة مختبئة في

زقاق ضيّق..

وهنا أدلق الخمر في حلقي..

وأمص الزجاج كما يمص الرضيع البرعم المطاطي

وأبقى حتى يعربد خيالي

ويصبح كغيمة على جناح عاصفة..

وعندها أترك الحانة المختبئة في الزقاق العتيق

وأعود الى الدرب المثقلة بالحصى والرمال

لأتسكع مع الليل والفراغ وقلبي..
ولأنام وفي فمي طعم الخمر
ونهد وجسد امرأة عاهرة..

الشارع الحزين

أيها الشارع الموحش الحزين

يا خطا ملوناً بالسكينة ورائحة المعابد القديمة

في المغاور المهجورة...

اني أحمل اليك أغنية نقية كالدمع...

يغنّيها صمتي لعينيك الترابيتين..

كلما تعثرت بنسماتك الباردة

في الساعات الأخيرة من كل ليل

وأنا اجتاز مداك الى مساكب الوحدة والقلق

في غرفتي ذات الأجنحة المشدودة الى التراب..

❋ ❋ ❋

حياتي طين وعجين ورمال..

فهل تشتري قلبي؟ هل تشتريه؟..

هل تسكب في أعماقه قطرة ضوء؟..

أواه... لا أحد يشتريك أيها الحزين..

أو يشكل في جناحيك قنديل زيت.. يا قلبي

يا ورقة معجونة بالثلج والمطر ورياح الخريف...

❋ ❋ ❋

كل يوم أرفع عمري على الصليب
وراء الزجاج في المقهى المخنوق بالفراغ...
وفي الحانة التي تبيع الرطوبة والكآبة
والخمر الرديء..
يومي مثل ورقة صفصاف يابسة..
وأنا أشنقه كلما مضغت المقهى والحانة
وامرأة من شوفان
فمن يبدّل هذه الأيام القاسية؟..
من يغيّرها ويجعلها مليئة بالحب
والقمح والربيع؟..

***

يا أحلام يقظتي..
ايها المخدّر اللذيذ كقبلة في ضوء القمر
يا خمرا عتيقة تنسيني خرائب قلبي...
كوني وسادتي الأبدية.. وأنشودة عمري الأزلية...
فليس في الحياة أكثر جمالا من قلب يحلم
وعينين تسرحان مع ضباب الأحزان
في آفاق الذكريات العسلية...

ما أطيب أحلامك أيها الحزين..

الأحلام التي تفوح منها رائحة الغيم

والليل والجراح..

وتحطك في البحر الأزرق الكبير، على زورق

من صنع نيسان

وترسل اليك النسائم من حدائق الله..

لتحملك الى جزر يتسكع عليها السحر

والفرح والقمر..

وتمر بك على دنى تتجسد فيها الحياة

براقصة غجرية عاشقة

تتماوج نظراتها الحنون سحائب محبة

تمطر الشوق والوفاء والمواسم الخيرة...

--*

آه... ليتني نسمة صيف شرود...

أو شجرة زيزفون خضراء تغفو على زندك الأسمر

يا شارع بغداد الحزين...

قلب في الربيع

أيها الفرح العذب الطالع من عينيها
كألوان الشفق الذاهبة الى البحار الخضر..
كألف ألف رفّ من الحمام الأليف الأبيض..
ها قلبي قد خرج لاستقبالك..
وفي فمه أغنية حلوة كأشواق العائدين
من الأسر...
وفي حناياه طبول وعذارى ورياحين..

***

قلبي الآن مثل غابة لوز في نيسان
تضحك فيه الجداول والشمس والعصافير..
فانشدي أيتها النجوم أناشيد الصفاء..
ورفرفي يا نسائم الحب في عالمي السعيد..
وانشري الطيوب، يا أزهار نفسي
فقد جاء الربيع الى قلبي من عينين عسليتين...

***

ليت لي أن أزرع الدروب بالمصابيح

وأرفع فوق كل تلّة منارة عالية...

لكي لا يتعثر الغرباء والبائسون في الطريق

أولئك الذين لم تمتلئ بعد عيونهم

بدهشة الفجر...

ولكي أراك دائما تلمعين في النور كفراشة بيضاء..

فالغريب مثل خربة تأوي اليها الرطوبة

والليل والرياح

وحياته جراح ومداخن وتلال من الرمال...

***

آه.. كم يقاسي الغريب..

وكم تغمغم أيامه بالبكاء..

فاعطني قلبك الكبير، يا حبيبتي..

واتركيني أسند رأسي على صدرك الجميل

ذاك الذي يعلو ويهبط كأمواج

البحيرات الصغيرة..

فعلى نغمات هذا القلب الحنون

تحلّق روحي في الأجواء المليئة بالصباح

والحب والهياكل..

طريق الجلجلة

هذه النجوم التي تتلاشى في الفجر...

تعرف وحدها

حكاية المواكب الحزينة من الآلام الكبيرة...

تلك التي يستقبلها قلبي

في صلاة هادئة صامتة...

عيناي تزحفان على الرصيف في المدينة

وقلبي يا غالية...

يحمل صليبه

ويمشي متعثرا في الطريق الى الجلجلة..

وقد ربطت جوانحه

وعلّق على جبهته إكليل من الشوك...

***

حياتنا تتحرّك بغباء وفي كسل وارتخاء..

في الطريق

حيث القطيع والمرأة والسعال ..

تداس القلوب التي تسع الدنيا..

وتقلع العيون المسافرة

تلك التي ترى ما وراء المنظور..

فمن يعيد الشمس

الى الشبّاك المهجور في البناية الكبيرة؟!...

***

أيها الشاعر المخدّر بأفيون الأحلام

والذي ينشد الأشعار بصدق وبعفوية ..

مثل الزهرة التي تنشر عطرها بين الصخور...

من على رأس قمة اليقظة الروحية

في غابات الأحلام الصنوبرية...

تطل على مطارح لم تكتشف بعد.

حيث لا غروب...

يمد ظلاله الشاحبة الكئيبة..

وحيث لا طين ولا قطيع ولا سعال...

***

الى هذه المطارح العذراء

أدعوك الآن

أيتها الحبيبة الفاتنة..

للرحيل معي..

على زورق من نرجس وفل وحب..

لكي يصير لرحلتي معنى..

فهل تقبلين دعوتي؟!...

ونستحِّم معاً بسحر المدينة اللازوردية؟...

اغنيــــة

للعيون العسلية

ايتها العينان.. ايتها العينان العسليتان

يا نسائم الصيف.. وألحان الرعيان

غن.. غن لي..

أناشيد حقول القمح في الربيع

وترانيم الأشرعة المسافرة العائمة

في ضوء القمر..

أيقظيني من غفلتي، يا أنفاس حبيبتي..

ومدي دروبي صوب ملاعب الشمس...

حيث الأكواخ معمّرة بالنور

والدروب مدعوكة بالزهر والعبير

وحيث التلال والحقول والينابيع

وعين الله الضاحكة..

***

ان قلبي حزين، يا حبيبتي..

حزين كالوديان في ليالي الخريف...

يسير وحيداً في الطريق الموحشة
وسط العواصف الثلجية
وعواء الذئاب الجائعة، ونعيق الغربان..
آه... كم تكثر الذئاب وأبناء آوى والغربان..
وكم تتراكم الأوحال وينتشر الطين في الشتاء...

***

فيا عواصف الثلج التي تهب على داري..
يا أكوام الجليد التي تتجمّد في أعماق قلبي..
آن أن تطلع على كوني شمس نيسان
وأن تمر على دنياي نسائم تموز الدافئة...

***

أواه... يا حبيبتي...
أيها النغم المخمور بالعذوبة والسحر ورائحة
المعابد المقدسة..
متى نلتقي وننطلق في الوجود
كعصفورين صغيرين؟!..
متى نرتمي بحرية صادقة على المروج؟...

تائه في الدروب

أضيئي الشموع، يا فاتنة

فالمساء قد غمر الكون بالظلال الضبابية الشاحبة

ولف الزقاق الضيق الطويل بالصمت والكآبة

وأنا تائه في الدروب بلا هدف أو أمان..

***

عيناك شمعتان أزليتان

تضيئان بالأحلام ليل قلبي الموحش الحزين..

وتمدان امام عيني آفاقاً أبعد مدى من الزمان..

وتزرعان سماء حياتي صوراً وكروماً...

وأنا ملاّح أجوب البحار مع الريح

وأغني لعينيك من أعماق أعماقي...

***

بعدك ماذا تصير، يا حلوة؟!..

ماذا تصير القمة التي تداعب الآن

نجمة الغروب؟!..

تلك التي رفعناها في إحدى أمسيات نيسان..

لنطل من فوقها على الناس.

ونرشّ دنياهم بالصباح والربيع والألوان..

أواه.. اني اسمع حشرجة الزورق المسحور.

وأنين الشراع الأخضر المسافر..

وأرى آلافا من الجراح آتية الى قلبي...

فاعطني قلبك، ايتها الحبيبة الفاتنة.

ففي غد سنموت

على سفح القمة التي تداعب الآن نجمة الغروب...

بينما يمضي الزورق ذو الشراع الأخضر

في رحلته الخالقة وراء الجديد والحب والحياة...

في المقهى الحزين

كلما نشر مساء الأحد

أشرعته السوداء على الكون

يحملني إليك قلبي على جناح شوقه وهيامه...

وفي المقهى، أغرق في عينيك عيني

وأبحر على زوارق محمّلة بالأساطير، الى

دنيا الأساطير...

وتمر الساعات كالثواني

نتبادل خلالها النظرات البائسة اليائسة

ثم ينتصف الليل

وتغادرين المقهى الحزين، بقلب حزين

واندفع الى الشارع كمجنون مشرّد،

أهذي كمحموم

وأحكي مع نفسي كلاما غير مفهوم..

ثم أقضي ما يتبقى من الليل

مع المصباح ذي الضوء الباهت

المعلّق في جفون الشجرة ذات الأوراق الخضراء...

***

أواه.. ما أتعس الحياة من دونك يا غالية

وما أظلم الدنيا

وما أقفر المكان بعدك يا حلوة الحلوين

يانغما خالقاً، مخمور العذوبة والدفء والحنان...

ان قلبي يرقص من الشكر كشراع مسافر

كلما فكرت بي، في منفاك البعيد،

ومعك وردة بيضاء

لأن ذلك، يُؤنِسنُ العالم حولي

ويمدّه أمامي آمالاً خضراء وكلمات مضيئة...

فكرّي بي قدر ما أفكر بك

وهكذا يكفي، يا محبوبتي الصغيرة الحلوة

يكفي لكي أنسى، لبعض الوقت

بؤسي وتشرّدي

والرمل الذي يرشّ في عيوني...

ظلال المساء

بفرح الطفولة المتحررة على الشاطئ

وعلى أطباق من ورود نيسان.. من عصير القلب

حملت لعينيك ألف هدية وهدية..

وبفرح الأرض العطشى للمطر

كنت تضمين الى صدرك هداياي ويدي..

وكنت كلما التقيت بك..

ورأيت أضواء الحب تشعّ في عينيك الساحرتين

أبحر الى ما لست أدري..

كانت الدنيا لنا.. في مرمى أبصارنا..

وكنا دائما نلتقي ونلتقي ونلتقي..

ولم نكن نصدّق أبدا أننا سنفترق..

ثم أخذوك مني يا زهرتي الفوّاحة..

وأجبروك على الرحيل.. وافترقنا..

* * *

ان الجبل الذي أرادوه أن يكون بيني وبينك

لا يراه القلب..

ان الحب لا يعرف القيود...

انه أحاسيس تتحد وعواطف تتجاوب وتتفاعل..

وعيون تلتقي..

انه قلوب تخفق خفقانا واحداً

لتخلق سمفونيات تتغذى بها عروق الوجود

ان تقاليدهم.. خرافات أجيال لا نقبل بها نحن..

وما به يؤمنون..

مستنقعات أوحال نأبى أن نقترب منها

فتمرّدي يا حبيبتي.. تمرّدي مرة أخرى..

***

يا غالية..

بعدك أصابع الحرمان تنسج حولي حجبا كثيفة

من ظلال المساء

وظلال المساء ترمي أمامي دروبا صفراء

ملأى بالحفر المفعمة بالبؤس والقلق والتشرد..

وأنا قابع في غرفتي وراء سحب دخان السجائر..

أفكر وأفكر وأفكر..

وأمشي مع روحي السارحة مع الغيوم الشاردة

مع نفسي الهائمة فوق القمم وبين الأودية

مع قلبي الذي يلهث وراء نجمة شقراء

في وجنتيها لون العافية..

آملا أن تعودي يا حلوتي

لنبحر معاً..

في زورق الحب المقدس

الى الدنيا السعيدة..

الغريب

أقبل الليل كسولا

يتثاءب كقطّة عجوز

نامت على رماد موقد دافىء...

وقلبي يا حلوة موحش كشاطىء رمليّ مهجور

يتسكع كعين الشمس على ضفتي

بردى الزرقاوين..

حزينا كالمطر.. كألحان ناي راع محروم..

ويطلع الصباح الأبيض

ويظل قلبي على الدرب قتيلا في عتمة

الفراغ الأليم..

***

أنا هنا غريب يا حبيبتي

غريب كغجريّ مشرّد في المدينة الكبيرة

أسير وحدي، وكل زادي الى غدي...

بؤسي وشقائي وحرماني

وحفنة من رماد أحلام كانت أحلى

من نسيم الصيف..

وقيثارة وأغنيات حب لعينيك..

***

أي بردى...

أيها النهر العذب الممتد كخط من الماس..

يا شلالات الأضواء في الليالي المعتمة كالجوع..

ليتني مسكب زهر على ضفتيك الحالمتين..

تصوغ منه حبيبتي قلائد وأساور..

أو مرج تستلقي عليه في الأصائل اللينة..

وتحلم بالحب والزوارق والرحيل...

أشياء شقراء

الحب والغزل وطعم القبل في فمي

وتحملني الى دنياك يا غادرة

ذكريات طيّبة كريق القمر..

الحديقة والشارع العريض الطويل

وشجرة اللوز في الضاحية...

فاضحك وأبكي..

وأنسى كل شيء إلا وجهك الجميل

كأغنية أندلسية...

* * *

كان مساء دمشق ناعماً كأحلام الحرير...

آونة رأيتك يا كذوبة

تأكلين الوحل في إناء من الفضة...

ومضيت وفي عيني

دمعتان حزينتان كقلبي

لأن الحلاوة في الشفتين النقيتين كالندى

قد صارت طعاماً للوحل والطين والرمال...

***

وأمضي وحدي يا غادرة

في هذه المدينة الفاتنة

ذات الشعر الأشقر والعينين العسليتين...

وفي يدي رسالة حب وصورة

وخصلة شعر أشقر كلهيب الشمس..

ادّخن عمري في المقاهي والطرقات والحانات...

وأنظم الشعر أغنيات وأهازيج

من قلبي لعينيك الخائنتين...

أشياء غالية

ليالِيّ والحيّ الذي تفوح منه روائح

الموت والشقاء

والغرفة الخشبية المشكولة على حافة الطريق

كمسافر انهكه السفر الطويل في صحراء مرملة

حيث أنام واستيقظ واكتب الشعر..

كان لي دنيا سعيدة، يا فاتنة..

أيام كنت تمرين علي

وفي أنفاسك نسيم الجبال العالية..

وفي عينيك حنان بوهيمي الجناح

كنت أصوغ من قلبي

أقمارا كثيرة وأغنيات بنفسجية

وأصنع من فرحي دروبا وبحورا وزوارق

وكنا كالفجر نسافر ونرقص ونغنّي..

***

وفي كل لقاء

كانت أحاديثنا تتزرع نجوماً في السماء

وهمساتنا كالنسائم العائدة مع الفجر

من حقول الياسمين

وكنا سعيدين كغابة ثلجية مغمورة بضوء القمر

ثم انطفأنا كما تنطفئ الشموع في العواصف

تاركين وراءنا ذكريات معتمة

تلمع في كياني لمعان البروق الزرق

في الآفاق البعيدة..

***

أنا ساهر وقلبي نائم على بساط من جليد

كصفصافة وحيدة في دار معبد قديم مهجور..

ألا ليت لي شمس نيسان الدافئة...

لأذيب الجليد عن قلبي

وأتركه على الدروب الشقر في المدينة

يحب ويعشق ويغازل.. ويرتمي طعاماً

للنار المقدّسة...

***

أيتها الأشياء التي تجري في فمي

يا ضفاف بردى والشوارع التي عرفناها معاً

يا رسائل الحب وأوراق الورود الذابلة الحمراء..

أيتها الذكريات الشاحبة شحوب السماء في الشتاء

أيها الميناء الذي رست فيه سفينة عمري

ليتي ريح شتائية عاصفة

تقتلع المرساة من أعماق الرمال

وترمي بزورقي الغافي

إلى وسط الأمواج

لأغزل من ثوراتها دربا تمتد إلى ما لا نهاية..

وكونا غارقا بالحب والعطر والبيلسان..

الصورة الأخرى

أنت والليل وأنهار من الحزن في قلبي،

يا حبيبة

وفي آفاقي المطرزة بالغيم والدموع

خطابات الحب التي كتبناها على الرمال

تلك التي تذكرّني بالماضي الذي مات..

فأضحك وأبكي، وأدور في دوّامة الظنون..

وأمضي في الطريق من دون غاية أو هدف

صوب مستقبل غارق بالغموض والخوف والرعب

❊ ❊ ❊

قلبي مثل فحمة متروكة في قبو مهجور

حيث تختلط العتمة والسكينة والرطوبة

وتنطلق كأغنية الحرمان..

في دنيا مليئة بالحب والشهوة والأجساد العارية

❊ ❊ ❊

أيها الألم..

أيها الألم الكبير الذي ينتشر في كياني

كما ينتشر عبير الزهر في البراري..
يا بخوراً يحترق باستمرار في مجامر ذاتي..
كن زادي ووسادي وقنديل طريقي الى قمة الحياة..

***

آه... ليتني أغنية حب في المرفأ الحزين
تنشدها عاملة ألحان لحبيبها المسافر في البحر...
أو وردة حمراء في مزهريّة رماديّة
تهديني صغيرة لنهدها الأيسر الجميل..
أو آهة جريحة
تجتاز المسافات بلا قيود وتنفذ
بحرية الى الأعماق..

***

وفي غد عندما تسافرين، يا حبيبتي...
وأبقى وحيداً في هيكل الأحزان..
لن أنسى أبداً أن أصلي
لأجل عينيك العسليتين الناعستين..
ومن أجل أن تهبك الحياة مواسم الربيع

وتمنحك السعادة والفرح في رحلتك

الطويلة المجهولة..

***

هب يا الله..

هب حبيبتي المسافرة مواسم الربيع..

عيناك
والحب والرحيل

ما معنى

أن يبقى الإنسان على الشواطئ الرملية

يرقب عودة السفن وإبحارها..

دون أن يشارك البحارة سفرهم وأناشيدهم؟

غداً قد تتحجّر النجوم

وتتبدّل الأشياء..

ولكن بهجة الحياة

تبقى في لهفة القلب للحب

وتوق الإنسان الدائم للسفر

وراء المجاهيل والآفاق البعيدة...

***

عيناك بحيرتان من عسل مصفّى مذاب

يتهادى فيهما شراع أبيض

على ايقاع النسيم والأمواج في ضوء القمر...

وأنا غريب أبحث عن نزهة...

تموت شوقا إليها نزهة العطر

في أمسيات الربيع...

****

وها قلبي على الرصيف الأسمر في المدينة

يلهث كطائر صغير قادم من سفر بعيد

كلما التقينا كالغرباء...

كانوا يحسدوننا يا حبيبتي

عندما كانت ابتساماتنا

تحكي حكايات الشروق والندى وأغصان الزيتون

وعندما كان عرس الزهور ومهرجان العبير

يحيان في صمتنا العميق...

فما الذي حوّل عينيك عن وجهي الحزين

وما الذي أطفأ شموع الحب المقدسة

في معبدك العظيم؟!

ومن طيّر الكوخ الذي عمّرناه

في جبهة الشمس؟...

****

لا تسافري فقلبي راجع ولن يصدق ما يقال...

فاحفظي لي حنانك

أيتها الحبيبة الفاتنة...

ذاك الذي يفرّ من عينيك العسليتين

كرفٌ من العصافير الدورية في البساتين...

واعطني الحب والفرح والأحلام...

فأنا من دونك...

بارد كأغمار الثلوج على قمم الجبال العالية...

الشفق الوردي

أيتها الترنيمة الأزلية في قلبي

يا حبيبتي الصغيرة الحلوة

كفراشة ترفّ بين الهواء والنور والاقحوان..

الصنوبرات الست، في المنحنى الأسمر..

تشتاق الى ضمّنا..

والليل يدعونا لنرجع ضاحكين

نقطف أفراحنا شموعاً، لا تنطفئ..

وأنا يا حلوة..

حبي نقيّ كالصباح الأبيض في جزيرة نائية

كالندى على شفاه الزهور في الحقول العذراء..

وفي قلبي ياسمين وبنفسج وطيوب

وشاعر بوهيميّ حزين

يغنيّ لعينيك على قيثاره الرقيق.

أغنيات الحساسين..

* * *

فاتركي كل شيء

وسيري معي..

صوب الشفق الوردي..

لنهيم هناك..

بين المروج والمراعي والغابات.

***

آه...

ليتني بستان صغير على ضفاف بحيرة شاعرة

ومركب شراعي لنزهاتك

أيتها الأميرة السمراء..

في الأمسيات الحالمات..

رســــــالة

أنا عصفور صغير من الريف

جئت الى المدينة..

ومعي سراج وباقة أشعار

وكمشة عطر..

وشريطة بيضاء بلون الثلج على جبلنا

أقدمها لك، يا حلوة

مع قلبي...

***

قد لا أستطيع طول عمري

أن اشتري لك سواراً من الذهب الخالص

وعقداً من الماس الثمين...

ولكني أحتفظ لك في كوخي الأخضر الصغير

بسوار من نجوم القبّة الزرقاء...

وعقد من زهور الزيزفون...

وفستان رمادي

نسلت خيوطه من ضوء عيني..

وخفقات صدري...

***

على صدرك الدافئ حمامتان من فل...

على هديلهما أنسى جراحي البالغة فأستريح..

ونبرة العسل الحلو في شفتيك

تفجّر ينابيع الراحة والثقة والاطمئنان

وعيناك العسليتان الحزينتان..

غاليتان على قلبي..

كعواميد تدمر وأرز لبنان...

***

أعلم يا حبيبتي..

أن دربك لن تمر علي داري

واننا لن نلتقي أبداً، يا غالية...

ومع ذلك لا أستطيع إلا أن أحمل قيثاري

وأغني لك

أغنيات من قلبي...

لأني عاشق.. عابد...

ولهذا لا مجال لي لأفكر..
فيما إذا كانت صلواتي مقبولة أم لا
ساعة أقف خاشعاً في هيكل الحب...

* * *

يا حلمي البعيد..
كنت اهزأ بالذين يبكون
عندما يضيّعون امرأة..
والآن يسألني الناس لماذا أبكي...
فأتركهم وأسير
حاملاً نعش حبي الذبيح
في جنازة دائمة..
ولا أحفر القبر في الغاب البعيد...

حكاية نجمـــة

ذات مساء..

كنا ثلاثة على الدرب...

أنت وأنا ومصباح يرتعش.

وكانت الدرب لنا وحدنا

ولم يكن يخطر ببالنا أن الدرب ستنتهي..

كنا نؤمن

أنها تبدأ حيث يفكّر غيرنا أنها انتهت..

وكنا نسير ونسير..

ونحن نسند شجرة الأكاسيا التي على

جانب الدرب...

***

وفجأة سقطت أمامنا نجمة..

كتلة لا حياة فيها ولا حركة

لقد ماتت نجمة كانت توزع الأضواء دون مقابل..

ماتت.. وأسفاه على النجوم التي تموت..

التي لن تعطي خيطا من نور

وأي قيمة بل أي معنى

لنجوم تتقلب الى قطع لا دم فيها ولا قلب..

* * *

وهكذا أصبحنا أربعة على الدرب

انت وأنا ومصباح يرتعش

ونجمة صارت عدماً...

في وقت بدأت أنوار الفجر

تمزّق حجب الليل الأسود

وبدأنا نحن نستعد لمغادرة الدرب..

وعزّ علينا أن نذهب

ونترك النجمة التي ماتت

تستقبل مع الفجر قهقهات فاجرة..

وودّ المصباح الذي كان يحتضر

ان يزرع قلبه في قلب النجمة

وودت أنا لو أسلخ ضوء عيني..

وأسكبه في عينيها...

وبقيت وحدك صامتة

وكدت أحسب أنك أصبحت جثة باردة..

لولا أني رأيت على الوجنتين الورديتين

دمعتين فيهما دم وضلوع...

***

ومر بعض الوقت...

نام بعده الليل واستراح المصباح..

وسرت أنا على غير هدى

وبقيت وحدك على الدرب

ترقصين كأنك في عرس

وفي قلبك المفعم بالحب والحنان...

قطعة جماد

تمتص دماً أحمر

لتعود نجمة...

وتبدأ حياة جديدة معطاء...

في غد
يأتي نيسان

أنا أعلم

أنه كان علي أن أحضر لأراك

يا حبيبتي..

وأن أحمل إليك معي

هدية تحبينها كثيراً...

باقة من الاقحوان الأبيض وقبلة...

وأعلم أيضا..

أن اليوم الذي يمر ولا نلتقي

يمر تافهاً سخيفاً..

وينقضي غليظ القلب...

ثقيل الدم...

ولكن ما حيلتي وأنا في كانون

وليس فيه غير المطر والظلام والشجون

***

حياتي شتاء قارس وظلام دامس...
وأبداً أصارع
لأجعل من شتائي
ربيعاً دائم الخضرة..
ومن ظلامي فجراً دافق النور والأطياب...
وكل ذلك، لأجلك يا غالية
لأجل عينيك الناعستين...
ولكي يكون يومك ضاحكاً طروبا
مثل أيام الورود في الربيع...

***

في نيسان، يا حلوة..
كان حديث القلب للقلب
وفي غد يأتي نيسان
وبعده لا غيوم في السماء...

أوراق جريحة

في معبد الحب

كشيء لا قيمة له كان قلبي

ضائعاً يبحث عن ذاته

في دروب الضباب الأسود

حين مررت على دربي، يا فاتنة

وفي عينيك نداء قويّ كالعاصفة..

عميق كالسر والمجهول...

تململ قلبي وسار..

سار وراء ذاته التي وجدها

في صفاء العينين

اللتين بلون المروج في نيسان..

وحلاوة الابتسامة التي لا أنقى ولا أعذب

والتقينا، يا غالية

في معبد الحب

لنتحد في صلاة مرفوعة إلى الله

من القلب

* * *

هدية

وذات يوم..

دلفت الى غرفتي على غير ميعاد. يا فاتنة..

غاضبة ثائرة..

وانفجرت كبركان...

ولم أقل اني احبك، واني لك وحدك

بفكري وقلبي وجسدي..

ولم اقسم أني لن أكون لغيرك..

بل وضعت شفتي على شفتيك الغاضبتين..

سكبت نفسي في نفسك..

وبعدها يا حلمي الأسمر..

نسيت الذي جئت من أجله

وتركت الغرفة المتواضعة الحالمة..

تلك التي تشهد كل يوم حبيبين..

يشيدان قصورا من الحب والحكمة والأمل..

على أن تعودي في اليوم التالي..

ومعك طاقة من زهور الياسمين...

أقوى من العاصفة

وكانت الأيام تمر..

بعضها أبيض كالحب..

نقي كالزنبق..

وبعضها الآخر..

أسود كالحقد.. كريه كالبغض والحسد..

ولم يكن يهمنا إلا ما ينبع من داخلنا..

ليجعل كل أيامنا بهجة وغبطة وسعادة

حتى يوم هبّت علينا تلك العاصفة اللعينة.

ضحكنا أكثر من أي وقت يا حبيبتي

لأننا كنا نثق

أن حبنا الذي أطعمناه

مهج النجوم

وكبد الشمس

وأضلع القمر لا يموت...

وأن زورقنا الذي عمّرناه

ليغالب الأمواج العاتية والأنواء الهوج

سيصل الى الشاطئ اللازوردي...

ولم يمت حبنا..

بل ماتت العاصفة

وتابعنا المسير في الزورق المطمئن

ونحن تضحك للقمح والربيع..

حديث الياسمين

سمعت حديث الياسمينات

هديتك للغرفة السعيدة..

كان حديثاً يقطر عذوبة وحلاوة..

قالت واحدة..

اني أحس ان الدم الذي في عروقي

دم فيه كل مقومات الحياة..

لقد مضى علي وأنا علي هذه الطاولة

أكثر من عشرين يوماً

وما زلت كأنني على صدر أمي...

وقالت أخرى

وأنا أشعر كأنني سأبقى أبد الدهر

فرحة أشرشر عطري وطيبي..

وقالت ثالثة

ما أسعدني ايتها الرفيقات

لن تملني عروس

ولن يكرهني شاب

ولن أغادر هذه المزهرية أبداً..

وقالت رابعة..

كلنا نحس بذلك

ولكن لماذا لا تسألن يا رفيقات عن السبب؟!.

فهتفت الياسمينات بصوت واحد..

كلنا نعرف يا صديقة..

فلقد مررنا في طريقنا الى هذه الغرفة الحالمة..

على يد الصبية الحسناء..

رفيقة الشاعر...

صـــلاة

الريح الشمالية تعصف بشدة في الخارج

تلطم كوخي بقسوة ظالمة..

والليل يلفه برداء أسود كالمداد

وأنا على ضوء قنديلي الفخاري الأحمر الصغير..

أغني لعينيك الدافئتين

كجزيرتين من جزر أحلام الشاعر

مثل عابد لا يهمه في ساعات صلاته وابتهاله

فيما إذا كان الله

يقبل قرابينه أو يرفضها..

قلب صامت

ما أشبهك، يا فاتنتي

بالليل في كتمانه الرهيب...

وما أشبه قلبك بأحاجي الجن المغلقة

ما بال قلبك لا يثرثر؟!..

لا يبوح؟!..

لا يقول شيئاً؟!..

ما باله لا يشهق؟!..

لتلك الزهرة البرية النابتة قرب دارك

كلما شرشر فمها بعض ما فيه من عطر

ما باله لا يصفق للبلبل الغرّيد الطليق

ما باله؟!..

أن أعلم يا توأم روحي

ان قلبك ذبيح..

لذلك سأقف كل وجودي

لأسوي أوتاره

حتى تنطلق ألحانا

تركزّ ذرى لا أسمى..

وتمد آفاقاً لا أرحب

وتفتح دنى لا أخصب ولا أغنى..

مادمت راضية

عذب كمياه الينابيع المتفجرة من قلوب الجبال
حديثك يا سوسنة طيبة من بلادي..
وحلو كأحلى ما يكون
ابتسامك يا جميلة..
ما سمعتك مرة تتحدثين
إلا وقبضت على لآلئ..
وما رأيتك تبسمين
إلا وشعرت بالوجود يبتسم
والدنيا تضحك،
والكون يرقص ويغني..
ومع ذلك تبخلين على
بلؤلؤ حديثك وحلاوة ابتسامتك..
ترى هل يرضيك عذابي في حرماني؟؟..
إذن لا بأس
ما دمت راضية، يا غالية...

دموع

ألف مرة، قلت لك يا فاتنة

لا أريد أن أرى الدموع

تكرج على وجنتيك الورديتين

فأنا أكره الدموع وإن كانت تنبع من العاطفة

لأنها لا تدفع بحياتنا الى الأمام.

ولأني لا أريد أن أكون عبداً...

***

المرأة التي تبكي في حضوري تستعبدني

وتجعلني أمامها لا شيء..

لا شيء على الإطلاق

وتنال مني كل ما ترغب دون أن أعلم

وأنا لا أريد أن أكون كذلك

اني أريد أن أعطي يا حبيبتي

عن معرفة.. وعن حب.. وعن إيمان..

لنا معاً

أرسلت اليّ أمي شيئاً منها

كانت قد جمعته

من مساكب الورد

وكروم الخير

وشلالات النور في ضيعتنا

ولم أشأ أن احتكر بركة أمي وحدي

فحملت بعضها

وألقيته من نافذتك المسحورة

فاقبليه...

يا ليت

سألتني جارتي عنك، يا حبيبتي..

قالت صفها كما تراها..

قلت حبيبتي يا جارتي

وردة لا تذبل

وقارورة عطر لا تجفّ

وعمود من نور في هيكل أقيم لتقديس الجمال...

فسمّرت جارتي أجفانها في البعيد البعيد..

ثم قالت والألم ينتشر من عينيها

يا ليت لي حبيباً يراني

كما ترى حلوتك يا شاعر..

سمو

ما أتعس الإنسان الذي لا يغني

وما أسخف الحياة

عندما لا تكون غناء من القلب للقلب...

عندما لا تكون أنغاماً عبقرية

تهز العقول والأبدان..

وألحاناً فذة

تنقل الى أجواء التأمل الروحي العذب..

بالغناء أسمو وأرتفع

وأصير اشعاعا عبر نور الله..

❊ ❊ ❊

أواه.. كم أحب أن أغني

أغنيات حب لك..

لعينيك يا حبيبتي...

عبير الذكرى

كنا نمرح كالنسيم في الوادي الخصيب

نسابق الفراشات الملونة

ونرتمي على العشب مثل قطرتين من الندى

ونغزل من أفراح حبنا

قمة تلطم بجبهتها خد القبة الزرقاء..

ونمد من أشواقنا دروباً

يتمنى الزهر أن يموت عليها...

ونعلّق لنا

في كتف نجمة بعيدة أرجوحة من بنفسج..

أتذكرين؟...

يوم غطست الشمس في البحر؟

وانغمر الوادي بالليل والصمت والنسائم الباردة

ولم نشعر؟!..

كنا آنذاك وحدنا في الوادي..

وكانت أنفاسنا تمتزج مع أنفاس الطبيعة..

وتتحد في أغنية حلوة

ضحكت لها عين الله...

كان الوقت يمر.. ولا نعرف أوقاتنا..

حتى مرّ علينا أرنب صغير أبيض..

أيقظنا من غفلتنا

فعدنا ونحن نضحك من أعماق أعماقنا...

معنى النجوم

اليوم تركت كل ما حولي..

نسيت حتى نفسي

وشكلت لك قمة سمراء

بعضها عائم في السماء

كغابة صنوبر..

وزرعت على دربها عشرين نجمة..

وللنجوم على دروبنا أكثر من معنى..

معنى من دكنة زهور البنفسج في

جفون عينيك العسليتين..

ومعنى من غناء الجداول الصغيرة في قلبي..

ومعنى من تدفق العطر كلما التقينا..

وأحضرت لك معي هدية لطيفة..

من بيادر الأقمار الخضر في عالمي المسحور

ولكنك لم تحضري.. يا حبيبتي..

فعام قلبي في بحيرة من الحزن الصامت العميق

وكدت أبكي..

لولا عصفور صغير ملوّن الريش؟

وقف على شباك غرفتي الرمادي

غنى أغنيات عذبة

ذكرتني بالشروق والغروب

في بلدتي الحالمة على صدر جبل أخضر

والمشاوير الليلية على طريق الكروم..

فأغمضت عيني..

وسافرت الى دنيا وأجواء نائية..

بعدك

يا حلوة.. يا حزينة مثل قلبي..

الدروب التي كانت تحدثني عنك

أقفلت شفاهها منذ أمد بعيد..

والبناية ذات الشبابيك الخضر..

تلك التي كانت تحكي لي ألف ألف حكاية

صارت خالية جامدة باردة..

وانتظاري، يا حبيبتي..

كل انتظاري بعدك بلا لون ولا معنى...

بينما كان انتظاري نغماً قلقاً بديعاً..

يغمر حواسي باللذة العظمى..

والآن أصبحت حياتي، كل حياتي..

شاحبة مثل ضوء شمعة في قبو عريض...

عندما تمرين

مثلما ينتعش الزرع بالمطر...
وتتفتّح البراعم في الربيع
ومثلما تضحك المراكب الشراعية
المسافرة الى الشرق بالرياح الغربية
كذلك يجد قلبي ذاته
عندما تمرين على دربي...

* * *

يا حلوة.. عندما تمرين من أجلي
تمتد على سواحل قلبي
عشرات البحار الخضر
حيث تسبح مع النسيم والنور
كل مراكب الأحلام العسلية...

طعم مرّ

يوم زرع نيسان قلبه في قلبي
زرعت في صدر شباكنا الرمادي
نجمة حمراء..
وقمراً أسمر..
وساقية عطر..
وانطلقت ألوّن حياتي بالنسيم والأحلام..
وأغني أغنيات العصافير الطليقة..
ما تركت عيناي مدى بعيداً
إلا ومرت عليه بلهفة وشوق..
كانت عيناي
تسرحان بسعادة مطلقة
في ممرات الوديان
وسفوح التلال
وقمم الجبال العالية..
وكنت رفيقتي في رحلتي
يا حبيبتي..

كنا نهيم مع قوافل الضباب الارجواني

وزادنا قيثارة وأشعار

تنشدها الريح..

ثم هبت علينا عاصفة سوداء

فطار الكوخ الذي عمرّناه في جبهة الشمس

وتجمّد الضوء في عينيك العسليتين الحلوتين

مثل تنهيدة حارة مرسلة من الأعماق...

فمضيت وحدي..

وفي قلبي تلال من الرمال..

ونجمة ميتة..

وقمر مطفأ...

تعب

لن أبقى بعد اليوم

الساعات الطويلة على مفارق الدروب..

لأسرق نظرة الى عينيك الضاحكتين..

بل سأبقى في معبدي

أنصت الى موسيقا خطواتك

كما يتصورها خيالي..

وأحادث طيفك الذي لا يذهب من بالي أبداً..

وأرود معك

دون عناء أو جهد

الآفاق الرحبة والقمم العالية...

❋ ❋ ❋

لقد تعبت، يا غالية..

لقد أتعبني السراب

فاغفري لي استسلامي..

وفي غد

عندما يسألونك عن الصورة المطرزة

بشريطة حمراء

والمعلقة على جدار الهيكل قبالة عيني

لا تنسي أن تقولي لهم..

لا أدري من أين جاء بها...

راحل معك

غدا تسافر حبيبتي

وتتركني وحدي مع الريح والثلج والذكريات

أجر ورائي خيبة أيامي..

وألوك هواجسي وظنوني

وأنشر أحزاني على دربي...

فيا حبيبتي التي ستسافر غداً

قلبي راحل معك

على جناح غيمة رمادية

ليوقد الشموع

في طريق زورقك المسافر الى المجهول...

صلاة

بدّد يا الله..

بدد هذه الغيوم السود..

التي تتراكم في سماء عيني حبيبتي..

واطلق سراح طيور الأحزان من قلبها

واجعلها يا الله..

اجعل حبيبتي

عندليباً في حدائق الورد...

لو كان لي

أواه.. أيتها المحبوبة الفاتنة

يا حمامتي

أيتها العينان العسليتان الرائعتان

ان قلبي يرتعش

مثل عصفور مبلل في الشمس

كلما خيّل إلي

انك ستسافرين على زورق من قش

في هذا البحر الصاخب المجنون...

* * *

لو كان لي كل ألسنة اللهيب

إذن لعرفت

كيف ألتهم قش هذا العالم

وأمنعك عن الرحيل

أيتها الفاتنة السمراء

التي تتألق في الحب كياقوتة حمراء...

رجاء للقدر

أيها القدر

لا تقس على حبيبتي

لا تبك قلبها

حبيبتي جميلة بين النساء

حبيبتي زهرة ندية فوّاحة

يتمنى الزهر أن يكونها..

حبيبتي أغنية حب عذبة

في حنجرة شلال هادىء رصين...

فلا تقس على حبيبتي أيها القدر

لا تبك قلب سمرائي ذات الفم الحلو المغنّى...

خيبة

يا خيبة قلبي.. يا خيبة

أيها الشوك المزروع في فمي

يا علقما يجري في دمي

الى أين أهرب منك؟!..

أيها الرفيق المزعج الذي يلازمني كظلي..

لو أن البحر يستطيع أن يبتلع آثارك

لألقيت بنفسي في أعماق أعماقه

ولو أن النيران قادرة

على أن تصيّرك رماداً

لجعلت قلبي طعاماً للأتون الملتهب..

آه.. لو استطيع أن أفر

من شبحك المرعب يا خيبة قلبي..

أو لو أجد من ينقذني من دجاك السرمدي...

الى صديق

يا شريكي في الخيبة والحزن والألم

ايها الرفيق الشاعر

الذي يرود القمم ويجوب الآفاق

القلوب التي تجمعها الدموع..

تزيدها المرارة تآلفاً وتقاربا

وأنت وأنا غريبان

ندّق التراب بأقدامنا

ونلطم النجوم بجبهتينا

ونحن ندخن عمرنا بلا لذة

فهل تبسم لنا الحياة

مرة واحدة من أعماقها؟!..

ونحس اننا من هذا العالم..

لــولا

لولا بقية من أمل

لولا شمعة لم تنطفىء بعد

لذبحتك أيها العصفور الصغير

يا قلبي..

وألقيتك في البرية الواسعة

طعاماً للذئاب الكاسرة

والطيور الجارحة...

خالقـــة

هل تعرفين الألم

ايتها الضاحكة للحياة من أعماقها؟!.

أنا قلبي

لم يذق طعم الهناء بعد

وفي عينيك زمان لا يغيب عنه الربيع

فابسمي لي وحدي

تبرأ جراحي البالغة

وعند ذاك أعرف

كيف أسكرك بخمر أغنياتي...

***

آه... ليتني مرج صغير

في دنيا عينيك الواسعة

حتى لا يغيب عني الربيع

يا خالقة الربيع

وناشرة الصباح على الدروب...

لا تغن

لا تغن الآن

في شباك غرفتي، يا بلبل

يا سجين القفص الحديدي الصغير

لا تغن..

فتوقظ حنيني وحبي

وتشعل نيران الشوق النائمة في قلبي..

فأنا مثلك

وحيد في غربة أيامي

أغني أحزاني وآلامي...

فخذ حريتك وانصرف يا بلبل

الى البرية الواسعة والفضاء الرحيب

فقد يصلني منك غداً

رسالة..

وأغنية ضاحكة...

شـراع ممـزق

يوم تمـزّق شراعنا في العاصفة

طلعت من جراحي غيوم حمراء

مـلأت سماء قلبي..

ثم أمطرت مطراً أحمر غزيراً

صبغ البحر..

وروّى الأرض..

وأنبت شقائق النعمان على التلال..

وبعدها.. تكسرت قارورة عطر..

حملت بعضه نسمة طرية ناعمة

وسافرت الى دنياك

❊ ❊ ❊

عيناك قديسان في معبد قديم..

يهيمان بي في دنيا عجيبة..

تتجه فيها روحي الى الله

بعد أن تتعتق ذاتي من أوهامها

لتحس في نشوة الابتهال الصادق

بوجودها المطلق العظيم...

وشفتاك شلال صغير يغني..

ما أصغيت اليه مرة

الا وكرج في سماء حياتي..

قمر يغمرني بضياء أخضر...

يشيع بي الدفء ويحبب الي الحياة..

***

آه.. أيها الشراع الذي تمزّق في العاصفة

يا شراع زورق حبي..

من ترى يعيد اليك لونك الأخضر؟..

وينشرك على السارية العائمة في السماء..

لنبحر معاً، من جديد..

في أضواء الفجر الأولى

الى جزائر الأحلام البعيدة...

على قوت الذكريات

أتذكرين

أمسية ذلك اليوم الجميل من نيسان؟!.

كان القمر طفلاً تداعبه

نجمات بكّرت في الظهور

وكنا أنت وأنا في طريقنا الى الكروم

في نزهة قصيرة...

لقد قلت لي آنذاك...

إنك تخافين على الكوخ الأخضر..

الكوخ الذي بنيناه من أحلامنا...

ان تعصف به الرياح

العاتية المجنونة...

وأن تقذف به بين أشداق الفناء والعدم...

فضحكت أنا ضحكة عالية

كنت تقولين عنها

إنها أحلى من زقزقات الحساسين

وأطيب من تغريد البلابل...

وسكت أنتِ

سمّرتِ بصرك صوب القمر الطفل..

كأنك تقرأين في وجهه الفضي

قصة غد بائس حزين...

وعلت وجهك الملائكي

مسحة من الكآبة المبدعة...

أجل ضحكت...

لأني لم أكن أصدق

أن يد الخراب تستطيع أن تمتد

الى كوخنا الأخضر..

وأن الزمن يقسو

على حب لا أنقى ولا أعذب...

* * *

ودار الزمن دورة قصيرة

فإذا بنبوءتك تتحقق

وإذا بك تسيرين على درب لن تمر على داري..

ألمحك وأنظر إليك

فتحولين بصرك عني..

ويشرق قلبي في ابتسام عيني...

فتعبسين...

وازغرد لك من كل قلبي

فلا تبالين...

لماذا يا غالية؟!..

لماذا هدمت ما عمرّناه؟!..

ولماذا شئت أن نفترق

ويسير كل منا في اتجاه يغاير الآخر؟!

* * *

في كل أمسية حلوة يا حبيبتي..

اتجه وحدي الى الكروم

في نزهة قصيرة

ثم أعود بعدها الى غرفتي..

لأعيش كعجوز على الذكريات...

أغنية للغروب

ارخ أهدابك الطوال أيها الغروب

فعما قليل سيمتلئ المرفأ البعيد..

بصفير سفينة راحلة

الى جزيرة نائية في قلب البحر..

قريباً ويقفر المكان

ولن يبقى عليه غير منديل أبيض

تهزّه الريح ويد شاعر غريب..

وأغنية طويلة من أغاني المساء الحزينة...

***

وأرخى الغروب أهدابه السود على الكون

وغاب الزورق الذي يقل حبيبتي

وراء زرقة البحر البعيدة

وبقيت وحدي على رصيف الميناء

أبحث عن قلبي الذي ضاع مني..

***

أيها الغروب الذي جاء الى قلبي..

بكل ظلاله وألوانه

يا نسمة محمّلة بالوحشة والكآبة والأحزان

كن مصباحي الى صباحي

ودربي الى بساتين الورد والياسمين..

***

أواه.. كم أحس بالغربة

وكم أتعثر بالفراغ

بعد أن تمزّق قلبي

أوراقا بلون شقائق النعمان

وضاع مني على رصيف الميناء...

الحب والشفقة

نام الليل واستراح على وسادة الفجر الأشقر
ولم يبق إلاّ القليل القليل ليستيقظ الصباح
ويدور دورته المعتادة كدجاجة مريضة..
ولا شيء ينتصب أمامي
سوى حديثك البارد البليد
ان كلماتك عن الحب والحزن والشفقة والرثاء
صدأ ينخر عظامي ومسامير تدّق في روحي..
انها تلاحقني وترهقني
ككابوس الأحلام بين الأموات في المقابر..

* * *

أنا اقبل يا حلوة..
ان تحزني علي وأن ترثي لحالي
ولكني لا أقبل أبداً أن تشفقي..
فاتركي قلبي دريئة مشرّعة لرصاص
العذاب والحرمان
اتركيه فأنا أكره الشفقة..
انها ترتمي أمامي كزنجية عارية

كمستنقع قذر..

اتركيني أبحث عن حبٍّ ينشر

على كوني ضوء القمر

عن غالية تمّحى بعدها أشواك الغربة

وتيبس عروق الفراغ..

***

أشياء كثيرة كنت أريد أن أقولها لك

كنت أريد أن أحدثك عن الحب والآلهة والأساطير

وعن فتاة من ضيعتنا بعمر الكاميليا

ترقد باطمئنان في قبر من رخام أبيض

تحت سنديانة عتيقة..

ولكنك رحلت.. غرقت في الضباب

قبل أن تتفتّح براعم الكلمات في جبيني

ان كلمتي الطيّبة لم تولد بعد

انها لا تزال جنينا ينمو

وسيكبر يوما.. سيكرج على الدروب السمر الطوال

قمراً عسلياً كعينيك الحلوتين..

***

في غد.. يا أميرة الحلوات..

عندما يتيه قلبك في الشوارع المتعرجة

كريشة طائر صغير..

وعندما تسقط الريح الشمالية العاصفة..

أثمار جسدك اليانعة..

تعالي اليّ ولا تذهبي الى أي مكان.

لأنك ستكونين في قلبي

تهاويل من عطر وبنفسج..

كنــت حلــوة

كنت حلوة في عيني

كترنيمة بلبل طليق في حدائق القمر..

كانت عيناك تتألقان

مثل بحريتين مزنّرتين بالمصابيح...

وفمك قيثارة أندلسية في ليالي الصحو والأعياد..

تحملني على زورق من أنغام دافئة..

الى أفق مسحور

معطر بأريج الزنابق والبخور..

* * *

كنت حلوة في عيني

كأحلامي في ساعات انخطافي وصمتي

كنت أمدّ المكان الذي تمرين عليه..

مرجاً خصيباً أمام عين الشمس..

حيث تتماوج الرؤى والألوان

كالعرائس مزركشات الثياب في هياكل الآلهة..

وحيث تنطلق الألحان

من مزامير الرعيان

مع أناشيد الحصادين

لتلفّ صباحي..

بالسنابل والينابيع ومساكب الفل..

والآن تسألين أين ضاع كل هذا؟

لقد ضاع من عيني يا التي كانت في عيني حلوة

فواحزني على الأيام التي وهبتك فيها حبي..

ويا لخسارة الأعوام التي مرت كحلم....

في مرفأ الوهم

أيام طويت عليك جناحي

وحملتك الى آفاقي البعيدة الملونة..

وداري العائمة في السماء..

كنت في عينيّ كبيرة وحلوة..

كان آنذاك قلبي عبداً

فصوّرك الوهم لي

قصيدة طويلة في الجزائر السعيدة!...

فخفق قلبي مثل شراع مسافر في الريح الشمالية

وغنّاك أنقى الحانه وأعذب أنغامه...

****

آه.. أيها الوهم

أيها الوهم الحقير الذي استعبد قلبي

في ساعات ضعفه وتوقه للحب

ليتني جزّار تفوح منه رائحة الجريمة والدم

لأدقّ رأسك دقاً

وألقيك طعاماً للدود والطيور الجارحة...

****

ومثلما يتلاشى ضباب الصيف في الشمس
وتغيب قطرة الماء في رمال الصحراء..
ومثلما تسقط أوراق الصفصاف في الخريف
وتموت ألحان الرعيان في الوديان..
كذلك تلاشيت من سماء حياتي يا كذوبة...
يوم استيقظ قلبي على الحقيقة
واستطعت أن أراك كما تراك كل العيون
حزمة من ضباب شاحب هزيل..

***

لا كنت، يا أنت..
يا رائحة المقابر والأزقة القديمة الموحلة..

أغنية جريحة

سأتسلى وحدي بأكل دمى

في الشوارع العريضة ذات الأجنحة من خشب

والحانات الصغيرة المخنوقة بخيوط من بللور

والمقاهي الجامدة المجنونة...

❋ ❋ ❋

أنا لا أحب الفراغ

ولكنهم هكذا شاءوا أن أكون

زنبقة برية تتمرّغ على الأرصفة السود

وتركض وراء السخافات والتفاهات والحماقات..

❋ ❋ ❋

أنا لا أحب الفراغ ومع ذلك..

لن أصوغ الأقمار الصغيرة الخضر لحبيبتي..

ولن أسوّي لها من النجوم قلائد وأساور..

سأتركها وحدها تأكل جبينها

في ليالي الشتاء الطويلة

كما أكلت قلبي وكبدي وآفاق حبي الكبير...

❋ ❋ ❋

ان... لم تعد حبيبتي...

إن عينيها وصدرها وجسدها الأبيض كحمامة

لم تعد فيها رعشات البحار الزرق...

ولا فتون الغابات في الأمسيات الجميلة..

ولا سحر الغروب على ذرى التلال المتواضعة....

فوداعاً

وداعاً أيها الجسد الملوّن بالصباح

والعسل ورائحة الصنوبر

وداعاً أيتها العيون

يا بحار الزمرد ومجامر البخور...

وداعا يا صوتها

يا زقزقة الحساسين وهمس الجداول في نيسان..

وداعاً معجونا بالدم والثلج والألم...

أغنية يائسة

الآن صار بإمكاني أن أرى الوجود

مثل برتقالة فاسدة.ملقاة في برميل فارغ..

أصبحت أستطيع أن أقول

إن الشمس تطلع من الغرب..

وإن النجوم نقط دم حمراء مرشوشة

على صفحة زرقاء.

وإن القمر قرص مدوّر

معجون بالرماد والفضّة والأجفان...

الآن أستطيع أن أبكي،

مثل طفل صغير مسحت موجة ظالمة

قصر الرمال الذي بناه على الشاطئ..

وأن أرى الحياة سفينة من ورق

تتأرجح في بحيرة من دم ودموع...

***

ايه أيتها الأجراس التي تقرع

عند الغروب في القرى الجبلية...

ماذا تعني الأيام عند الذين
يفقدون أعذب أمنياتهم؟!
أواه.. اني أسمع عويل ريح الشمال في صدري
وأحس بلهيب الزهور التي تحترق في قلبي...
قلبي حزين حتى الكأس الأخير..
فمن يحمل بعض أحزاني عني؟!...

***

في البعيد هناك في البعيد..
يرقصون على همهمة الأشرعة وهدير الأمواج..
ويغنّون ويضحكون من أعماقهم، ويحلمون..
في البعيد هناك في البعيد..
ينامون تحت السماء المعطّرة
بعبير البحر والضباب..
وأنا ذاهب وحيداً الى هناك..
لأدفن عذابي واتحرر من وهمي..
وأحيا بلا هموم...

رسالة إلى صديق

كئيب كئيب، قلبي يا صديقي

مثل أغنية حزينة في الكروم...

وأنا لا أزال على الطاولة الخشبية

وراء الزجاج في المقهى

أرنو الى النساء

وهن يتماوجن على الشارع الحيّ

حكايات من فل..

ويتمايلن بحسن ودلال كفرسات الحور في النسيم

ويحملن للقلوب المهجورة مواسم الكآبة والأحزان

***

ليتني قطرة عطر، يا صديقي..

ترشّني حسناء على فستانها المزوّق

ذاك الذي تفوح منه رائحة الحب والشهوة..

أو حلية ذهبية تداعب بحرية

نهدين متكبّرين كبطلين في الأسطورة..

أو فلّة يا رفيق..

فلة بيضاء تشكلني حلوة زينة على صدرها..

❋ ❋ ❋

أود يا صديقي..

لو أكون مصباحاً صغيراً في الزقاق

ينشر نوره على الشبابيك خلال الليل

أو بركة ماء في دار عامرة

تستحم فيها الحلوات والشمس

أو نجمة يا أخي..

نجمة بعيدة تشترك في السهرات

مع العيون الناعسة..

❋ ❋ ❋

كئيب كئيب، قلبي يا صديقي

مثل مساء وادي بردى في الخريف

وأنا ما زلت وراء الزجاج في المقهى

وفي الحانة التي يأوي اليها الغرباء والمضيّعون...

رسائل الحب

يا رسائل البراءة والطهارة والحب.

يا رسائلها..

يا قلب حبيبتي البكر

كغابة عذراء في جبين القمر

ها أنت الآن، وفي كل آن..

تدندنين لي أغنيات الشوق والحنين

وتحكين لي حكايات منعشة كأنفاس الورود

فتمتلىء عيناي بالحزن، ويخفق قلبي بالشجن.

أنا لن أفرّط بك أبدا يا رسائل البراءة

والطهارة والحب

يا شوق حبيبتي يا لهفتها وحنينها..

سأحتفظ بك الى الأبد

وسأقرؤك، كثيرا

أحببتك وسأحبك دائماً..

لأنك كل ما بقي لي من غرامي..

***

وعندما يشتد بي الحنين.

وتنهشني أنياب الوحشة والوحدة

لن أبكي ولن أذرف الدمع المر..

لأني سأعود اليك يا رسائل حبيبتي..

وأمر على لحظات الفرح السعيدة

التي عمّرت دنياي..

في فترات قليلة من عمري البائس الحزين..

طائر مزيّف

قلبي طفل بريء

يحبو في مرج أخضر

يهشّ لزهرة اقحوان بيضاء

ويشهق كلما مرت على المرج

حزمة نور...

＊＊＊

زارنا طائر غريب

من ربوع غريبة

في منقاده خنجر

وأغنية صفراء

أكثر اصفراراً من الموت

وارتمى الطائر على الأقحوانة

يزوّق لها ربوعه

ويلون لها درويه بألف لون ولون..

كان الطائر شاطراً في سرد الحكايات

وكانت الأقحوانة

تصغي بانتباه الى حكايات

الطائر الجديد الغريب

غدا سيحملها الى ربوع لن تغيب

عنها الشمس...

وغدا سيركع أمامها مغرّدا

أغاريد الشمس...

وغدا سيضعها في أرجوحة

لا أطيب ولا أشهى...

* * *

وسار الطائر..

وسارت الاقحوانة وراءه..

هجرت المرج الأخضر

وهجرت القلب الطفل البريء

ولم تستمع لنداء القلب وتوسلاته

القلب الذي قال لها:

هذا ذئب بلباس طائر

ما عرف الحب ولن يعرف الحب...

غدا ستندمين يا أقحوانة

غدا ترجعين في عينيك دمعة

وفي كفك قبضة دخان أغبر

وندمت..

ولم ترجع..

عائد يا أماه

على مصطبة دارنا،

تحت ظلال الدالية ذات العناقيد الصافية

مدي الحصير يا أماه،

واحملي لي قنّينة خمر عتيق

من خابيتنا الفخارية الحمراء

فأنا عائد اليك مع موكب الصباح

بعد أن طهّرت نفسي من أوساخ الخطايا..

***

لقد كرهت يا أماه،

الضجيج والغربة والفراغ،

ومللت العيش في أعشاش الرذيلة والفساد

وأوكار يباع فيها اللحم والجسد والروح...

لقد كرهت طعم الشفاه المصبوغة التي

لا عذوبة فيها ولا حلاوة..

والصدور الجامدة كأحجار الصوان في ضيعتنا.

هنا مناقيد نهودهن يا أماه.. لا تتحدث.

لا تحكي الحكايات التي تنقل الى الأجواء

الرحيبة والآفاق اللامحدودة...

* * *

منذ أن تركت ضيعتنا، يا أماه،

لم أحبك من خيوط القمر قميصاً لصبية

ولم أحمل بسلّتي بعض النجوم لحسناء

القمر هنا غيره عندنا.

والنجوم غيرها.

لا رهبة في الليل ولا روعة عند الفجر،

كل شيء مزيّف.. حتى الماء يا أماه...

فاغفري لي واصفحي عني،

فأنا عائد، لاستيقظ مع ديوك حيّنا

واسبق الشمس الى الكروم والحقول

حيث الخير والبركة والجمال.

وسرب كبير من العصافير يحمل

للأرض أغاريد السماء

أنا عائد لأزرع الزنابق في حدائقنا

والورود في بساتيننا،

وأعمّر الدروب السمر..

درب الكرم. ودرب العين.. ودرب غابة الصنوبر..

بحكايات بيضاء كحمامات أخي...

***

على مصطبة دارنا،

وعندا يبتلع الليل آخر شعاع

من أشعة الغروب..

وتحت ظلال الدالية ذات العناقيد الصافية

صفاء الينابيع...

مدّي الحصير، يا أماه،

واحملي لي قنينة خمر عتيق

من خابيتنا الفخارية الحمراء.

ولا تنسي أن تنادي على العذراء الخجول

ذات العينين العسليتين..

لقضاء سهراتها معنا. فأنا عائد.. عائد يا أماه...

قبل الرحيل

غداً مع فجر يوم مجهول..

سنبحر يا زورقي، الي حيث نشاء..

سنرحل عن هذا العالم الضيق.. الواسع..

وبرفقتنا طائر يحب السفر والتجوال..

فقد تعبت نفسي من اغتراب نفسي..

وملّ قلبي فراغ قلبي..

❋ ❋ ❋

شقي أنا مثل بنفسجة ذابلة

بائس كبرعم يحتضر..

معذب كوردة ملقاة على الرمال المحرقة

تغمر عيوني كآبة خرساء كالجماد..

وتلف جبيني وحشة ذات دم أزرق

وتأكل أيامي وحدة صفراء كالزعفران..

❋ ❋ ❋

في نومي وفي يقظتي.

افتش عن شيء أحنّ اليه...

حنين الرضيع الى ثديي أمه..
افتش في الشوارع المزدحمة
وابحث في الطرقات الملأى..
وفي كل مكان.
وأحاول أن أضمه بين ذراعي
فلا أضمّ إلا الفراغ..
وأسأل الرياح والليالي والقمر والنجوم
ولا من جواب..
لقد طال انتظارك، يا زورقي الصغير الأمين
ولا زلت على الشاطئ بانتظاري..
فها أنذا في طريقي اليك.
بعد أن امتلأ قلبي بالجراح ولم يبق
فيه مكان لجرح جديد
ولكن.. دعني لحظة يا زورقي
لحظة ادفن شقائي وآلامي وحرماني.
في حفرة عميقة صامتة كالصنم..
ولحظة أودّع خلالها أصحابي ورفاقي
فيا أبي ويا أمي

أعطياني قبل أن أرحل

أعطياني شيئاً اشتري به ذاتي الضائعة...

شيئاً اشتري به واحدة غالية حلوة.

تملأ بحبها فراغ قلبي

وتمسح بحنانها اغتراب نفسي..

السور العظيم

على رصيف الشارع الأسود

يرتمي قلبي في دوّامة ثلجية رهيبة...

باحثا عن شيء يريده ولا يريده...

عن مرمى يعرفه ولا يعرفه...

وفي كياني تعول ريح شمالية باردة...

وفي دمي يجري ألف سؤال

وكل سؤال يحمل معه ألف عليقة وعوسجة..

***

قلبي مثل ضوء شمعة في كوخ بلا باب..

مركّز على قمّة تلّة تطلّ على واد سحيق...

فمن ينقذني من هذا السور الذي يقيّدني؟!...

من يوقد في أعماق ذاتي شمعة صغيرة هادية؟!...

***

أيها الشارع الذي يأكل أيامي

يا خيطا طويلاً تافهاً بلا معنى

عريّتك... وألبستك ألف ألف رداء..

فما وجدت فيك..

ما وجدت غير حصاد مواسم الفراغ

وغير بيادر الضياع والغربة والأحزان...

هنا هنا القلوب التي تمطر الشحوب

والهزال والموت..

هنا هنا العيون التي تنز بالقيح والصديد..

❋ ❋ ❋

وأنت أيها السور العظيم..

يا سور القلق والضجر والسؤال..

سوف تنهدم... سوف يهدمك صمتي..

وسوف تصهرك نيراني المشتعلة

لتنطلق روحي

على جناح مذهّب الضياء...

الى عالم صاف نقيّ

كقطرة ندى على شفاه وردة جوريّة...

انتظـــــار

كان بودي أن أدعوك الى غرفتي، يا حبيبتي..

لأغني لك.. لعينيك.. أغنيات من قلبي.

واسمعك ترانيم كثيرة.

ولكني لا أجرؤ.

إنني أخجل يا فاتنة..

ان استقبل الأميرات عندي.

حيث يتراكم الغبار،

وتتبعثر الأوراق الصفراء وتنتشر الفوضى..

* * *

في الصيف الماضي.

كانت لي جارة طيبة القلب.

وكنت أعود في الليل

في آخر الليل مرهقاً...

وأجد غرفتي المتواضعة مرتبّة كعروس حلوة.

فاستلقي على سريري الحديدي،

وأرنو الى صورتك الصغيرة المعلقة على

الجدار الأبيض

بعينين تعبتين عاشقتين..

واذهب معك.. الى عوالم

لا تخطر على بال..

***

ليتك يا حمامتي..

ليتك تعلمين كم سافرت بصحبتك..

وكم رحلت.. وكم جبت آفاقاً وردتُ قمما..

وكم افتتحت جزراً نائية خضراء دافئة.

وكم ركزت على حدود السماء

قصوراً بنيتها لك من ضلوعي..

***

الحياة قاسية..

والزمن جائر، جائر..

أيامي كافرة كالجوع والفقر.

ودروبي باردة كأنها مرصوفة بقطع الجليد.

وأنت عصفور صغير يطير.. ويطير.

ولا يمرّ على حقلي أو يحوم فوق بيدري..

وأنا ما زلت أعيش على الوهم،

انتظر تحت شجرة اللوز في ضاحية المدينة.

موكب قدومك.

ايتها الأميرة السمراء..

لأسند رأسي على صدرك الحلو

وأحلم بالسعادة والهناء والحياة..

❊ ❊ ❊

خمسة
أشهر سود

أوّاه... كم هي سوداء

هذه الأيام التي مرت

منذ أن حملتنا أمواج الغباء

الى شاطئ الظلمات والأحزان...

إنها أكثر سوادا من عتمة ليل كانون..

إنها الريح المثقلة بالوحشة والضجر والفراغ...

***

خمسة شهور.. يا حلمي الأسمر العذب...

وأنا بعدك، يدي على صدري..

وقلبي تائه مثل مركب فقد بحاره

وبقي في اليم تقوده العواصف والأمواج...

خمسة شهور.. يا حلمي الأسمر العذب..

والرياح الشمالية الباردة تهب على ربوعي

والثلج يتكدس أغماراً أغماراً في قلبي...

آه يا قلبي... خمسة شهور كاملة

ولم تتفتح في حدائقك زهرة

ولم يغن كناري من ألحانك أغنية فرح

ولم تمر عليك نسمة

أو تطلع في سمائك نجمة..

❋ ❋ ❋

خمسة شهور.. يا حلمي الأسمر العذب..

وأنا هنا انتظر

في أتون عذابي وآلامي..

ولم يأتي منك كتاب حب أو صورة..

حتى ولا كلمة حلوة

تكون لي.. لأيامي.. لغدي كالمنارات للسفن..

❋ ❋ ❋

يا حبيبتي السمراء الحارة كحبي لعينيك..

يا ذات الشفتين الدافئتين كليلة ربيعية

في إقليم استوائي..

اهدمي.. اهدمي..

جدار الوهم الذي تقيمينه..

في وجه طيور الأشواق التي يتراءى

غناؤها الحزين..

في عينيك الحالمتين بالنجوم والآفاق البعيدة

اطلقي سراح هذه الطيور..

دعيها تأت أسراباً أسراباً الى ربوعي..

فلا شيء.. لا شيء..

ينشر الأحلام على دروبي..

ويغمر ذاتي بالغبطة والفرح والسلام..

غير هذه الأسراب الطالعة من

أعماق غابات الحنين..

في قلبك الكبير الدافىء المفعم بالحب..

***

حب عنيف

- ١ -

كيف انسى يا غالية

لقاءنا والغروب..

والكوخ الذي شكلناه في فم الوادي...

وتركنا بابه مشرّعاً للعاصفة...

- ٢ -

الكلمات التي انسابت من بين شفتيك لي..

ستبقى في عالمي شلال أغنيات

ما عرفت ولن تعرف.

حناجر المغنّين أطيب منها وأحلى...

ورنين ضحكتك الحلوة..

سيظل الشراع الذي يحملني.

من مدينة الى مدينة، ومن جزيرة الى جزيرة..

- ٣ -

تلك الليلة حينما غادرت الحجرة..

تحجّر الضوء وغامت الدنيا في عيني..

فضغطت على جراحي واستسلمت للدروب..

مثل ورقة ممزّقة في الريح.

تلك الليلة صار قلبي قمراً مطفأ...

لقد فقدت آنذاك كل شيء..

فقدت قلبي وذاكرتي.

ونسيت كل شيء حتى اسمي..

فبقي باب الحجرة مفتوحا..

- ٤ -

وانطلقت من دون وعي الى الحانة الرطبة..

تلك التي تنزوي في الزقاق كمتسول ذليل..

وهنا مع الخمر

الرديء وروائح التبغ.

قضيت الهزيع الأول من ليلتي..

ومات الهزيع الأخير وأنا على الرصيف.

ثم مرت مركبة الصباح.

ولأول مرة في حياتي، يا غالية..

لا تمتلىء عيناي بدهشة الفجر..

ولا يحسّ قلبي بروعة الصباح الأبيض..

- ٥ -

مرتان يا غالية..

مرتان إن كنت تذكرين..

عدت لألج الحجرة التي أحببتها..

وأغلق الباب ورائي..

ولكني في كل مرة.

كنت أجد أن المفتاح لا يزال ضائعاً في الغبار.

- ٦ -

والآن وقد ناديت علي يا حمامتي..

أنا عائد الى الباب المفتوح الذي ينتظرني.

مع النسيم والعطر وطيور الحب الخضراء..

أنا عائد لأغلق الباب علي..

بحيث تكونين لي وحدي..

وأكون لك وحدك..

بكل تلهف قلبي...

وكل اشتياقي وكل حنيني وحبي..

***

أغنية للأسمر

في الشارع حيث يزدحم الليل والجماهير..
وتشّع الأضواء الملوّنة كأنهار الفرح...
قلبي، ههنا، يزحف كطفل ضرير
باحثاً عنك...
يا أسمري الحلو...

* * *

وفي المقهى
حيث تمتزج الأنفاس والدخان
وروائح الكسل..
وتعلو قرقعة الخشب وضجيج الروّاد..
ويتألق صمت الشعراء...
عيناي من وراء الزجاج
تبحثان عنك...
يا أسمري الحلو

* * *

وفي زحمة العمل المرهق
حيث تمتص الحروف السود ضياء عيني...

ويأكل الحبر والورق والسهر..

مواسم الربيع من قلبي...

تتجه روحي اليك...

يا أسمري الحلو...

❋ ❋ ❋

في حزني وفي فرحي..

في نومي وفي يقظتي...

في استسلامي وفي تمردي...

شفتاي لا تهمسان إلا باسمك..

وقلبي لا يلهج إلا بذكرك...

يا أسمري الحلو...

❋ ❋ ❋

قلبي يغني لك..

وعيناي تصليان لك...

وأحزاني شموع توقد لك...

لأنني ما زلت مصدّقاً

انك ما خلقت إلا لي

ولي وحدي..

يا أسمري الحلو...

القلب العائد

يا ذات الخال الحلو كالغروب

في غابات الصنوبر...

ايتها السمراء التي تزرع في قلبي مالست أدري

ليت لي قيثارة عاشق من غجر الأندلس..

لأقف تحت نافذتك الوردية..

في الأمسيات الطرية الناعمة كأحلام المخمل...

وأنقل أشواق عيني

لعينيك الواسعتين الرصينتين...

بعد أن أكل الندم روحي

على الأيام التي ضاعت وأنا بعيد عنك...

فاصفحي عني يا حبيبتي

واغفري لي جنوني وتمردي

عندما اتيه عن عالمي

وأنسى كل ما حولى حتى نفسي..

وها أنذا عائد إليك، يا فاتنة

عودة التائب إلى هيكل الرب..

مع النسيم القادم من حقول التفاح والليمون
لنغني معا أغنياتنا الأكثر فرحا وغبطة..
فقد تعب قلبي من الحزن..
وأحب أن أفرح قليلا..

***

وفي غد، عندما نهيم كغيمتين رماديتين..
في الدنيا الواسعة..
ونحن نزرع الفل وضوء القمر
والحب الأشقر العظيم..
وننشد الأشعار والأنغام اللازوردية..
ستقيم النجوم أعراسا على دروبنا..
وتضفر لنا الحياة
أكاليل من حبات الندى على شفاه البنفسج..

ترى يعود؟

ترى يعود

الحبيب الذي ذهب

وظل في القلب والضلوع

والمقل

واذا عاد متى يعود؟!..

أنا ما حننت اليه كمثل هذه الأيام

ولم أشعر بحاجتي اليه

كمثل هذه الأوقات

حتى لكأنني أحس

أنني وهم من دونه...

***

وأي معنى أن يكون الإنسان وهما

ألا يكون شيئاً

الا يكون مثلا حبة في عقد

يزيّن جيد صبية أحلى من القمر

همسة عطر في شفاه عذراء عاشقة

تحيا على الأحلام والحبْ...

* * *

وأحدّق في البعيد البعيد..

وأتصوّر الحبيب الذي ذهب

في دم نجمة مسفوح على صدر المغيب

فأود لو أن حياتي

تترجم الى نجوم

وعمري الى غيوم...

أحزان القمر الأخضر

أروع ما فيك، أيها الحزن، أنك مطر المواسم الخيّرة.

اليأس

الصيف والخريف

قلب

بلا حب

خاصرة مطعونة بخنجر

في الصيف يفيض الكون بالمسرة

في الخريف تمور الدروب

بالحزن المتألق

وبين الصيف والخريف

رصيف صغير

يُعبر ولا يُرى

جــوع

الليل والمطر الحزين في أحداقنا

ونحن نسير

ولا مظلّة لنا

خيمتنا طيرّتها الرياح

ولا قطار ينتظرنا

وليس على دروبنا محطة...

أحلامنا من زجاج

والزمن يكسرها بأحجاره الثقيلة

ونحن نضرب في الوجود

ندقّ بشظايا الزجاج باب الزمن

ونسأل عن قلب يخفق برغبة

وعن فم يلعق النجوم

وعن مدينة لا يمر عليها الخريف..

* * *

كالنسيم السارح فوق الجبال

أنت يا حبيبة

حكاية فيها نكهة النبيذ العتيق

جائع أنا

لعينيك يشهق شوقي وحنيني

لشفتيك

للخال المزروع على الخد سفينة غبطة

****

أيها الربيع الراحل بلا وداع

أيها البلبل الذي

ما سكت يوما عن الغناء

أعطني ابتسامة، يا حبيبة

أحملها معي الى آخر الدنيا

مشاعل تضيء لي الطريق

****

أيها القلب

أيها القلب الثائر الهادر

الراكض كالصاعقة صوب المستحيل

وأنا أمرّ على حطام السفن المقهورة

في المدن الساحلية المنقرضة

وأحدّق في البحر

والشمس الذاهبة الى المغيب..

انتظر قارباً أسطورياً

يحمل بحاراً بلون النحاس

جباراً كاله

قويا كعاصفة

عملاقا كمليون قلب يخفق بالحب

يشركني معه

في حملة نغزو بها مغاور المجهول

حيث كنوز الزمرد والماس والياقوت..

اعطني قبلة ودمعة

اعطني ابتسامة، يا حبيبة

احملها معي

مشاعل تضيء لي الطريق

الى مغاور الماس والزمرد والياقوت..

قبلة الوداع

الشمس تميل نحو المغيب

ونحن يا حبيبتي على وشك الرحيل

كل ما حولي يوحي بالحزن والكآبة

السماء تمطر على دروبنا

وزورق الرحيل ينتظرنا في المرفأ القديم

ليحملنا الى جزائر الضجر والملل

قبليني يا حبيبتي قبل أن نفترق

احرقيني بنار حبّك الإلهي

فالشمس تميل نحو المغيب

وبعد قليل

ستتركنا الأمواج الظالمة

على الشواطئ الصخرية الموحشة..

وردة للشارع

أيها الشارع دائم التراتيل

يا شارع الحب والغزل والمغامرات

ماذا تراني أحمل إليك

قلبي ضائع في عتمة الفراغ والتشرد

يبحث في هذا المدى الحزين

عن منديل يمسح به دموعه

فغنّ على مسمعي

أغنياتك العذبة الموحية

أيها الشارع الممتد كرحلة طويلة الى قارة جديدة

وفي غد

سأعطيك من حدائق قلبي

فلّة بيضاء

ووردة حمراء

وعصفوراً ملّون الريش...

الشتاء الحزين

باردة كالموت تلك الشفاه الوثنية

الشفاه التي كانت

تتأجّج كالبراكين في فمي

وجامدة كالصوّان تلك العيون العسلية

العيون التي كانت أحلى

من ليالي الخريف في كوخ على ضفة نهر

من سرحة الأشرعة البيضاء في البحر

***

أيها الفرح المقهور

يا تمثالا من الجبس في ساحة الحرب

أيتها السعادة مكسورة الجناح

يا امرأة من زجاج في الطريق

القطار ملأ المحطة بالصفير

والريح طيّرت مقاعد المحطة النائية

وفي السماء

غيوم سوداء

تحمل لي رائحة الشتاء الحزين..

أيها المقهى الذي شهد قصّة حبنا

ابعد ذكراها عن مخيّلتي

أو ارسل من عندك نسمة

تحملني اليها دفقة عطر

وفراشاً من الورد الأحمر

وقل لها

قل لحبيبتي أيها المقهى

إنني بعدها قنديل بلا فتيل

وان فمي مشتاق لحريق قبلاتها السكرية

***

أواه... كم أود لو أكون

إنساناً متوحشاً في الغابات

يستحمّ بنور الشمس

ويتعطّر بعبير الأرض والأشجار

حتى إذا ما أقبل الليل

أسند رأسه على حجر

ونام بكل اطمئنان تحت النجوم

أو مزماراً حزينا

تلعب به أنفاس راع من رعيان بلادي

ترسل ألحاناً صادقة جريحة

تهز العقول والقلوب والأبدان

وتنقل الى اجواء التأمل الروحي

وتمدّ أبعاداً

ملونة بالصفاء والحب والأحلام

***

غدا إذا تعبت

يا قطار الحزن

أعرتك جناحي

***

في عيني سماوات وأقمار ونجوم

وفي قلبي حدائق وحروف للتاريخ

وأنا أحب الحرية ومنظر الثلج على الأشجار..

وأحلم برحلة

أجوب خلالها العالم

خمسة وعشرون عاماً

وأنا أدق بجبهتي باب الأبدية

وأحمل صليبي وأمشي

آه ما أبعد القمة التي سأصلب عليها

مدينتنا بلا آفاق

موتانا بلا قبور

وأشواقنا مشنوقة بحبال الذل والعبودية

وأنا ههنا مع قلبي

نسوق أحلامنا للمحرقة

فلا تتوقف عن المسير، يا قطار الحزن

وفي غد

إذا تعبت

أعرتك جناحي..

بطاقة سفر

وداعاً مقهاي الصغير..

وداعاً يا أصدقاء

وداعاً لزمان طويل

أنا ما مللت عشرتكم

ولا سئمت أحاديثكم

ولكني بدأت أحس

أن قلبي يكاد يموت

على الطاولة التي تسعل وتبصق دما

الفراغ... أواه

إن أيامنا فراغ

وحياتنا عدم في عدم

ترى لو أن قلبي طائر صغير

هل كان يتوق الى بناء عشه

في المدينة المشنوقة بالعري والشحوب

أم أنه كان ينطلق بفرح عظيم

الى الحقول والتلال السمر

ليغنّي هناك من أعماق أعماقه؟!..

***

آه لو كان لي ما أريد، يا أصدقاء

كنت إذن سروةً سامقة

يتفيأ بظلالها بيت قديم وعاشقان

هناك في بستان مسوّر بالحشيش والزيزفون

من بساتين قرية جبلية

عيناها على البحر

وشفتاها على شفاه النجوم

فوداعاً مقهاي الصغير

وداعاً يا أصدقاء

وداعاً لزمان طويل..

وفي غدٍ.. حين تشتاقون الي

اسألوا عني

تجدونني في فم وردة حمراء

في مزهرية رمادية

تعتني بها صبية حسناء

يسكر القلب على أنغام ابتسامها

وتسرح الأحلام في دنيا عينيها العسليتين

وإذا لم تعثروا علي

فاعلموا أني أكون في ليلة قمراء

قد حملت حقيبة زادي على ظهري

واصطحبت معي

ذكرى منكم ونايًا

وسافرت... كما تسافر الغيمة البيضاء..

أغنية قبل الرحيل

حلو حلو

كزنابق الحقول وجهك النضر، يا حبيبتي

شفتاك جناحان أخضران

عيناك بحيرتان هادئتان

تتماوج فيهما الأضواء والقلوع والألوان

أيتها السمراء الجميلة كحقل من حنطة

يا أغنية حب حزينة

في البيادر المغمورة بضوء القمر

لماذا يمتلئ قلبي بالمرارة والغصّات؟!

كلما التقيت بك في المقهى الناعم الكسول

ذاك الذي أيقظني

على عبير أزهار الحب

أو مررت بك في الطريق المليء بالعيون والوجوه

آه.. ليت قلبي ظل نائما في الجليد

ليته ظل قطعة من اللحم

تتحرك بكسل وخمول دونما أي اتجاه..

أنا ناشر قلوعي وسأبحر غداً

وفي دمي شوك وشوق وحنين

وعلى جبيني حكاية جريحة

فوداعا حبيبتي

وداعاً أيها الربيع الراحل عن دنياي

ومرحبا بالشتاء القادم الى قلبي

بثلوجه وأمطاره ورياحه...

الرحيل

أريد أن أرحل عن هذا المكان

يا اخوتي

فالحياة صارت ثقيلة علي

والدروب كئيبة سوداء

تتعثر عليها أيامي

وترتطم بأحجارها أشواقي وأمنياتي

كل شيء ثلج وأشجار عارية

وليس في الرحيل ثمة جريمة أو عار

إن أسراب السنونو

ترحل عن مكانها

حين يحلّ عليه موسم الرياح والمطر

والرعيان يودّعون مراعيهم

حين يمر عليها الجدب والجفاف..

قلبي الآن، يا اخوتي

يعيش في فصل المرارة والغصّات

فدعوني أذن

أنشر قلوعي البيضاء

وإذا ما عثرت في رحلتي

على غيمة هاربة من أعماق الغابات السعيدة

حينذاك سأعود إليكم

لأنشر الفرح على بيادركم

والمسرّات في أعماق قلوبكم..

أغنيتان

- ١ -

اشرب.. اشرب

حتى لا يبقى في الكأس قطرة

فالليل طويل

والدرب شوكٌ وصخرٌ

وفي نشوة الكأس

تلمع النجوم في سماء القلب الكئيب..

- ٢ -

الزهر يولد وينمو ثم يموت

وكذلك الحب، والإنسان

الشمس عربة من نار..

الشمس وحدها لا تموت..

هباتك

ما أملكه ليس لي

وما وهبتني إياه

سأحافظ عليه بإخلاص

سأتركه يرنّ في أعماقي

كما ترن الأجراس في الأعياد..

سأطوي عليه جناحي

وأطير به الى أعلى القمم

كي لا يستطيع

أن يطوله أحد...

عندليب وخبر

الحياة رحلة رائعة

وخيالي زورق أدور فيه حول العالم

مثل نسمة محملة بأريج البرتقال والزيزفون

قال لي زورقي

إن عينيك مرفأ دافيء جميل

يستقبل السفن التائهة

فرسوت على مقربة من المرفأ الأمين

وأرسلت إليك من قلبي عندليباً

فمتى يعود من عندك العندليب، يا فاتنة

متى يعود؟!

إن صفير السفن الراحلة

كثيراً ما يغري قلبي بالرحيل..

واليوم جاءني من عندك خبر

يحمل معه أريج الحب والشوق

وأخبارك، يا فاتنة

تضع أحلامي على زورقٍ من نور

يسبح في بحر أخضر

مليء بالجزر

العامرة بالأشجار والمنازل ذات القرميد الأحمر..

لتكن كل أخبارك حلوة يا حلوة

لتكن مثل أسراب الحمام البرّي في الغابات

مثل أسراب السنونو في الربيع

مثل قوافل الضباب الرمادي على القمم العالية

لتكن كالنسمات الناعمة القادمة

من أعماق أحراج السنديان والصنوبر..

حنـــــــين

حين ألقاك، يا فاتنة

يعبق في أعماقي أريج بخور مريم

ويجري في قلبي نهرٌ طويل

مليء بقوارب العشّاق والصيّادين

وتسرح روحي على أنغام الحب الإلهية

بين أدغال الأحلام والأماني..

عيناك،

تذكراني بليالي الربيع

في قرية جبلية مشكولة في قلب الصخر

هناك حيث ولدت

بين العصافير وأشجار السنديان والصنوبر..

وكما يرنو الغريق الى اليابسة

ويحنّ الفلاح الى المطر أيام الجفاف

وكما يتلهّف المسافر في الصحراء للمياه

ويهفو الراعي الى التلال والمراعي الخضر

كذلك قلبي

يطير فرحا الى دنياك

يا حبيبتي

أيها الأفق الأزرق الذي تشتاق اليه نفسي

وفي غد

حينما يضمنا الزورق الرمادي المسافر

حدّقي كثيراً في وجهي يا حبيبتي

ثم ارخي أهدابك الطوال

فمع كل اغماضة جفنٍ كحيل

ليلة ربيعيّة في اقليم استوائي

ومع كل رفة هدبٍ حنون

نسمة معطّرة بأريج الغابات البعيدة..

حب عظيم

بلا حزن

وبقلبي الذي يرقص في النور

كفراشة سكرى بنسيم آذار

ودّعت أيامي الماضية

المثقلة بالضجر والتسكع والتشرد

وشرّعت باب كوخي الصغير

للحب والفرح العميقين

القادمين من أعماق غابات الحنين

في عيني حبيبتي

فما من مرة

أغرقت عيني في عينيك،

إلا وتفتّحت براعم الأزهار في قلبي

وغرّدت العنادل في حدائق روحي

وأشرقت الشمس في سماء كياني..

****

الموسيقى العذبة
التي تنساب من بين شفتيك الزهريتين
تطير بأحلامي
الى ما وراء الزرقة البعيدة
وترتفع بأشواقي
الى المرتفعات والقمم الرمادية
السكرى بأريج الله وعطر النجوم
وعيناك..
عيناك العسليتان الرائعتان
اللتان تسرحان كشراعين في بحيرة زرقاء
تسكبان في أعماق ذاتي
خمراً إلهياً..
يمد الحياة أمامي
دروباً مطرّزة بالياسمين والأشعار..

***

ترى ماذا يصير، يا حبيبة
أيها السمراء العذبة كرحلة طويلة في بحر
ماذا يصير؟

لو زرعنا أحلامنا غابة صنوبر

وارتمينا نعيش كالعصافير

ونحيا كعبير الأرض..

رؤيـــــــــــا

الحب عصفور يغرّد في القلب
شراعٌ يغنّي في بحر
نسمة تطوي جناحيها على الجمال
أيتها العينان العسليتان الواسعتان
يا رعشات الغابات ساعة المغيب
وسرحات العبير في المساء
ها قلبي
وقد انغمرت جوانحه
بصباح أحلامك العسلي
يطير ويطير
دون أن يدري الى أين يطير
ولكنه سعيد
كغيمة صيف بيضاء
كغابة لوز في الربيع
كطيور الأحلام الخضراء
وعلى مرمى خيالي البعيد.. البعيد

أرى بحراً ملوّناً طويلا

يسبح فيه زورق يضم عاشقين

معهما قيثارة وخمر

يتجهان صوب قارة جديدة متألّقة

قارة لم تخطر على بال..

ابتسامة ربيع مخملية

ذرني يا حبيبي

أعمّر لك دارا بيضاء

على رأس قمة سمراء

تضحك الشمس في شبابيكها الوردية

وتسقسق العصافير في حديقتها العامرة

ويلفّها الربيع بأنسامه المخملية

ذرني يا حبيبي

أحمل اليك قيثارا خلاّقا

يستلهم ألحانه

من سحر عينيك

من رقة حديثك وعذوبة صوتك

آه أيها الحبيب الفاتن

ان قيثاري يحمل اليك

بعض ما عندك

فما أحلاك.. وما أعذبك

وما أرحب المدى الذي ينسرح أمام ناظري..

أميرة وثنية

افرشن الدروب بالرياحين

واضئن المصابيح

يا صبايا الحي الذي تسكنه حبيبتي

ففي هذا المساء

سيمر موكب الأميرة

في نزهة الى غابات الحب والأحلام

حبيبتي يا صبايا

أميرة.. سمراء

تمتطي مركبة مذهّبة

يقودها جوادان ابيضان

ويحيط بها حملة المشاعل

وعازفو القيثارات ومنشدو الترانيم

وحبيبتي يا صبايا

أميرة من اوغاريت

عذراء من عذارى المعابد الوثنية

من دم الشمس لون العافية في وجنتيها

ومن شقائق النعمان في الروابي البكر

لون شفتيها

فيا صبايا الحي الذي تسكنه حبيبتي

احرقن البخور

واسجدن بخشوع

في هيكل جمالها الإلهي..

نوم أم يقظة

- ١ -

السماء تبكي بمرارة

كشحاذ صغير أضاع غلّة يومه

والريح تولول في الشارع المنعزل الموحش

كمجنون هارب

أما قلبي

فإنه يغفو على تراتيل حلم لا أعذب ولا أشهى

- ٢ -

ما الفرق

بين أحلامي وبين يقظتي؟

ما دام قلبي ممتلىء دوما

بأناشيد البحّارة المسافرين

وخفق الأشرعة المنشورة

وهدير الأمواج التي لا تنام..

كنز الشاعر

لو كانت الشمس لي

كنت حملتها على كفّي

ونشرتها منائر منائر

على دروبك، يا حبيبة

ولو كانت لي، لي وحدي

تلك النجمة البعيدة المتألقة

كنت أتيت بها من هناك

وزرعتها في دارك قنديلا لا ينطفىء

ولكني، يا فاتنتي

لست سوى عابر طريق

كل كنزي كلمات من القلب

أصوغ منها بيوتا من الورد

ودروبا من الريحان

وقمما تعوم في السماء..

أقوى.. من الفصول

يا حبيبي

ماتت الوردة الجورية

التي اشتريتها لي من بائع الأزهار

أما الورود التي قدمتها لي من حدائق قلبك

فإنها لا تموت

إن عطرها يفوح في كل الفصول

فما دخلت الى غرفتي مرة

إلا وامتلأت عيناي بألوانها الزاهية

وانغمرت حواسي بشذاها الطيّب

فاعطني ورد قلبك، يا حبيب

ولا تشتر الهدايا بعد الآن

من بائع الأزهار..

هتاف البيادر

كتبت لعامر خياط يوم مولده

لك عندي، يا عامر

حكايات كثيرة

حكايات بعضها يطوي عليه القلب جناحيه

يلفّه حول جيده

ويودّ لو يتركه ينفلت منه

ويكرج على الدروب السمر الطوال أقماراً ونجوما

لو أنه يرقص على جفون الأمسيات

نسيمات مخملية

وبعضها الآخر

طبع على وجنتي القلب

قبلة حب وحنان

وفرّ..

رف حساسين

ورف بلابل

ورف حمام..

مرة يا عامر

ذهبت في رحلة

على زورق من سنديان بلادي

حين كانت حبيبتي

تحيك للقمر قميصا

من ضياء عيني زنبقة في حديقتنا

وبعد غياب طويل

رجعت ومعي كنز من المرّ واللبان

هدية لعيني حبيبتي العسليتين

وقبل أن أصل الى داري

أخبرني الناس

ان حبيبتي كانت تملأ حياتها في غيابي

بالغناء العذب الجميل

وحياكة القمصان الملونة بألوان قوس قزح

وعندها.. ركعت في منتصف الدرب

وصليّت أمام الناس قائلا:

ربي افسح مجال العمل

للأيدي السمحة المعطاء

واجعل الأيدي القذرة طعاما للدود

دع الحناجر الحلوة تغنّي

وجمّد حناجر الغربان..

جمّدها يا الله

جمّد الأيدي القذرة

وحناجر الغربان

***

ومرة يا خالق الأعراس

في ليلة من ليالي كانون الماطرة

طرق مسمعي صوت بائع ينادي على المصابيح

بائع يعطي المصابيح بالمجان

وتطلّعت الى بعيد

فرأيت على قمة جبل عال

كوخاً معمرًا بالقناديل

ورأيت الجموع تركض بسرعة إليه

واندفعت تحت المطر

أشق قلب العاصفة

الي القمة

الى كوخ النور

وحملت قنديلا وعدت

وفي سفح الجبل الأخضر

وجدت امرأة ميتة

فتأملتها قليلا

ثم بنيت لها قبراً من رخام أبيض

وكتبت عليه:

هنا ترقد امرأة

ماتت وهي في طريقها الى مطالع النور

* * *

وماذا بعد، يا عامر

إن في قلبي جراحات عميقة

وأكاد أشلحه في الوادي الذليل

لولا أن الحياة

تطلّ علينا أحيانا من خلال الجراح

متوهّجة كياقوتة حمراء...

كل ما عندي من طيوب

سأرشه في كل مطرح من بلادي

في المدينة الكبيرة

والبلدة الصغيرة

والقرية المحفورة في قلب الصخر

وكل ما عندي من ورد

سأزرعه في الجنائن والحدائق

وعلى مفارق الدروب

وفي غدٍ، يا عامر

حينما تكبر.. حينما تصبح بعمر الكاميليا..

لن تهب العواصف على داركم

ولن تجتاح السيول حقولكم

ولن يمر عليكم الجدب

ستكون كل أيامكم للحصاد

لجني الثمار

وستظل بيادركم

تهتف لمواسم الخير والبركة والجمال...

مأســـــــــاة

لمن أعطيك، يا قلبي

يا أغنية جريحة في حنجرة بلبل سجين

لمن أعطيك

أيها المشرّد في شوارع المدينة المتألقة؟!..

ما مرة زرعتك وردة يرقص العبير في عينيها

إلا وبدّلت بوردة من الورق الملون

فهل تستطيع أن تصير ورقة مزوقة

وتعيش العمر بلا معنى

أم أنك ستظل كما أنت

وتعيش الحياة في مأساة؟!..

أواه.. يا قلبي

وجودك مأساة حقيقية مؤلمة...

القصيدة الخرساء

قلبي مليء بالمشاعر والانفعالات

مثل بحر زاخر بالأمواج المتلاطمة

وليس بمقدوري أن أنقلها اليكم يا اخوتي

إن الكلمات تختنق في فمي

وأجراس الشعر لا تقرع في دمي

وحكايتي طويلة وحزينة

إنها متروكة في عيني

شوكا ومطراً ورياحاً غربية

وليس بمقدوري

أن أنزعها من محاجري

كما أنه ليس بمقدوري أن أنقلها اليكم

الكلمات تختنق على شفاهي

وأجراس الشعر لا تقرع في دمي

أيامي أحجار يرميني بها الزمان

ووجودي خريف حزين

وتشرّد شاحب مخيف

عامان، يا اخوتي..

عامان كاملان

والألم يمزّق أعماق ذاتي

ويرمي بأزهارها للشحوب والذبول

آه.. أيها الألم

يا ألمي السرمدي الأصيل

كن الآن عدّوي

ابتعد عني قليلا

قبل أن أعلن ثورتي عليك

وأترك تمردّي يفقأ عينيك

لقد تعبت، يا اخوتي

لم يبق في قلبي شيء غير ممزّق

فاسمحوا لي

أن أعطيكم بعض حزني وتشردي

وأن أترك لكم أشعاري وبقايا حبي

فعلى الشاطئ الرملي البعيد

ينتظرني مركب وشراع أبيض

لا تطيلوا فترة الوداع يا أصدقاء

لئلا تنفرط عناقيد دموعي

وحينذاك قد لا أسافر...

أغنية للعذاب

منذ اليوم سأغنيّك، يا عذابي

كأنك قمر أخضر يكرج في سمائي

سأغنّيك

حتى يغنّي معي الهيكل المهجور

والقمّة التي تلطم بجبهتها الغيوم

لو كانت لي حديقة فل

كنت شكلت في شعرك الأشقر

فلة بيضــاء

وزرعت على جبهتك القمحية

حسونا بلون البحر الوسيع

هدية مني إليك

كي تتذكرني وتفكر بي وتحبني

أيها العذاب يا عذابي

يا زادي وملعبي وجناحي...

أرجوحة زهر للقمر

أين أنت، يا حبيبة

أين مكانك في هذه الأمسية القمراء

هل أنت على رمال الشاطئ الشقراء

تنتظرين حبيبك العائد

على زورقٍ من أرز لبنان

مذهب بأنوار هياكل الآلهة

أم أنت

على قمة الجبل العظيم

مـــع الله

في حديث لا ينتهي؟!

أم أنت على سريرك الدافئ

تنعمين بالأحلام الطيبة العذبة

أم واقفـــة

على شبّاك غرفتك الوردي

تحيكين من خيوط القمر

شيئاً تعطينه لأول عابر سبيل؟!..

يا حبيبة

مهما كنت تصنعين

وفي أي مكان تكونين

فقد علّقت لك وللقمر

في كتف نجمة لن تغيب

أرجوحة صنعتها من أزهار قلبي

وفي غدٍ، ايتها الأميرة السمراء

حين تصبغ ريشة السنين

شعرك الخرنوبي بلون زبد البحر

وترسم الأخاديد والتجاعيد

على وجهك النضر

قفي أمام داري

واسألي عني

وإذا ما قيل لك

عاش حزينا ومات حزينا

اذهبي الى قبري

وهناك بوحي للتراب

بما كنت تضمرين

وحينذاك

ستلدني الرياح مرة ثانية

وتعيدني الغيوم الى الحياة

لكي لا أموت أبداً...

دم على الرصيف

الدم والمساء على الدروب في المدينة

وقلبي، ههنا، يا مسافرة

يلهث مثل طائر ضاع عن عشه

في بحيرة الذكريات الزرقاء

ويدور في دوّامة مأساة استرجاع ذكريات

كلما عبّ ذكري

هطلت على دنياه

أمطار ذكرى أخرى...

* * *

حين صفّر قطار الرحيل في المحطة

وارتمت على الأفق البعيد

الوان الفراق القاتمة

كان علي في تلك اللحظة المشؤومة

ان أتعلّق بأجفان القطار المسافر

وان أسدّ طريقه بصدري وضلوعي

كان علي

أن أبلل بدموعي شعرك الناعم

ذاك الذي كان لأجلي

ينساب على الكتف الخمري

مثل شلال من الخرنوب البري

وأن أغرق بقبلاتي المجنونة

شفتيك الوثنيتين الشهيتين

والخد والخال والجبهة العريضة

بيد أن صفير القطار المسافر

ملأ أعماقي جنوناً ورماداً

وغيّب عني أنوار يقظتي

فبقيت وحدي في المحطة الموحشة...

* * *

ومن بعدك

يا ذات القميص البنفسجي

يومي ضيـــاع

وعمري أوراق باردة ممزّقة

ودربي شرود وعيون بلا جفون

ها قد تمزّق المساء، يا غالية

وتجمّد الدم على الرصيف الأسود في المدينة

وقلبي ما زال يدور

في دوّامة مأساة استرجاع الذكريات..

انكسار

بعضه تراب

وبعضه الآخر دموعٌ وليل بلا نجوم

ذلك القلب الذي كان

يدقّ كأجراس الكنائس ليلة الميلاد

حين كنت تمرّين من أجلي

وفي شفتيك طعم قبلاتي الملتهبة

ولعينيك رائحة الكروم والأمواج المحطمة

على شواطئ جزيرةٍ ما

كنت لي

كانت عيناك تتألقان

كالورد الجوري في الربيع

وقلبك لا يشبع من الخفقان بحبي

حتى الشامة المستوحشة على الخدّ

كانت تشهق بالزهر والعبير

حين كان فمي

يجلب لها الربيع والسماء الصافية الزرقاء...

وكانت ريشتي كطائر استوائي ملوّن

تفتّش عن النجوم والأمواه والحدائق

وتسأل عن الأقمار الخضر والصنوبر

لتحملها اليك أشعاراً وهدايا

وكانوا لذلك يكرهونني، يا حبيبة

فنفثوا علي سموم حقدهم

وأقاموا في وجهي أسواراً من الوحل

والضغينة والأظافر

كانوا يريدون أن أنساك

أن أنسى عينيك وشفتيك الوثيتين

وأكتب لهم عن الفقر والجوع

ان أسير بهم على الدروب الموحلة

الى الأكواخ المعمرّة بورق التين الحزين

والمنازل المتداعية الهرمة

حيث يعشش البؤس والحرمان...

كانوا يريدون أن انكأ جراحاتهم

وأغسلها بمياه البحر المالحة

ولم أهجرك، يا حبيبة

وما بحثت عن المناخات الدنيا

وظلوا يكرهونني

وبقيت أحملك في قلبي

أحدّق في الشمس

وأحلّق كالنسر على القمم الشامخة...

ولشؤونٍ صغيرة هجرتني، يا صديقة

تركت قلبي على شوارع المدينة السوداء

يذبل كوردة بلا اعتناء

بقيت تنتظرين غيري

لتعطيه أشياءك التي فتّحت براعمها بأشعاري

فيأخذها بكل غباء

دون أن يكون قادراً

على تفتيح براعم أخرى...

ولهذا أنا حزين وغريب

ولأشعاري نكهة الأرض المقلوبة في الخريف

أسير دونما رغبة

بلا أمل.. ودونما حبيبة

في قلبي جراح

وزنابق حمراء تموت...

خذوا قصائدي وضلوعي

واصنعوا منها جسوراً

تعبرون عليها الى موطن الشمس

أو سلالم تصعدون عليها الى الله

فإني أريد أن أبكي

أن أنتحب كالريح الشمالية في غابة بعيدة...

أيها الزقاق الذي

سفحت على أحجاره بعضا من عمري

وأنا أطلب المزيد من الأحزان والخمر والفوضى

وأبعثر أيامي كالتبن

واشتهي الأجساد الممتلئة والعيون الناعسة

سأضمك الى أشيائي

أيها الزقاق الموحل الضيّق

أنت يا نهر العلّيق

وصراخ الانكسار والخيبة والندم...

المتوحش

جئت بك، من بعيد

وزرعتك في دمي

ايها الوحش العملاق.. يا قلق

وتركتك تهزّ أعماقي

وتأكل من قلبي

بملء حريتي واختياري

مشيت اليك

بعد أن رفعت لك

على قمة أحاسيسي المرهفة

هيكلا جلبت أحجاره من مقالع ذاتي

لأعترف بك

عملاقاً متوحشا قاسيا لعينا

في كل دقيقة من دقائق عمري

أسرق ضياء عيني

لأوقده شموعاً في هيكلك

وأضحي بتلاويني وأفراحي

لأحرق البخور على مذبحك الذي لا يرتوي

لا خوفا منك ولا رهبة

بل طمعا في أن تردّ لي

بعض ما أعطيك

فيكون لي تلّة عالية

أطير من على قمتها

لأطوي جناحي على الوجود...

ان بي حنينا الى المجهول

وشوقا الى الرحيل

الى اكتشاف الأسرار

أنا جئت بك من بعيد

بملء حريتي واختياري

وزرعتك في دمي

عملاقاً متوحشاً قاسياً لعينا

أغنية للحرية

طر الى الآفاق الزرق

وراء المجاهيل

أيها الرحّالة الخلاّق

يا قلبي

وكن حراً كنجمة الشمال البعيدة

آه.. أيتها الحرية

أيتها الحرية

جميلة كوردةٍ في آيار

أنت أيتها السماء

المعجونة بالدم والريح والأحزان...

دموع ذهبية

كنت أتسكع في غرفتي

مع أوراقي وأحلامي وأحزاني

وفجـــــأة

هزّتني رعشة الشوق الى دنياك

أيتها الحبيبة

فخرجت الى الدروب

حيث كان القمر

يلعب مع الأشجار على الرصيف

والنجوم في الطريق كالغادات الساحرات

وهنا.. هنا

بكى قلبي كثيراً

فتركته وعدت من دونه..

تاريخ بلا عنوان

أيتها الأميرة المولودة مع تنهدات البحار

يا ساحلا يضجّ بالمرافئ وأحزان المسافرين

قلبي يحترق

يحترق في مجمرة الفراغ والتسكّع

واني لراضٍ باحتراقه

أنا مشدود الى هذه الحياة، يا حبيبة

أيامي تاريخ طويل من التهوّر والفوضى والمقابر

وتاريخي بلا عنوان

اني ادقّ بجناحي باب المجهول

ما زلت ارتمي على عتبات المغاليق، يا غالية

***

سفينتنا من زبد البحر

وربّانها أعمى

تسير كما تشتهي الريح

ولا مرساة لها

ونحن نبحث عن مرفأ أو جزيرة أو صخرة

طريقنا مسدود

عيوننا مغلقة

وأبعادنا يلفّها الصمت والخريف

فيـــارب

ازرع بالمحبة أعماقنا

اشعل الشموع في أقبيتنا المظلمة

واعطنا يا الله

اعطنا سفينة من الشمس

وملاحا في عينيه نجمتان

* * *

عذبة كاستراحة تحت صنوبرة في لبنان

بسمتك، يا غالية

شفتاك، يا فاتنة

شهية كأقراص العسل

عيناك جناحان يطيران بي

الى فوق

هناك حيث تسكر روحي

بأحاديث الله ووشوشات الغيم الأبيض

وتسعد نفسي

برغوة نبيذ الصفاء والجمال

❊❊❊

وفي غدٍ

إذا ما جرّحوا كبرياءك

إذا ما شوّهوا عذوبتك

إذا ما رضيتِ أن يفسدوا عليّ جمال عينيك

سأغادركِ وأغادر نفسي يا حبيبة

وأنا أغني

هلا.. هلا بك أيها الموت

أيها الطائر الأزرق الجميل

الذي يحمل بمنقاره الصغير

أغنية تسكب الراحة والطمأنينة في الأعماق..

الحصاد

حين يرن صوتك العذب في دمي
يرتعش قلبي مثل وردة جورية في الشروق
وتحملني أنغامك الخمرية
الى شواطئ بعيدة
ملفوفة بالعطر والنسيم
وحين تشرق عيناك بابتسامات الحب واللقاء
وتزهر العذوبة على وجنتيك
في أمسيات همسنا الطرية
تصير لي
سماء زرقاء
وقمراً أخضر
وشراعا بألف لون ولون
وحين تدق الساعة الواحدة بعد منتصف الليل
وتطل عيناي على هاوية الفراق السحيقة
تمتلئ أعماقي بالحزن
وتتغمر بيادر ذاتي بالوحشة والمطر

أواه.. كم أود في هذه الآونة

لو يتجمّد الزمان

لو يكون كسيحا

لو أنه لا يسير الى الساعة الواحدة

****

الى شفتيك المضمختين بشذا الأقحوان البرّي

الملوّنتين بدم الشروق المسفوح على الآفاق الوردية

الى قبلة طويلة

نغيب خلالها عن عالم المحسوس

سأظل أحنّ حنين الليل للصباح

وأشتاق اشتياق التلال للربيع

فاعطني قلبك الذي يغنّي باسمي

يا حبيبتي

اعطني شفتيك الممتلئتين رغبة وفتنة

فقد نضج موسم حبّنا الخصيب

وحان موعد الحصاد..

غيمة قد تمطر

قلبي الآن مثل برج مهجور

تلعب فيه الوحشة وهبّات الثلوج

فمن يهز قلبي؟ من يهزّه؟

من يعيده كما كان

حدائق ورد

ومنتزها للعصافير والحمام

تجمّعي.. تجمّعي

ايتها الغيوم السود في سماء قلبي

فقد تمطرين على حقولي في كانون

وتجلبين معك

مواسم الخصب والخيرات..

أحزان في ليلة ما

عندي خبز وسمك وتفّاح

وفي خابيتي نبيذ

وفي كرمي معصرة زيتون

فلا تذهبوا باكراً، يا اخوتي

سأحكي لكم حكايات كثيرة

أتذكرون عرس قانا الجليل

حين تحوّل الماء الى خمر

حين امتلأت الخوابي بالخمر

أتذكرون حين وقف المسيح على طبرية

وأطعم خمسة آلاف

من سمكتين وخمسة أرغفة؟!

لم يطلع الفجر بعد، يا اخوتي

وما زال عندي خبز وسمك وتفاح كثير

وما زالت خابيتي ملأى بالخمر الجيد

ومعصرة كرمي تدور

***

في ليلة ما

سكرت وبكيت

وسهرت في الطريق حتى طلعت الشمس

كان ذلك يا اخوتي

حين تهدّم الجدار

وبان ما وراء الجدار

حينذاك شعرت كأني طعنت بألف

ألف خنجر

فماتت البيادر والحقول في أعماقي

ونسيت عرس قانا الجليل والمجدلية

* * *

أيها الحب.. يا نهراً همجي الجريان

ايتها الخطيئة الأسخريوطية اللعينة

وأنا مستلق على بساط الأحزان في المدينة

أقرع بجبهتي أجراس الشعر والقمم السمر

وأربط عرياتي المذهبة

بأجفان الريح والنجوم

ابحث عن زجاجة خمر

وبغي اشتريها

لأغسل بدموعي

نهديها الذليلين

المعلّقين على صدرها ككرتين من اللحم الميت

لأبكي كالطفل على جسدها المدمّى المبيع

وابحث عن الله والقمح والمرافئ

وعن جيفة يسمونها الوفاء

***

بردى.. أيتها الأغنية المحفورة على جباه النسور

الحوانيت مغلقة

والقناديل مطفأة

والشوارع موحشة ومحرومة من المطر

اطلع يا بردى غيما أسود ورجالا

اطلع صلبانا ونسوراً وريحانا

واملأ يا نهرنا

املأ جوّنا بالريح الشمالية والغيم والمطر

***

وفي غد

خذوني الى تلة عالية تلامس السماء

وارفعوني هناك على الصليب

ثم ازرعوا حولي ورداً أحمر

فإني أحب أن أموت

وعيناي تحضنان العالم

وصدري ممتلئ بالطيب ومفاتن الجمال..

بستان في الشتاء

مثل بستان صغير في الشتاء
تتكدس فيه الثلوج أغماراً أغماراً
وتلعب ريح الشمال
بين جوانبه المهجورة
كذلك قلبي ذاك الذي كان مرجاً
تستلقي عليه الشمس والربيع
وكان بحيرة زرقاء
تتهادى على صفحاتها النسائم والأشرعة
يا أسمري الحلو
قلبي بعدك نجم مرمّد
وابتسامة من شفتيك
يعرّش الصباح على الشباك الكئيب
ويضحك الحبق في المزهرية المهملة..

كتابة على باب المدينة

في ليلة مـــا

أويت الى فراشي

متعتعا من رحلة على أجنحة الشرود

فنسيت أن أكتب اسمي على باب المدينة

ومع الشهقة الأولى للفجر

جاء غريب

وكتبه بالرمل، يا حبيبتي

وحين مرّ موكبك المضيء في الصباح

لم يقف ولم يسأل

لأن الريح كانت قد بعثرت الحروف

ومحت معالم الكتابة

****

وفي مرة ثانية

قضيت ليلتي في الطريق

أطارد امرأة بلا معنى

وحين أويت إلى فراشي

نسيت أن أكتب اسمي على باب المدينة

فجاء غريب،

وكتبه بالثلج، يا حبيبتي

وحين مرّ موكبك الأنيق في الصباح

لم يقف ولم يسأل

لأن الشمس كانت قد ذوّبت الحروف

ومحت معالم الكتابة

***

وفي ليلة ثالثة

قضيت ساعاتها كلها

وأنا أتذكرك وأحبك

ومع الفجر

طار عصفور من قلبي

وكتب حروفي الأولى على باب المدينة

بالدم والحب

ومن يومها، يا حبيبة

والحروف تغالب العواصف

وتغلبها..

أنت والخريف والنسيان

تلك الليلة

حين عربدت رياح الغضب

ودقّت باب كوخنا الأخضر الجميل

بمطارقها الفولاذية اللعينة

كان علينا آنذاك

أن نبقى هادئين صامدين

بيد أننا فتحنا بابنا للرياح

فامتلأ كوخنا

بالغبار والوحل والظلام

***

ومن يومها

مات القمر في سمائنا

وانطفأت النجوم

وصارت حياتنا أنهاراً لا ماء فيها

وصحارى مرملة بلا تخوم

سأضمّك بحنان يا هذه الأيام

المليئة بالجراح والأوجاع

سأضمّك الى صدري

هذا الذي يحمل في حناياه
قلبا يسع الدنيا
إذ ليس أحب الي
من رحلة أجوب خلالها الوجود
على أجنحة الحزن الزرقاء

*****

بعدي، من سيغنني يا حقودة
للخال والعينين الشماليتين الواسعتين
من سيقيم المعابد الأسطورية المضيئة
للنهدين الصغيرين المتوحشين
ويحرق البخور والشرايين
للشفتين الممتلئتين الملتهبتين
وأسفاه
حين تمرّين أمامي
ذابلة شاحبة
مثل غيمة تشرينيّة عابرة
قلبي يبكي
حتى تتلاشى دموعه
في أعماق رمال النسيان الشامل..

يوم كنت ساحراً

الليلة

استطيع أن أكتب لكم عن كل ما تريدون

استطيع أن أقول لكم

ان قلبي مركبة محمّلة بالأحزان

وان ليل المدينة

نهر من العصافير منتوفة الأجنحة

وان المقهى كوخ من ثلج

والدروب حانات من الخشب والبغايا

والآفاق برك للشوك والزبد والأظافر

***

أعرف أن القمر

ليس إلها وثنيا

له شعر أشقر

وعينان بلون البحر

وان الشمس ليست بحيرة تستحم فيها النجوم

وان الذبابة لن تصير لبوة

وان الأفعى لن تصير حسونا

ولكني أعرف أن السحرة كثيرون

وانهم حين تمتلئ العيون بالرماد

يستطيعون أن يسوّوا

من البعوضة نسراً قويّ الجناح

ومن الأفعى أميرة في قصر من الزمرد

* * *

بعض ما عندنا معروض للبيع في الأسواق

الحب والأجساد والعيون العسلية

بثلاثين من الذهب الأصفر

تشتري ما تريد

وبألف ألف خفقة قلب

وبألف ألف رفة جناح

لا تشتري ابتسامة

* * *

لا مكان الآن

للنبوغ والشاعرية، يا قلب

الدرهم وحده مفتاح الحياة وكاشف أسرارها

فعش بعيداً أيها العصفور الأزرق

مع الغمام الأبيض

في الموطن الذهبي

أو فاهبط الى التراب

وافخر أنك تعيش

دونما هدف وبغير حبيبة

وقل أنك سعيد

وأنت تسامر الوحشة والغربة والجراح..

بعد ما أعادت الخاتم

-1 -

أين تمرّين تزغرد الرؤى

ويرقص القلبُ

تتزرع الدرب

فلاً وريحانا

وخاطراً حلواً ونيسانا

ويمحى من بعدك الجدبُ

- 2 -

لأنك في الوجود

كان الوجود خيراً وعطاء

وكان للزمان موسم الربيع

ولأنني احبك

أحب أن أمزّق الغيوب

أن أترك غبار أقدامي على جبهة المجهول

- 3 -

بعدك لي حزني وتمرّدي

لي صمتي الطويل

لي جناحه الذي يحملني

الى دنى ممدودة وراء الأسوار القائمة

عند التقاء السماء بالبحر

- 4 -

من التراب والنجوم

يا أصفرُ

يا خاتمها المدوّرُ

يا عينيّ المفتوحة على الدنيا

- 5 -

من مخبري

أيهما أغنى

أيهما أخصبْ

قلبي أم الوجودُ؟

- 6 -

عرّش على شباكها

يا زهر

وأغفُ هناك

على أحاديث عينيها الواسعتين

وأحلم بقارب مسحور

لا يتعب من الرحيل

عرّش ولا تخش الخريف

ففي أنفاسها ماء الحياة

ومن يشرب منه

يغلب الخريف ويقهر الموت

- 7 -

يوم رحلتِ

سكر المساء بخمر جراحي

فنصب خيمته ونام في قلبي

يا حبيبتي

ومن بعدها

عمري أكواخ من ثلج

في كون لا شمس في سمائه

فمتى ترجعين

ايتها الحبيبة الهارية

ليرتمي الكون أمامي حقلا من زهر

تنام على زنده الشمس والعصافير

- 9 -

سأحمل ذكراك في دمي وأمضي

وعلى صدري سنديانة ومعبد

وفي يميني طوق من ياسمين

أكتب لك الأشعار الحزينة

وأغني لعينيك من أعماق ذاتي

عيناك يمامتان، يا يمامة

هديلهما ينسيني أتعابي

في رحلتي الموحشة

أنت يا أعذب زورق يسافر معه قلبي

- 9 -

أسير وعيناي، يا ربة الشعر

مسمّرتان في البعيد البعيد

تسألان عن أربعة ينابيع بيضاء

عن أربعة فرسان سود

عن خمسة وعشرين غيمة خضراء

أواه.. أي مساء يلفك الآن بمنديله

أي فراش من إبر

تتقلب عليه، يا قلب

يا عاصفة أيقظيه

يا سماء املأيه

إنه نائم وحزين

- 10 -

سافري، رافقتك السلامة

يا حبيبة

إني أهديك نجماً يضيء لك الطريق

وريحاً توجه شراعك الى الشاطئ الأمين

مقابل هداياك لي

يا جراحي العميقة

يا نكهة العذاب في قلبي

- 11 -

ها مركبة الموت

تحمل أعمارنا الى أعماق الظلمة الحالكة

أقمار.. نجوم.. شرايين

ومساكب ورد أحمر

كل ذلك للتراب والنسيان

يا حرية أطعميه

إنه جائع ومشرّد..

بينه وبينها

عيناه ذابلتان كوردتين على الرصيف

وشفتاه باردتان كهبّات الثلوج

فمن أين استعار قميصه

مساء ذلك اليوم من حزيران

أمن الخريف أم من الشتاء؟!

قالت:

مع أن ذلك المساء

نشر راياته السود على شبّاكنا

ما زالت قناديل حبّنا متوهّجة

وأجراس الشوق تقرع في أعماقنا

ولكن دعنا هذه المرة

نقف على قمة جبل العذاب

ريثما تسقط علينا صاعقة

فإما أن تشطرنا

وإما أن نعود

لنمزّق الرايات السود المنشورة على شباكنا

وقال هو:

لماذا نسكن خيام العذاب

دعينا نؤمن أننا أقوياء

فننطلق الى ميناثنا الزمرّدي

لنبحر الى الجزر التي تنام

على غناء الأمواج وطيور البحر

لكنهما صعدا بصمت الى قمة الجبل العظيم

وسكنا خيام العذاب

وحتى الآن

لم تسقط الصاعقة المجنونة..

حنين إلى بيت لحم

كان لا بد مما كان

وامتلأت آفاقه بغيوم سود

أمطرت على دنياه

أمطاراً أطلعت الشوك والعلّيق

وحين أدرك أنه لم يبق له

سوى الزبد وطعم الرمال

طفرت من عينيه دمعتان

فودّع أهله وأصحابه

وسافر في ليلة ما

على جناح نسر الحزن

الى حيث لا يدري

❋ ❋ ❋

وحين استقل جناح نسره الرمادي

لم يغادر مكانه أبداً

وإنما ظل يصلب أيامه وأحاسيسه

في المقهى والحان والدروب المسدودة

ولكن أشواقه هي التي سافرت

وأي مأساة أعمق

من مأساة إنسان

يعيش بجسده في مكان

بينا تسكن روحه في مكان بعيد عنه

***

أيتها الغربة

أيتها الغربة الحقيقية المؤلمة

متى تسافرين في قطار الشمال

ليسافر هو في قطار الجنوب؟!..

ان به رغبة أكيدة للخصام

أيتها الغربة

ها هو الآن يتحداك

ويلقي بقفّازه في وجهك الكريه

فاقبلي التحدي

وحدّدي موعداً ومكاناً للقتال

كل ما حوله بارد وحزين

وتحت أجفانه أغنية ثقيلة كالتعب

هو والحب لا مكان لهما في الهيكل
بعد ما صار سوقا للبيع والشراء
لأنك غائب، يا سيدي
ولأن غيبتك قد طالت
نسوك.. واعتاداوا على هواء المقابر
ونسوا أن الحب عصفور أزرق
يرفّ بجناحيه على الوجود
وانه نسمة قادمة من أعماق غابات الله
فعد أيها السيد الكبير
واجلد بسوطك القرمزي
باعة الحمام وتجّار الروح
واطرد الصيارفة من الهيكل المقدّس

❋ ❋ ❋

كان عليه أن يكون متوحشاً
حين رأى ما وراء الجدار المجصص
فيبصق على الوجه الذي أحبه
ويدوس بقدم الوحش على حبه
ولكنه تساهل وغفر

فناله من الأذى والمتاعب

ما يكفي ليهدّ جبلا يناطح السحاب

* * *

انه يتذكر الآن ويبكي كالطفل

في جيبه صورة حزينة لعينين شماليتين

وفي فمه طعم قبل كانت شهيّة

وعلى كفّه بقايا خفقات لنهد أسمر

يا ليت

يا ليت لو ينسى

لو يمتلئ فمه بالشوك والمسامير

لو تموت بقايا الخفقات على كفّه

لو أنه يستطيع أن يمزّق الصورة الحزينة..

ساعة ولكنها... لا تدق

صفراء كالغربة

هذه النهارات التي تولد وتموت

بلا شمس

وثقيلة كالوداع

هذه الليالي التي تمرّ

الحاملة طعم التراب وظلمة العدم

وأنا اتسكع في المدينة

ولا مكان لي

ادخن وأشرب الخمر وأطارد النساء

واشتهي أن يكون لي اسم

وبيت تتكسر على جدرانه الأمواج

***

الزمن بخيل

ونحن جياع

أنا وقلبي وحبيبتي الغائبة

نبحث عن موسم وبيدر

ولا مطر في سمائنا

لماذا نحن جياع

لماذا سماؤنا لا تمطر

لماذا ساعتنا لا تدق؟!

***

أيتها الحبيبة التي على الضفة الثانية

يا حبّة من التراب

قلت لها كوني فكانت أسطورة

يا معبداً عمّرته من مقالع الوهم

على مهل بعد منتصف الليل

اسدلت الستائر الخضراء على الشبابيك

وأطفئت المصابيح في غرفة ما

ثم عوى ذئب

حين عبرت الشارع سيارة مسرعة

***

دمشق أيتها المدينة الوردية المزروعة

على قمّة الدنيا

وأنا أنام في عربة من جليد

على فراش أسود كالفقر

أشيّع أحلامي

التي تموت واحداً اثر واحد

أبحث عن هديّة أو ضحيّة

أقدمها لك

ايتها الاسطورة

* * *

آه... ألا ليتني

درب ممدودة الى آخر الأرض

على جانبيها أشجار الاكاسيا والزيزفون

يسير عليها الناس

وهم منغمرون بالبهجة والمسرات

أو غيمة شتائية

تمطر على السهول أيام الجفاف

لتمتلئ الأرض بالمواسم والخيرات..

الشوك والورد

مغرية كالكسل

انت يا حبيبتي الشاحبة

رغم أن الخريف يلفك الآن يا بعيدة

من ألف عام

كنت في ضميري قنديلا لا يخبو ضوءه

وستبقين في ضميري

الى ألف عام

كما الأمواج في البحر

وكما النسيم على التلال

ستون يوماً، يا غالية

ستون يوماً وأنا أصلي

والثلج ما زال يتساقط على قلبي

والشوك ما زال يغلب الورد في حديقتي

آه لماذا علي

أن أمزّق ذاتي وخاصرتي

وأن أمضغ أعصابي وأحاسيسي

لماذا علي

أن أكون حفّاراً للقبور وحارساً للمقابر

كي أفرفط النجوم على البيادر

وأزرع الأقمار في الأكواخ

وأشق الطريق الى القمم السمر العالية

لماذا علي

أن أوقد أيامي شموعاً على مذابح القلق

وأطعم عمري لحيتان الضياع

لماذا علي

أن يبكي قلبي

وأن يكوى ويشوى

كي أرشّ الطيوب على الدروب

وأرفع المنارات على المرافئ

واملأ الأهراء بالقمح والغلال..

كان يجب أن أموت

أيام كنا يا حبيبة

نفرفر كعصافير الجزر الناعسة

ونحن نغني للبحر.. للسماء.. للنجوم

كان يجب أن أموت آنذاك

أن أمنح لذة الموت

في لحظات الانخطاف والاشراقات..

اعتراف

عمرّت لك كوخاً من ياسمين

وفي ساعة غضب

اشعلت فيه النيران

وحين بحثت عنك في الرماد

عثرت على قلبي

يا حبيبتي...

***

قطفت ثلاث نجمات

وصغت لك منها عقداً

وفي ساعة جنون

حطمت العقد الجميل

وحين بحثت عنك في الحطام

عثرت على قلبي

يا حبيبتي...

***

ذهبت الى جزيرة بعيدة

ومن تتهد الموج على شواطئها

نسجت لك قميصاً

وفي ساعة غيظ

مزّقت القميص الملون

وحين بحثت عنك في النتف

عثرت على قلبي يا حبيبتي

***

اشتريت لك ضمة ورد

وفي ساعة ثورة

دست بقدمي على الزهر

فكنت بذلك

أدوس على قلبي

يا حبيبتي...

***

حين أغضب وأحنق وأثور

لا تحقدي علي يا غالية

فبعد انطفاء ثورة الغضب

يعربد قلبي على قلبي

وحينذاك أعود اليك

لأبلل شعرك وصدرك

بدموع الندم

مقابل صفحك وغفرانك..

تحت سماء آسيا

قلت لكم

قلت لكم، اليأسُ أغنيةٌ

يردّدها نبي

قلت لكم، العصر مركبةٌ مشتْ

على دروبِ النفي والتغرّب

قلت لكم

اليأس أغنيتي

العصر مركبتي

والشعر أمنحهُ غدي وحنجرتي..

دوامة الفصول

بكيت في مآتم الفصول

نشرت راية الألم

رقصت في مواكبِ الفلال

غنيّت للغابات للسهولْ

وكنتُ فارس النَغَمْ

صَعَدّتُ للقِمَمْ

سافرتُ في زوارقِ الخيالْ

مشَيّتْ

على دروب الخيرِ والنضالْ

جَعَلْتُ من أضالعي دريئة

للإثم والخطيئة

لكنني بقيتْ

دوّامةً تدورُ في متاهةِ الفصولْ..

قلب بلا عواصف

منذ قبلت الكلمة

وأنا في المدينة الكافرة

بلا أهل ودونما أصدقاء

أتسكعُ على الأرصفة تحت المطر

أشدُّ على معدتي

وأدقُّ الأبواب والرؤوس المجصصّة

وعلى شبابيك السيارات العابرة

تتزحلقُ نظراتي الحائرة

علها تقعُ على فخذيّ امرأةٍ شهيّة

أحلم بهما

أو بمثيلهما

عندما أنزوي في مكانٍ ما

لأحسَّ حينذاكَ

أن الكونَ عصفورٌ صغيرٌ

يبني عُشَّهُ على جبيني

أنا النسر المتشامخ الجريح

والقلبُ الخائنُ الذي يحضنُ القارات

***

يومي تافهٌ وساعتي عاقر

أدور في دوّامة الضجر

أمضغُ قلبي، فمي، رئتي

وأبصقها

أمضغ أشيائي وأوجاعي

وأبلعها

ومن أعماق التفاهة أقف

لأرصف ضلوعي دروبا

لأعلّق عينيّ منائر

فأضحك

وأسلّمُ ساقي للريح

آه.. الريحُ... الأفق اللازوردي

آه... خسرت وزناتي العشر

نهاية الطريق حفرة

فاقتربي اقتربي

أيتها الصغيرة المتوحّشة

أنت يا حبة القلب

ويا طيره الاستوائي الأسمر

* * *

بلا رغبة أعيش

نزلتُ الى أعماق البحر

ضربتُ قاعه بجفوني

صعدتُ

قرعتُ باب الشمس

فتفجّر نهرٌ من الخرق البالية

ما همني الوجودُ المصيرُ

ما همني الذي سيكون

مظلتي تمزّقت

رايتي خليّة يعشش فيها السرطانُ

آه... تعبت

قلبي يعيش بلا عواصف

وعلى شبابيك ذاتي

ترفرف عصافير الموت البنفسجية..

أغنية للضجر

عندما يرسو زورق الضجر

في مرفأ القلب

ويعسكر بحّارته في حاناته العجيبة

أي مدى ينشكّ

أمام العين المغسولة بالملح والأحلام

وأي طريقٍ تمرّ عليه الروحُ

عندما يرسو زورق الضجر

في مرفأ القلب

* * *

أيها الضجر.. يا ضجري اللعين

أيها الدم المتخثّرُ في رئتي

وأنا أجرٌّ ورائي

جراح انكساري

أجراسا ينفتح على رنينها

باب كون العذاب

أبحثُ لك

عن خنجرٍ، أو سرير

من الزهر، أو الحرير

إيها الضجر

يا ضجري الشرّير

***

آه.. على عاصفة

تحمل الزورق الأسود وبحارته الشياطين

بعيداً عن المرفأ

بحيث يصيرُ للقلبِ

دربٌ الى الشمسِ

تلمعُ كنهرٍ من الياقوت الأخضر

الفارس ذو الشعر الذهبي

حياتنا سأمٌ

ندورُ في دوّامةٍ

وعلى صدورنا تعبرُ قوافل الجفاف

بلا ألم

نتلوى تحت سياط التيه

فراغ

أرصفةٌ جباهُنا

مرافئُ حزينةٌ

ترسو فيها الزوارق المحطّمة

بلادة

قلوبنا طاولاتٌ ومقاعدُ عتيقة

حيث الكسل والتثاؤب

حيث السأم

فارسٌ ذهبيّ الشعر

لصليل سيفه

صدى وقع أقدام الغُزاةِ

على الجباهِ اليابسةِ..

ستون كلمة للجراح

كنت أحب أن أغني

بقلب أكثر فرحاً

من حقلٍ يموج بالسنابل

لكن سمائي

معتّمة

وكلُّ ما حولي

بحرٌ تحدّته الأعاصيرُ

فهاجَ.. وعربدَ.. وثار..

أيتها الجراحُ

أيتها اللامعة كالخناجرِ المسنونة

كوني المنارات التي تهدي سفينتي

الى الشاطئ الزمرديّ المتألّق

أو كوني الوباء الذي يحملني الى أعماق الظلمة

فالمعاصرُ تدور على لا شيء

والخيلُ تجرّ عربات سنيّ القحطِ واليباس..

ترابٌ ومرارة

الرمح يرتجف ويستقرُّ في القلب
والرغبة تتلوّى تحت الجلد
وتهدر كمستعمرةٍ افريقية ثائرة
أيها الشباب الذي يسير
على أطلالِ المدنِ الكبيرة
حيث الجوع والبغي والأجساد العارية
ورائحة العطر والمحارم الحزينة
أيها الشباب الذي يشبهُ النسر
يا قمةً من التراب والحلم والمرارة
هل أحببت امرأة؟ لا
هل نسيت شيئا؟ لا
هل أخذت شيئا؟ لا
مسافرٌ كما النهرْ
يعشقُ البحرْ
ليضيعَ بين أمواجهِ الصاخبة..

الأحصنة الأصيلة

حارٌّ كالدمعةْ

ذاكَ الذي تُطقطقُ

على أرصفتِه أقدام الليل والاغترابْ

ذلك الأكثر صفاءً

من وردة حمراء على رابيةْ

أيها القلبْ

يا فردوسَ الإثم والخطايا

يا قارورة الشعرِ والنكباتِ القرمزية

لا أعلام لك

للثيران ذات الجباه المنخفضة

مجد الحياة

لحوافر البقر الوحشيّ

ثمار الإنسانية..

* * *

الجوعُ حاضنةٌ تفرّخُ الدقائق والثواني

التسكعُ سرطانٌ في الدم

وأنا أعدو كالأرنب المذعورْ

فدعوني أعدُ كالمهر الأصيل في البادية

دعوا أكتافي تلمع بين الأسنة المحاربة

دعوا شُعلة قلبي تغمر العالم

****

وأنا أتلوّى كالأفعى الجريح في الشوارع

وأهرب من أمام الحوانيت

وباعة التبغ والجوارب

ومن خلال الصمت والمقاعد المهجورة

والتنهدات اليائسة التي تضيعُ بين الأشجار

ألمحُ عينيك

وقد تألقت فيهما

أضواء سفينةٍ مبحرةٍ في الليل

فأتذكر أني تحت سماء آسيا

تحت هذه اللوحة المدهونة بالخمر والمقابر

حيث في بلد عجوز بلا أثداء

لمجتمع الحفر والمستنقعات

لسوق الدلاّلين المغمور بعطر العواهر

تصنع الأكاليل وتحمل المباخر

***

أيها المجوس

أيتها الصناديق المحشّوةُ بالتفاهةِ والجواهر

ماذا تعرفون؟

عن النوم العميق

في لطوات العمارات الفخمة

عن معنى اشتهاء حاجة ما

إن ملايين نوافير العطر

لن تستطيعَ محوَ روائحكم الكريهة

***

أي مساء وحشيّ

أي سفرٍ بلا حقائب

أيّ طريقٍ تسلكهُ الروح الثائرة

العصر مقلاعٌ يقذفُ الحجارة

الدم يسيل

ولا محرمة توضعُ على الجرح

آه.. يا قلاعَ البؤسِ الرهيبة

آه.. يا رماحَ اليأسِ القاتلة

آه.. يا محارمَ الوداع الحزينة

إن نعاساً حلواً وعذبا

يهومُ على أهدابي

الساعة تدق الثانية صباحاً

الى اللقاء أيتها الأرصفة الحبيبة

أنا مثلك في الريح

في ظلالِ الخيبةِ استريح

الجراح أحصنتي الأصيلة

عليها أسافرُ وحيداً الى آخرِ العالم.

دقات الجرس المذعور

النيران تنطفىءُ في المواقد

الفشل يبعدُ الله عن القلب

أيها الليل

يا فارسَ النهودِ والشفاه الزهرية

يا نهر الدم والنجوم القطبية

لا دموع في العين

الايمان يغيبُ كالزورقِ المسافر

غريباً أتيتُ

وغريباً سأذهبُ

على صدري خيمةٌ بلا سقف

وفي فمي كلمةٌ لن تُقال

****

مع صياح الديك استيقظ

بلا رغبة، أرنو الى الوجوهِ الكالحة

وأتعاركُ مع التبغ والضجر

والتحرّق على ركبةٍ مضيئةٍ كجبهة الشمس

وعلى المقاعد الخشبيّة

في الحدائق العامة

أحدّق في الفراغات

وأنهمرُ أمطاراً سوداءَ بلا حِسّ

حتى إذا جاء آخر الليل

أجرّ ذاتي الى الغرفةِ الباردة

حيثُ يتعانق الثلجُ والأجراسُ الحزينة

وحيث تُهرولُ على الجدارِ الأحمق

آلافُ الصور المشوّشَة

عن الحبِ والوطنِ والبغايا

عن الجوع والتشرد والأزمنةِ المائلة

ولكم غَمغَم قلبي بالبكاء

على رُكام المغامرات المقهورة

أنا كلّ العيون المتزحلقة على الأفخاذ العارية

والجبينُ العريضُ الراكض بين النجوم

***

أيها المنفى

أيها الحادُّ كالنصل

قميصُ الليل تمزّق

فالعتمةُ طوفانٌ يغمرُ وجهَ الأرض

جبالُ الملحِ تنهار

افتحوا لي صدوركم

اغمروني بدفء أهدابكم

غداً تختنقُ حناجر المرافئ

حينَ تبتعدُ الغيمةُ السمراء

لتسقطَ في مكانٍ ما

من أرضِ القارةِ السوداء..

الكذبة المعطّرة

هزّي في الوحلِ
يا أهداب المجدِ
وانكسري أمام الريحِ
يا رماح المستقبل
الدود يصهلُ على الأرصفة الزرقاء
والموتُ يزّنرُ
خصر المدينة الجائعة

* * *

وجه الأرض مُجعّدٌ
وذو أنيابٍ لا حمَةَ
وأنا أرقبُ طلوعَ الشمسِ وغروبَها
وأعلمُ أن الزمنَ
عربةٌ فارغة
تجرُّها خيولُ الموجِ الى الخلجانِ المنسّية
وأنني قشةٌ في الريح
أسيرُ مرغماً

وراءَ العربة الفارغة

وملء فمي ضحكة عريضة

تتزلقُ على الوجوه اليابسة

المحمصّةِ بفرنِ الخلودِ الزائفْ

***

وأبداً يا أصدقائي

يتدحرجُ الفراغُ على جبهتي

أحجاراً مروّسةً

يوقظني على رنينِ معاولِ الكذبة المعطّرة

التي تسمونها الذكرى الباقية

وحينما تتفتحُ براعمُ صمتي

في ظلام الغرفة الخاوية

أزهاراً تنشرُ الحزن والوحشة

الوحشة والتلاشي

لا أدري أيّ سرٍ

يُرغمني

أن أظلَّ قشةً

وراء عربةٍ

تجرّها خيولُ الموج الى الخلجان المنسّية

***

فيا أيها المعجبون بقصائدي العاطفية

المسافرون معي

على مركبة أحلامي المجنونة

أيتها العذارى اللواتي

يسكرن بأريج الحب والبخور

المحترق في قلبي

بعد موتي

لا أريدُ قبراً رخامياً ولا رايات

بل خذوا جسدي

وأطعموه لأسماك البحر

واعطوني كوخاً صغيراً

أنام فيه

مع لفافات التبغ والصور العارية

وبعضٍ من خفقات قلوبكم العاشقة..

هدير

هديرُ البحر

هديرُ المرارةِ في القلب

أيتها الخيالات الآثمة

التي تتراقصُ في سماواتيَ المجنونة

يا أفكاريَ السود الملعونة

أي أجراسٍ غريبةٍ

تدقّ في رأسي

يا مرافئ

أطوي جناحيك عليه

إنه بحارٌ بلا سفينة

رغباتهُ غيومٌ

وأحلامهُ بخارٌ

يضيعُ بينَ الصخورِ المروّسةْ..

باسمك يا أجراس

باسمك يا أجراس

باسمكَ يا ترابنا

باسمك يا خريطة الدموعِ في أحداقنا

تسقطُ جمرةُ الحطبْ

تسقطُ في عباءةِ الأطفالْ

جوهرةٌ نادرة المثالْ

ورايةٌ من ذهبٍ وماسْ

باسمك يا عذابَنا

تسقط جمرةُ الخيال

تسقطُ في المياهْ..

عربة النهار

وانهار الجدار

الرؤيا واضحة

سراجُ التاريخِ بلا زيت

ضوضاءاتٌ ولَعناتٌ مُبهَمَة

وسماواتٌ معتمةٌ

عائمة في الدموع

آه.. متى تمتلئ عرباتُ النهار بالشمس؟..

مسافر

يحنُّ للسَمَرْ

يحنُّ للسَحَرْ

لغنوةٍ تتسابُ من حناجرِ الرياحْ

في ليلةٍ سيّدها القمرْ

لكنهُ مسافرٌ

يسألُ عن مواطن غريبة

عن لغة يسألُ عن لسان

يبحث عن حبيبة

يُطعمها الأشعارَ والجراح

يطعمها الأحزان..

جرس مخنوق

في الدم خنجرٌ ورمح
وفي الحنجرة جرسٌ مخنوق
وعلى الصدر ثقلُ سنيّ القحط والعار
أيتها الأحلامُ المائلة
يا أحلام شاعرٍ منكسر
لقد كان على النجوم
أن تتكئ على جبيني
وعلى الورود أن تتفتّح لأجلي
والآن لا عمل لي ولا مأوى
لا لون ولا رائحة
أيتها الحرية
ابحثي عنه
على ضفاف البحيرات الزرق المجهولة
ويا أنفاس أشجار الأكاسيا
كوني له حكاياتٍ وأغاني
ومرّي عليه
أشعاراً وصلواتٍ حزينة..

العشاء الأخير

اقتربت ساعة الصفرُ

قلبي يحتضر

وجبل الزيتون قد انمّحى

المرضى والعميان يملأون الطرقات

والسيدُ لا يمسحُ الجباه بمنديله

ولقايين، هذه الأكاليل الورديّة

للوط، هذه الأناشيد والأغاني القرمزيّة

للفرق المنهزمة، هذه البيارق المرفوعة

للوثن المنقوع بالعار

هذه المباخر الذهبيّة

* * *

آه.. ليتني لم أحمل سريري وأمشي

فمي مشتاقٌ لكسرة خبز وجرعة خمر

الكتبة والفريسيّون يحكّون جرب الجماهير

وغداً يُسلِّمُ السيدُ للصلب

يا حامل الجرّة الفخارية

أين الطريق الى العلية الرائعة

على غناء جرحي العميق

أسافرُ وحيداً بلا عزاء

سفينتي من ورقٍ

ومرفأي نقطةٌ على خريطة الوهم

ثماني شهورٍ بلا رداء

ثماني شهورٍ بلا مأوى

ثماني شهورٍ وأنا أحملك معي

يا وطني

أشمُّ رائحتك

وأشتاقُ لعينيك

لصوتك البنفسجيّ الحزين..

أواه.. يا وطن قلبي

يا محرمتي الصغيرة الخضراء

أواه كم أخافُ أن تتمزّقي

على أطراف ياقات قمصانهم اللامعة

أولئك الوالهون بالجاه والمركز العريض

كم أخاف ألا أحملك معي

أيها الطفل المكسور الخاطر

والجناح المقهور بالخطابات والأغاني

أبداً أسأل عن سيلٍ

أو عاصفة

تجرفُ عن جبهتي

ركام ضجر المدينة

***

بيروت.. يا وعاءً بلا قاعدة

ودفقةً من زبد البحر

من أعماق مغاور الألم

أنتفضُ كنائمٍ رُشِقَ بماء بارد

لأبحث عن رمح مسموم

عن كلمةٍ.. أو قصيدة

أشكلُها وصمةَ عار

في جبينك المثقوبْ

أيتها الجيفة المعطرة

التي ترفضُ

أن تدحرجَ الحجر عن باب القبر

***

غربتي، وقلبي، ووطني

ثلاثة أطفال

ينامون في الأزقة والحواري

ثلاثة أطفال

يجوعون، ولا ينتظرون

يا حبيبة

أيتها الحاضرة الغائبة

حيكي لي قميصاً

من النور في شارعنا العريض

وارسلي معه قنينةَ خمر عتيق

أنا جائعٌ. وبردان

وشمسُ بيروت

باردةٌ في آب

أما أنتِ يا قصائدي

أيتها الغيماتُ الماطرة

يا مرافئي وسفني المسافرة

لا حنين بعد اليوم ولا لقاء

اختنقي في دمي

أو احترقي بناري

أنت يا أعشاشي الزمرديّة البديعة

ويا انتصارات عمري الوحيدة

الرحيـــــــــل

وطننا الذي كان

متنزه العبير والعصافير

تختنقُ العصافير على سياجاته

ومرفأنا الذي كان

أغنية فرح الحياة

صار مأوى الزوارقِ المحطّمة

أيتها الغيمة الذهبية المسافرة

أيها النجمُ البعيد

أيها المهر الأصبح الأصيل

خذنا الى أي مكان

ضعنا في سفينةٍ من أرزِ لبنان

إننا هنا

أقلامٌ بلا محابر

عيونٌ بلا جفون

وقلوبنا تعدو كالأرانب في الشوارع

نتحركُ، وفي أعماقنا نسورٌ مقهورة

وعلى صدورنا

تعبرُ أسراب الجرادِ والجواسيسْ

* * *

فيما مضى، كانت لنا مدينةٌ وأزقة

كانت لنا الوقفاتُ الطويلة

على ضفافِ النهرِ والأحلام

حيث نتحدثُ عن الصبايا والوطن والمستقبل

ونتطلعُ بحرية الى النجومْ

واليوم نتـــــــام

والعيونُ الخبيثةُ الشريرة

تطاردنا

فنوّدُ لو لا نستيقظ

لو تحملنا عرباتُ الموتِ الى المقابر

لو نحترق في النار

وتنقلنا الرياحُ مع الشروقْ

لنُبعثَ من جديد

أحراراً في هيكلٍ ما

أيتها الكلمات

صيري أحجاراً وبنادق

صيري خطايا ومثالب

واطلعي طوفاناً وبعثاً جديداً

***

وداعاً أيتها الحانات المتواضعة الجميلة

لا سكر بعد اليوم ولا عربدات بريئة

على طاولاتك الخشبية الخشنة

إن أجراسَ الرحيل تقْرَعُ في دمي

وحارسُ الحدودِ يغُطّ في نومٍ عميق..

أجراس في المنفى

الموج يتحطَّمُ على الصخور

ولبيروت في الليل زئيرُ الأسدِ الجريح

وأنا مشردٌ وذو أهدابٍ منكسرة

قلبي يتقلّبُ على الرمال المحرقة

وليس في مداه

عمودٌ لرايةٍ بيضاء

أعمرُّ عرياتي من رغوة المياه

وأكتبُ الشعر لشيٍ لا وجودَ له

أنام على الأرض

وأنزوي في المقاهي الصاخبة

لأستمعَ الى الأغاني الحزينة

ولي الترابُ والبراكينُ الخامدة

لي عصيرُ الصبرِ والجفافُ

أنا نجمة العصر القطبية

وقمره الأخضرُ الحزين

أحملُ على ظهري قضيةً كبيرة

أجراسُها تشرّعُ صدري

لحرابِ الغُربَة الحادة

وتنسيني عيونَ الذئاب الكاسرة

وأنا ألوبُ متسقطا

أخبار أهلي ورفاقَ طفولتي

أو حينما أسعى

لأشمَّ رائحةَ الوطن

في حفنةِ غبار

علقت على دواليب سيارةٍ ما

عبرت دروبه المحرّمة علي

ولأجل عينيكَ أنا في المنفى يا وطني

زوّادتي قلمي وأوراقي

وساعات طويلة أحلمُ خلالها

بمطرقة من الحقدِ والفولاذ والمحبة

تدقّ الرؤوس الصعاليك

وتهرسُ أصابعَ العبيد الطغاة

ولكم يُسكرني صفير السفن المسافرة

آه.. الحلم

الحلمُ شرابي

الحلمُ سريري

الحلمُ آفاقي

وما مِنْ شمعةٍ تنقرُ بابَ العتمة

****

ههنا أعيش يا أبي

أشمُّ رائحةَ الموت

وأقاتلُ بالشوقِ والتبغِ والدموع

إن ابتسامتكَ

تلك الزهرة الشتوية النادرة

ما زالت تنشرُ عطرها الزكي في دمي

أيها القنديل ذو الضوء الأخضر

لا تحجب نورَك عن الحائط الليلكي

أما أنتم يا إخوتي الصغار

يا من تبعثون إليّ

برسائلكم المعطرّة بالدمع والحنين

وأنتم تجتمعون كل مساء

تحت شجرة السرو في دارنا

وترفرفون كالعصافير الزرق

فوق عشّكم الهني

إذا ما وقع بصركم

على إنسان ما

تبدو على وجهه

علامات البؤس والتشرد والصمود

خذوه واحنوا عليه

لأن رائحته رائحتي

وعينيهِ تحكيانِ حكايتي..

في عربات الحزن

التسكعُ مجدبٌ على دروب المنفى
والحزنُ القادمُ الى قلبي
عربةٌ لها طنينُ النحلِ والجماهير
وأنا غيرُ سعيد
ولكني لست آسفاً على ما مضى
لأني أملكُ حريتي وأشعاري
ما زلتُ بلا هدفٍ ودونما أمل
أحملُ معي ذكرياتي وأشيائي القديمة
وأحلم بعينين أرزتين
وفمٍ ينبوع للذّة والعسل
ههنا ألوبُ، يا أمي
حيثُ النجوم والأرز وحفر الأوحال
وحيثُ تنهارُ عمارات الأحلام الذهبية
فتجرفها أنهار اليأس الرهيبة
وههنا أرنو الى الغيوم الداكنة
وهي تجتاز حقولي

لتسقطَ في أرضٍ بعيدة
وأسمع صراخ الغبار والبيادر الكئيبة
وههنا في منفى المنفى
أحسُّ بتساقطِ دموعكِ الحارّة في قلبي
فتحملني على أجنحةٍ غريبة
الى حيث تضرب
حوافرُ الخيل الوحشية، جبيني
وتلطم وجهي بأذيالها الوسخة
صليّ كثيرا لأجلي، يا أمي
واقرأي في عيني أخي الصغير
روعةَ البيارق المشرّعة في الريح
وانسي يا حنونة
انسي عيني المغسولتين بالملح والأحلام
فهنا اليأسُ إلهٌ
يفرزُ السمومَ في الشرايين
ويغرزُ الأظافرَ في أعناقِ السائرين
عُزّلا من الرماحِ والرايات
وفي عيونهم كلماتٌ باهتةٌ صفراءُ

تُعطي الحرقةَ والمرارة
وأجراسَ الرملِ والغبار

وجه في المرآة

الخالق الآخر

عندما تمرين في شارع الصحو والضياء
تطلعي بحنان صوبَ الجهة الثانية
ذلك أن الليلَ جزيرةٌ كافرة
ذلك أنّ الزمانَ عاقر
والرصيفَ يدوسُ قلبي بحوافرِهِ الوحشية
أيتها الخطيئةُ الورديةُ الرائعة
يا قمةً من ترابِ الوطن بمستوى قلبي
وأنا أطوي جناحيَّ
على الرماح الحادة
يبدو لي
صدركِ اللازوردي الحار
حيث تحترقُ محارمُ الحزن والسآمة
أحسُّ أنني كائن خرافي
هبطَ من حديقةِ نجمةٍ نائية
ليقيمَ لكِ الهياكل
على أرضِ لبنان

فانشري جناحيكِ البرتقاليين

يا حبيبة

المطر يهطلُ بغزارةٍ لا مثيل لها

وأنا سائرٌ وقمصاني مهترئة

لقد هدمتُ جسري ومعبدي

ونسيتُ مأوايَ وصندوقي العتيق

فلتبقَ عيناكِ مظلّة لي

وليبقَ حبكِ

يرفع أمامي منارات دائمة التألق

تثقبُ بأنوارها صدر هذا الوجود المغلق..

القارة الجديدة

أي قارةٍ عجيبة

أرى في عينيك الصغيرتين الحادتين

أيتها الأميرةُ ثلجية اللون

أنت يا شذى الغابات الآسيوية البعيدة

ويا عبيرَ الشواطئ الصخرية المهجورة

مع صوتك الأكثر عذوبةً

من البحر والمرافئ الصغيرة

ترتمي أمامي

أرضٌ وسماواتٌ بنجومٍ وقمرٍ جديد

وقصورٍ من العصور الغابرة

تفوحُ منها رائحةُ الخمرِ والطقوس الوثنية

وتعرشُ على شبابيكها الوردية

سهامٌ وقبعاتُ الفرسان

أولئكَ العشاق المجانين والمحاربين الشجعان

على ضفاف عمرك الحزينْ

أيتها البحيرةُ الغارقةُ في البهاء

يطيب لي أن استلقي تحت أشعة الشمس الساطعة

أراقبُ أمواجك المتقلّبة

وعبث طيورك البيض اللاهية

آه.. ليت لي زورقا صغيرا

تداعبه أمواجكِ المتقلبّةَ

أيتها البحيرةُ الغارقة في البهاء

أنتِ يا شذى الغابات الآسيوية البعيدة

ويا عبير الشواطئ الصخريّة المهجورة..

عينـــــــــاك

غربةٌ وحزن

وأمسياتٌ لا نهائيّة

البحرُ ساكنٌ وقلبيَ هادر

اقتربي وتَعرّيَ في صمت

اغرقي رأسك في صدري

شفتاك كوني وعالمي

وعيناك كوخان من بنفسج

أنعمُ في ظلالهما

بالاستقرارِ والسكينةِ والسلام..

ذكرى تشرين

للذكرى المتألّقة

صباح ذلك اليوم من تشرين

حيث كانت الدروبُ والسطوح القرميدية

تئنُّ تحتَ حوافرِ الخريف

حينما مررتِ على الغرفةِ الموحشة

عرّيتك

فتدفق صباحٌ آخرُ عندنا

أنت وأنا زهرتان من حب

تزيّنان صدر العالم

فيا صباحَ ذلك اليوم من تشرين

تَألق كلما غامت سماءُ الشاعر

وَعَرْبَدَتْ في آفاقهِ العتمة..

في دفتر الرياح

لو في غدٍ يموتُ زورقُ الرجاء

وتيبَسُ العروقُ في خاصرةِ الضياءْ

لو أنهُ ينكسرُ الجناحْ

تفيأي عباءتي واختبئي

على جراحي اتكئي

فوجهكُ الحبيب

نقشتُه في دفترِ الرياح

أعطيته زيتي وقنديلي

منحته اسمي وأزميلي

كنت حلماً

كنت حلماً

يغمرني بطوفانٍ من اللذةِ الغريبةْ

وذاتَ صباح

فتحتُ عينيَّ

فلم أعثرْ على شيء

لقد ضاع وتلاشى

كما تضيعُ دفقةُ العطرِ في الغابةِ العذراء

وماذا يهُمُّ

كذا العمرُ

مغزلٌ يغزُلُ

ونارٌ ترمّدُ

وَدَمْعةٌ حارّة

تجرّحُ في الأعماق..

في معركة حبك

في معركةِ حبّكِ
أسلّم سيفي،
أترك ورائي ذخيرتي وسلاحي،
أرفعُ رايةَ الهزيمةِ والانكسار
وأنا الفائز
أسوّيكِ وهماً كبيراً
لأشتهيكِ
لأتحرَّقَ شوقاً
الى عينيكِ المتألقتينِ كسماءِ آسيا
حينما كانتْ ساحةُ العراك بلا قتلى
صرْتِ قطعةً بلهاء على سريري
مللتكِ
انتصري عليَّ
فأكتب لكِ الأشعارَ الغريبة..

قمر من خمر

خذوها هذه الشمس السوداء

هذه الحمامة السابحة في الزرقةِ البعيدة

وحدي سأقتلُ الخطيئة

الخطيئة التي رَفَعتْ بيني وبينها

جبلاً من الإثم والحجارة

سأقتلُها بسكينٍ أو قصيدة

أكتبُها وأنا أبيعُ أحزانيَ للنهر

أو أكتبُها في الخمارّة البليدة

تلك التي تعطي الغيمَ والفلَّ والشهوة

وتمدُّ وطناً من النجومِ والنهود المتوحشة

لهذا الوطنِ طيِّبِ الطعم والرائحة

لهذا الشاطىء الأخضر الطويل

أمنحُ شراييني وضياءَ عينيّ

وأقدمُ دمي ورئتيّ

النجومُ تهرولُ نحو المغيبْ

وها أنا في بحيرات السأم والضجر

دربي تشرّدٌ

وقلبي مقهى مزنّرٌ بالخريف

قولي لها.. أيتها الغيمة البيضاء

قولي لها يا أميرةً وثيةً عذبة

طويلة هي أيام القلق

ومملة هي ليالي التذكر والتمزّقُ

آه.. أيها الألم

نحن جبلناكَ من أحلامنا

نحن زرعناك في أعماقنا

نحن رفعناك على أكتافنا

أنت يا قمراً

من خمر وزنبقٍ وترابٌ

* * *

يا مسافرة

لك عندي جرسٌ ذهبي

إذا لم يُقرَعْ في أعماقكِ

وفي صدري

عصفورٌ أزرقُ

إذا لم يَبْنِ عشَّه في ربوع عينيكِ
سأقطعُ أوتارَ قلبي وقيثاري
وأطعم حنجرتي
للسرطانِ وظلمةِ القبور..

خيمة من صقيع

لأني لا أرغبُ أن تعودي ثانيةً
أميرةً تعبر بقوافلِ الذبابْ
على صدري الذي بلون البحر والزوارق
أشدُّ على الأشواك المكدّسة في قلبي
وأبحثُ عن النهود والتنهدات الوحشية
وأرتمي على الأجسادِ
المخلوقةِ للذةِ والحنين

****

كان طعمُكِ حامضاً ولذيذاً
وشفتاك سريراً من اللحم المقددِ
والنبيذ العتيق
وكنتُ أشتهي ركبتيكِ
لسانَكِ
وأرضَ الغابة السوداءْ
فاعذريني يا حبيبة
هنا لَمْ يعُدْ يهمني لونَ عينيك

أو شحوبك المتألق

ولا عطر الشامة القمحية

إني مُفْترسٌ وكاسِرْ

أعشقُ الجسد

وأعبر بجنونٍ على سُفنِه الراعشة

وحين يحترق فمي

على الصدور الراغبة بالغياب

أحسُّ أني امتلكُ العالم

أنا الرايةُ الملطَّخَةُ بالوحل

والزهرةُ الملقاةُ على الأرصفة الباردة

***

وهنا في زوايا المقاهي

عندما أتلصَّصُ على مرفأينِ صاخبين

أقهرُ عند أرصفتهما المتألقة

شهوتي الجائعة

أفكّر بالخنجر المسموم

الذي شكلته في قلبي

عيناك الخائنتان فأنطلقُ بلا مباخر

معي جراحي

وثورةٌ حمراءُ، عليكِ، يا حقودة

***

بيروت

أيتها السفينةُ المبحرة الى مناخِ النجوم

الضجرُ يُفرّخُ على رموشي

المللُ يَتَعْمَشق بحنجرتي

أنا الحالمُ بسريرٍ

بلون الكرمةِ والزيتون

بين نهديكِ الشهيينْ

أنامُ على لهيبهما

وأستيقظُ على نداء َ عينيك العاشقتين

أيتها الشمس المشرقة

ايتها الشمسُ الغاربة

عينايَ نجمتانِ باردتانْ

وقلبي خيمةٌ من الريح والصقيع..

سوزي وونغ

استلقي على سرير المجد

على جبهتكِ تتألق آثار المسامير

يومٌ يولدُ وآخر يموتْ

ولخصرك قوافل الأبطال

وحصادُ المعارك الدموية

والحزن قاربٌ بنفسجيّ

في بحرِ عينيك الرهيب

ايتها الرايةُ البيضاءْ

يا زهرةَ آسيا الملّوثة

لا معبدَ في الحي

لا مَطَرَ في القلب

وغداً تتحجرُ حناجرُ الأرصفة

وتهرّ أوراقُ الوردةِ العطرة..

فارس الشهوة

يتكئُ الكونُ على جَمرتينْ

انتشري يا عطورَ الحبر

تفتّحي يا زهورَ الشعر

الحنين يملأُ القلب

الثعبانُ يفحُّ في أعماقِ الليل

وفارسُ الشهوة

في يقظته الرائعة

على باب الميدان الأسود

ريشةٌ ترسمُ ظلَّ الخلق وظلَّ الشمس..

تألق الجمــر

شعرُكِ أفاعٍ عسليَّة

عندما تستقرُّ على صدري

يطلعُ قمرٌ أسودُ في قلبي

شفتاك عصيرهما سمٌ يسكرُ

عيناك

أحاديثهما عصافيرُ حمراء

دموعك

أحجارٌ ورديّة تفرّخُ الحمامَ البري

وأنت بحيرةٌ في جزيرة الرعب

سريرنا خليةٌ تغلي

عندما نتعاركُ

يضيءُ الجمرُ شهواتُنا

وللجمر أصابعُ محشوةٌ بقناديلَ

تحملُ الثلجَ الى عروقنا

المجدُ يرتجفُ في الشوارعِ

العصرُ اسفنجةٌ

تفرزُ الجوعَ والحمىّ

الجوعَ والكفرَ

الكفرَ والحقدَ

الحقد والتلاشي

فاضربي في الجمرِ

يا طيورَ دمي الحزينة..

غيـوم القحط

أميرةَ الأحلامِ والفتونْ

مليكة الرغبةِ والجنون

يَفحُ في الأعماق ثعبانُ

يضجُّ نيسانُ

والجرسُ الفضيُّ في المدينة

يأكله الغبارْ

الصمتُ والغبارْ

والغيمةُ اللعينة

تمرُّ، فوق أرضنا العطشى الى المطَرْ

وتسقطُ الحقودةُ اللعينة

في غير أرضنا، على الحَجَرْ

ونحنُ بالصلاة

بالدمع والرغبةِ والحنينْ

نرسُمُ ظلّ المجدِ بالرمالْ..

حربة في القلب

أخاف، يا صغيرتي، عليك من ظنوني
أخافُ من عيوني
أخافُ أن تكوني
كقطّةٍ تموءُ في السكون
أخافُ يا صغيرتي عليكِ أن تكوني
واحدةً بينهمو
بينَ القطيع التافهِ الهجينِ
عودي الى منزلك الأمينِ
فاليأسُ في جبيني
واليأسُ في جفوني
والليلُ يا صغيرتي
يلفّني بشالهِ الحزينِ..

ساعة بلا عقارب

من يوم ما رحلتِ

قلبي يمتطي صهوة حصان الشوق

والزمانُ في عينيَّ جامدٌ

إني أحسّـــهُ

خيطاً من الدم ينكفئُ على ذاته

كعجوز أعمـى

والناس يقولون

إن الزمــــــــانَ

ما زالَ يسير كما كانْ

فلا بدّ أنهم مخطئونْ

أو أنَّ ساعتي

بلا عقــاربْ

وجه في المرآة

الآن يتألقً وجهكِ الحبيب

أيتها الوردةُ الأكثرُ نضارةً

من الدم والدموع الحزينة

الآن

والليلُ ينزلقُ على جسد المدينة

يضيءُ وجهكِ الحبيب

أيتها الغيمة البنفسجيةُ المتوحّشة

الآن

والصبحُ يتكئُ على جبهةِ الأرض

يغيبُ وجهُكِ الحبيب

أيتها السحابةُ التائهة

إيه... ايتها السماواتُ المغبَّرة

إيه... أيتها الآفاق القاتمة

إيه... أيتها الحُفر المليئةُ

بالزهرِ والأفاعي..

ضوء في الرماد

طعم الرمال

الأرضُ بورٌ
وأنا أرشّ البذار على الصخورْ
وأمضي، وتمضي معي ذكرياتي
مطراً يتساقطُ على جبيني
وأنا عارٍ وأرتجفُ من البرد
وعلى بقايا روحي
يغسلُ (بيلاطسُ) يديه
نمضي وعلى جباهنا
أزقةٌ موحلةٌ وقرميدٌ مكسور
وملء حناجرنا
هتافاتٌ غبيةٌ
للوثن ذي العينين البلّورتيين
أقدامُنا من الخشبِ المنخور
شمالُنا من جليد الجَنوب
يمينا بلا أصابع
ولليأسِ في دمنا

طعمُ الرمال المنقوعة بمياه المستنقعات

واليأسُ صورٌ عاريةٌ

مُعلقةٌ في مبغى

سماءٌ سوداءُ

مُغطاةٌ بغيومٍ صفراءُ

تمطر الصقيعَ والعتمة

وأنا آخيت الحزن

الوحدة والحزن

الأحلام والحزن

أيها الألم

اضرب بسوطك الرقاب المنحنية

فقد نغرقُ في الجراح

فننطلقُ كالسهم

ونتألق كسربٍ من نجومِ الصيفِ فوقَ البحر

تمـــــــرد

منتوفةُ الجناح، هذه الليلة

وأنا أكثر الأشياء حزناً وتمرداً

باستطاعتي أن أقهر شوقي للنجوم

وأن أسير ولا أرى شيئاً

فيما مضى

كنت أنشدُ المرافئَ الزرقاء

حيثُ للغروبِ رائحة التفاح

وجزرَ المرجانِ البعيدة

والآن

دفقةُ عطرٍ أنا

بلا بيت. وبلا عنوان

أقفُ على أرصفة الموانئ المهجورة

وأرنو الى البحرِ الوسيع

وأتنهد وأتطلعُ الى السماء

وفي أعماقيَ

شاعر مُشردٌ ضَجِرٌ

فيما مضى كنتُ أحلم بقاربٍ مسحور

جناحه بلونِ خيوط الشمس في الصحراء

ومجدافهُ من أرز لبنان

يحملني في عُبّه الورديّ الجميل

الى كونٍ أكثر عذوبةً

من مياه الينابيعِ في المرتفعات

والآنَ

أخافُ أن أفيقَ ذات صباح

وأنا على رمال الشاطئ

بعيداً عن قرقعةِ القواربِ المسافرة

أيتها المحطةُ الشاحبةُ

شحوبَ اليتامى الجياعُ

يا بساطاً طويلاً على جبيني

خمسة وعشرون عاماء

يا هزيلة

وأنا أغذّيك من دمي

وأطعمكِ أحلامي وزهري وترابي

ولم ينطلق القطارُ الذي انتظر

من قلبكِ الجليديّ المريض

***

في بلدِ المبصرينْ

شاهدتُ مناحةً

بلا دموعٍ وبلا أكاليل

قيل إنّ صاحبها

حين يبست عيناهُ

وُضِعَ في تابوتٍ من الورق الأصفر

ودفنَ في قبرٍ من الطين الحقير

صلاةُ المبصرين كانت هكذا:

لقد وُضعت الفأسُ

على أصلِ الشجر

وكلُّ شجرةٍ لا تُثمرُ

تُقطعُ.. وتُلقَى في النار

إننا نُريدُ شجرةً

تظلُّ خَضراء

نحلفُ باسمها

فتعطينا الأريج والثمار الناضجة

***

هبّي أيتها العاصفة

وطوّحي الهيشمَ ومحابرَ العدم

واستيقظي ايتها المحطة الغافلة

قبلَ أن يتوالدَ الدودُ في الهياكل

ويتكاثر الجرادُ على رُخامِ المعابد

حيـــــرة

الليلُ يتدحَرجُ على العمارات

وانا ساهر أبداً

مع رنين أجراس هواجسي

أتثاءبُ

وأجرُّ عرياتي المحطمَّة

تحت سمـــــــاءٍ شمسُها باردةٌ كعظام الموتى

في مدينة شارُعها عجوزٌ أعمى

ودائماً أيها الحزن

تحكّ جبينكَ الوحشيّ بصدري

وتنشر راياتك على دروبي

بخيوطٍ حريرية تربطُ روحي

أنا التائهُ الغريب

ذو المجاذيف المنسية

بلا مرفأ وبلا سفينة

فكيف أبحرُ؟ والى أين؟!

يا نارَ الحيرةَ والسؤال

احرقيني

واجعلي من رمادي

فكرةً خيرّةً مُضيئة

تبيدُ العتمة

وتهدمُ الجدار..

قميص يحترق

الغيمُ يُخيّمُ فوقَ المدينة

السماءُ تمطرُ

حانات بلا خمور

وانا أتكّومُ تحت شجرةِ أكاسيا

قربَ قيثاريَ المحطّم

أصغي الى رنينِ رغباتي المقهورة

وأستمعُ بحزنٍ

الى نحيب شهواتي المندحرة

* * *

القمصان التي احترقتَ

حَمَلَتْ رمادَها الرياحُ

الى الهياكل

فاستحالت هناك

الى شرانقَ

قيل إنَّ حريرها

لا أزهى ولا أحلى

قمصاني تحترق

وأنا أكومُ رمادها

منتظراً قدومك، يا ريح الفينيق

لتحملي بعضي الى الهياكلِ الخالقة

قبل أن تضيع المياهُ اثاري

* * *

الفناء ينهش قلبي بأنيابٍ قرمزية

ويدُقّ جبيني بخطىً ثقيلةٍ همجية

فمتى تمرّين؟!

يا أحلامي الحزينة

لأعطيك رمادي

وأطير على أجنحتك الإلهيّة

الى المروجِ التي

لا تعرفُ الذُبول والموت

خطوط على الريح

صلوات لعيون
امرأة مجهولة

- 1 -

لو كان لي ما أريد

كنت قطفت لك

من حديقة الحب وردة حمراء

وشكلتها في شعرك الليلكي

ثم طويت عليك جناحيَّ

وطرت بك ومعك

إلى أبعد الأبعاد..

- 2 -

اشرب.. اشرب

من خمر العيون السود

ففي كل قطرة

ألف غابة صنوبر

وألف مرج أخضر

وراعية تبثّ بمزمارها

حكاية حبٍ لا أحلى ولا أنضر..

- 3 -

حين أطل القمر من وراء الجبل

مثل حمامة من زبد البحر

انبهر الحضور

أما أنا فلم أقل شيئا

لأنني كنت مسحورا بضياء قمري

بعيني قمري الأسمر الذي لا يغيب..

- 4 -

السماء تبكي بمرارة

مثل شحاذ صغير أضاع غلّة يومه

والريح تولول في الشارع الموحش

مثل مجنون هارب

أما قلبي فإنه يغفو على تراتيل

حلم لا أشهى ولا أعذب..

- 5 -

في عينيك بحار زرق

ملوّنة بأشرعة المراكب

وفيها معابد وآلهة وكهنة

ينشدون ويحرقون البخور

وفي عينيك قمّة وكوخ

يسكنه قلبي

ليحادث السماء

ويسهر مع النجوم حتى طلوع الشمس..

- 6 -

عندما ألقاك يا غالية

أشم رائحة المعابد الوثنية

وتنتقل روحي إلى مدينة ساحلية

تضجُّ بالسفن وأناشيد البحّارة

عيناك سفينتان من أرز لبنان

وأنا ملاّحهما المسافر

إلى الجزائر البعيدة

التي تنام كنجوم خضر

على هدير الموج وتصفيق أجنحة النوارس

- 7 -

صورتك المزنرّة بشريطة حمراء

ما زالت معي

لقد صنعت لها إطارا من القصائد

وعلقتها على الجدار الحزين

في الغرفة التي تشهق بالغربة والضجر..

- 8 -

على جناح غيمة قادمة من البحر

حملت لك باقة زهر وقصيدة

أظنُّ انها تصل إليك مع الغروب

حين تكونين على الشباك الأخضر

تبحثين بين الجموع

عن الحبيب الذي ذهب

دونما كلمة وداع

اعذريني يا صغيرة

أنا لست خائنا ولا متوحّشا

ولكني أحبُ الحرية

فخذي باقة الزهر والقصيدة

وكلما جاع اللون في قميصك الخمري

أطعميه بعضا من خفقات قلبي..

- 9 -

هبْ يا الله..

هبْ قلبي القوة

ليكون قادرا على استقبال الصيف

دون أن يموت..

- 10 -

الضحكة الحلوة التي تنساب

من شفتيك الزهريتين..

وترنُّ مثل جرس فضيٍّ ليلة العيد

عصفور ملوّن الريش

يحملني.. يطير بي

إلى دنيا ما مرّ عليها انسان

وريشةٌ مبدعةٌ

ترتمي أمامها الألوان

لتنزرع أمام العيون

لوحاتٍ مشتهاة..

أواه.. كم يلذّ لي

أن تجري ضحكتك في دمي

أن يظلّ رنينها الساحر

في أعماق قلبي..

- 11 -

أنا زورق سكران

في بحر الوجود متلاطم الأمواج

أنا طير تائه

في صحارى الحياة القاحلة

فيا أيتها النيران المقدسة

يا نار الحب

أدركيني واتركيني رمادا

في الموقد المتألق بانتظار الولادة الجديدة.

- 12 -

حينما تطلّين

تصير الأشياء أعراسا وأعيادا

وترتمي الحياة مرحا

واقحوانا وشقائق النعمان..

- 13 -

ليس في هذا العالم

أحلى من أغاني قلب

مسافر في رحلة حب

مع عينين تتبع منهما كآبة مبدعة..

- 14 -

بابي الذي أتركه مشرّعا

سيظلّ كذلك

إلى نهاية الدهر

لأني أريد

أن تكون داري

مستقرا للفصول الأربعة..

- 15 -

ليست الحياة غير عصفور

نحن نعطيه أغاريده

وحينما تموت الأمنيات

تصير الحياة عدما

والوجود قمرا متجمّدا

وطائرا أخرس..

- 16 -

أيها البحر.. أيها البحر الواسع

يا ترنيمة الأجيال وأغرودة الدهور

بي توق إلى لياليك الموشّاة بالزرقة الداكنة

إلى ألحان أمواجك الآتية من بعيد

إلى جزرك المجبولة بشذى الأعماق

أيها البحر.. أيها البحر الوسيع

ضمّني إلى أحضانك

دعني أكن طائرا ملوّن الريش

يغنّي لك.. لك وحدك

أيها البحر.. يا ترنيمة الأجيال

وأغرودة الدهور

ألا ليتني شراع أبيض

ينساب مع نسيمك

دونما غاية أو هدف

أو موجة تسرح بكل حرية

تلطم صخرة هنا

وتداعب زورقا هناك

وتستريح على ساحل جزيرة نائية

معطرة بأريج الله واللا مبالاة..

- 17 -

وأسفاه

لم يعد في عينيكِ

ذلك الصقر الذي كانَ

يحملني إلى القممِ العالية

السكرى بأريجِ اللهِ والنجوم..

- 18 -

أيها الأصدقاء

يا رفاقَ الحان والمقهى والطريق

يا أشقّاء روحي في الخيبة والفجيعة

احزنوا معي

فقد انتهت فصول الرواية الطويلة

وامّحت الخطوط التي كتبتها

بدم قلبي على الريح..

- 19 -

الألم..

انه الريشةُ التي أرسمُ بها غدي

والدمُ الذي

أكتبُ به أشعاري..

- 20 -

بعد أن شرّد الشتاء طيور حبنا

وقتل الزمان نوارس أشواقنا

الآن.. وقد أصبح لكل منا

بحر وسفينة.. وطريق

اني أسمع حشرجة الشاعر الحالم

ذاك الذي كان يغرّد في قلبي

وأرى آلاف الأحلام الفضيّة

تسير وراء نعشه الحزين

بينما على الضفة الثانية

أرى ملايين الأحلام الذهبية

تقيم المهرجانات والأعراس والأعياد

احتفالا بمولود جديد

مولود.. لم أعرف بعد ماذا سيكون..

- 21 -

ربي..

دع قلبها أقوى من جنونها

دع قلبي يكرج في البساتين

مثل طائر الحجل البري

كي أعمّر لها

دارا من ورد

على جبهة القمر الأخضر..

- 22 -

بأشواق عصفور عائد إلى عشّه

بعد غياب

وبفرحة شراع مسافر

في رحلة صيفية

تحت ضوء القمر

حملني قلبي إلى غابة الصنوبر

تلك التي صار لوجودها معنى

بعد أن مررت عليها يا فاتنة

وزرعت أنفاسك في تربتها

فصارت أشجارها أغنيات في أعماقي

ونسيمها حكاياتٍ وأشعارا

كان قلبي يحلم بنزهة

نطير خلالها على أجنحة حبّنا العظيم

إلى آفاق بلون الفجر

ولكن.. شدّ ما كانت خيبتي أليمة

حينما مات الحلم العسلي

على أعتاب الواجب الذي

لا بد من أدائه..

- 23 -

زِدْ يا الله

زِدْ جراحَ نفسي

لكي لا ينطفىء قنديلي

وتتكسّر أضلاع كوخي

في العواصف..

أنت

مثل نجمة تتلألأ في قبّة السماء

يسكر على أنغامها الأندلسية

أنت يا جميلة السمار

أنت قيثارتي التي أبدع

على أوتارها ألحاني

والشراع الذي يحملني

إلى الأقاليم الدافئة المسحورة..

***

ابتسمي.. ابتسمي

ففي ابتسامتك يا جميلة السمار

كل النسيم الآتي

من أعماق البحر الأزرق

في أمسيات الصيف والربيع

وحين تبسمين

يصير لي جناحا نسر فتيّ

أطير بهما إلى فوق

وتتفتح أمامي

دروبا يرقص عليها الربيع

وتتفجّر في بساتين وجودي

ينابيع لا أعذب ولا أنقى

عند ذاك

أحسّ أن بي

قوّة خفيّة خارقة

فاندفع بكل رغبة وغبطة

صوب حدائق الحياة

لقطف الثمار

وجني مواسم الخير..

فرح

في صباح لقائك الأخضر

تسرح أشواقي

بين مساكب الفل

في حدائق الشام

وتسافر أحلامي إلى بلاد الغابات

لتستحمّ بعطر الأرض

وعبير الأشجار..

* * *

عيناك شعلتان من نور

على دربي الممتد صوب اللا محدود

تزرعان في أعماق قلبي

رغبة جامحة

للبحث عن الآفاق المجهولة

والقمم السمر التي تدقُّ

بجبهتها السماء

* * *

قلبي

مثل طفل صغير على شاطىء رملي

مغمور بأشعة شمس الربيع

يقضي أوقاته

سعيدا بالماء والرمال وهدير الموج

لقد وجد قلبي ذاته، يا حبيبة

وعرف كونه ودنياه

انه يعيش في انتظار حلول

موسم الغد المأمول..

على أنغام وعدك الذهبي..

***

آه.. ما أطيب وعدك الذهبي

يا حبيبتي

وكم يلذ لي

ان أغفو

على وسادته المعطّرة..

بطاقة.. إلى سمراء

حفرت اسمك في القلب

وأرسلت من عندي كناريا

ومعه شال ودورق عطر

سقط المطر غزيرا على قلبي

يا حبيبتي..

وهبّت عليه عواصف رعدية مجنونة

ولكن اسمك ظلّ محفورا في القلب

أما الشال والدورق فقد ضاعا في الطريق

لقد سقطا من منفاد الكناري

وهو يغنّي على شبّاكك الحزين

أغنية كان قد تعلّمها

قبل أن يطير رسولا إليك

*   *   *

واليوم يا سمراء.. يا حلوة الحلوات

يا ذات العينين العميقتين كالمجاهيل

والجبهة المتألقة بالحب والشعر والأساطير

واليوم يا ذات اللون

الذي يوحي بأجواء المعابد الوثنية

أمرّ حزينا

أقف إلى جانبك

أتمسّح بشعرك الليلكي

أصلّي لوجهك المضيء المشرق

بالعذوبة والالوهة..

استيقظ لأبحر في عينيك السوداوين

على زورق مسحور

إلى مرفأ منسيّ مهجور

تقوم عليه قرية صغيرة

مغمورة بأشجار الصنوبر والدفلي

وترفرف على سطوحها القرميدية

عصافير الحب الملوّنة..

واليوم يا ذات العينين السوداويين الحزينتين

أقف إلى جانبك

يداي فارغتان إلا من المرارة والتعاسة

وعيناي تلوبان في جزيرة الوهم والحزن

اني مسافر إلى عالمك بلا حقائب
كل زادي اسمك المحفور في القلب
وأشياء لا أدري كنهها
تنقر بعنفٍ على الصدر..

خطوط على الريح

- 1 -

طاولتي في المقهى

مسلولة.. مليئة بالجراح

وكأنها طالعةٌ من مصنع الأحزان

لكنني أحبّها

وكلما زرتها أحسّ أنها

أغنية قادمة من خيمة غجرية

- 2 -

أي فائدة للينبوع الذي يغلّ

في باطن الأرض

وأي معنى للرائحة الزكية

حينما تتلاشى في الأماكن الخالية

وأي قيمة للحب

حينما يطحنه الغباء

ان أزهار الحب

لا تتفتّحُ إلا في العطاء..

- 3 -

جوع وعريٌ

وأطفال يسألون عن الآباء

الذين لا يرجعون

أصوات مبحوحة

ترسل الرموز والشعارات

وتوزع المنّ والسلوى..

ومكاسب العصر

قيود وقمع وعبودية..

- 4 -

الأحزان تحيك لي قمصاني

وأنا ارتديها وأذهب

تحت سماء

شمسها باردة

منذ بدء الخليقة

ونحن نكسّرُ جرار العسل البرّي

ونضعه في فم فوّار هادر

أيها الحب

امنحنا نعمة الفرح..

- 5 -

لم تستطيعي أن تكوني

غير طائر

من طيور الأحزان

هذه الطيور

هي زادي

انها الجراح التي تحملني

إلى الآفاق المجهولة

والحبر الذي أكتبُ به أشعاري..

- 6 -

في أعماقي يزمجر اعصار

فحذار أن تجرحوا كبريائي

لئلا ينطلق الاعصار غاضبا

ويقتلع كلَّ أكواخ الصفصاف

التي فيها تسكنون..

- 7 -

غدا تقولين

كان يحبّني.. وكنت أحبّهُ

ولكنني جرحت كبرياءه

فتمرّد في ليلة مجنونة الظلام

وسافر إلى حيث لا أستطيع اللحاق به..

- 8 -

في فمي

لعينيك أغنية جريحة

تحوّم فوق مداك الرحيب

ثم تسقط على الدروب

خيطا من الدم

مع طيور الأحزان الرمادية..

- 9 -

ترى.. أي معنى للحياة

وأي معنى للوجود

عندما يتصحّر القلب؟

أيها القلب.. يا صحراء رمليّة بلا تخوم

أين طيورك وأزهارك وعطرك

أتراها ماتت؟

أم أنت الذي تاه على بيادر الحزن

أيها القلب

لا تحترق بغيظ شمسك اللاهبة

قبل انبلاج الفجر..

- 10 -

قال.. إنه سمع لحظة تلاشي الغيوم

في الأرض..

انغاماً عذبة:

نحن نأتي في الخريف إلى السماء

ثم نذهب إلى الأرض في الشتاء

لننام بين أحضان الربيع

حتى نستيقظَ على أشعة الشمس

فنعود من جديد..

إلى السماء الزرقاء..

- 11 -

أيقظي.. أيقظي الحب

أيتها النسمة الآتية من حقول العيون السود

يا أغاني الرعاة في البراري

ويا أناشيدَ البحّارةِ المسافرين

واسبحي بأحلامي

حيث الرؤى ملوّنة بألوان قوس قزح

وحيث القمم

موطن النسور والأشعار

المعطّرة بأريج السماء..

عيناك شاعران عاشقان

يصوغان أشواقهما

حدائق ورد وبساتين برتقال

وقلبك مرفأ جميل

يستقبل السفن التائهة

وها أنذا قد رسوتُ بسفينتي

وأرسلتَ إليك رسولا

فمتى يعود.. متى..

ان صفير السفن

كثيرا ما يغري قلبي بالرحيل

- 12 -

شفتاك طيبتان

وجسدك حريريٌّ وحامض

ونهداك مرفآن

يضجّان بالسفن والأمواج

ولكنك شوكٌ في روحي

ومرّة كالخيبةِ في قلبي

أيتها المرأة التي تملأ

الليل بالشهوةِ والسعال..

- 13 -

الليل يبسطُ جناحيه العريضين

البرد ذئب جائع يعوي في غابه

وقلبي يا حبيبه

وردةٌ ذهبية

تشتهي صدركِ الأسمرِ الجميل..

- 14 -

عندما تتراقص اشرعتي

في رياح الوحشة

وتنطفىء قناديلي أمام عواصف الوحدة

أتّجهُ إلى ذكرياتي

اترك قلبي يعيش عليها

كما تعيش الأرض المقلوبة

مع الهواء وضوء الشمس..

- 15 -

الأعشاب تنمو في الماء

الأزهار تتفتّح في الربيع

سنابل القمح تنضج في الشمس

كذلك قلبي

فإنه يورق على أنغام الحب..

- 16 -

في طفولتي

كنت ألهث على الدروب مثل عصفور هارب

وأركض في البساتين

وراء الزهر وعناقيد العنب

وفي الليل

استلقي تحت النجوم

واتنشّق عبير الحرية

والزرقة السماوية..

وأحلمُ بالجزرِ والأقاليمِ الاستوائية

وبفتاة سمراء

لشفتيها طعم النبيذ الأحمر

وفي عينيها نوارس واقحوان

ولها نهدان صغيران

يكتبان التاريخ والأشعار..

وفي شبابي لم تقرع

أجراس الحب في قلبي

فهربت بحزني وأحلامي إلى المدينة

حيث بدأت أمضغ التبغ والبغايا

وأتسكعُ على الأرصفة وفي المقاهي

واسفح عمري على النهود الرخوة

فأشعر بالذلّ والانكسار..

- 17 -

أيام تركت قلبي

شراعا في بحر الحب الكبير

تحرّكهُ رياحَ قلبكِ المجهولة

كنت أحلم أن سفينتي

سترسو على ساحلِ جزيرةٍ كسلى

لتستحمَّ بنور الشمس في عرض البحر

هناك حيث نستطيع

ان نعيش كطائرين من طيور البحر الطليقه

لأنك كنت في أعماقي

رنين الأجراس الذهبية

وشدو العصافير الزرقاء

وعبير الأزهار البريّة

ولم يخطر ببالي

وأنت ترتعشين بين ذراعي

كغصن طريّ في مساء ناعم خجول

ان قلبك أسود

وإن رياح قلبك سوداء

وها أنت بعدما مَسَحَتْ أنوار اليقظة

غيوم الوهم من سمائي

صغيرة كحّبةِ رمل

تمثالا من الورق الأصفر..

- 18 -

الآن.. وقد مالتِ الشمسُ نحو المغيب

سأختارُ شجرةً

من أشجار هذا العالم

لأجلسَ تحت ظلالها الوارفة

وأبكي بحرية

كما لو كنت طفلاً بلا وطن

أيها الزمن الذي لا لون له

أيها الراسي على قلبي رسوّ الجبال

وأنا أنشر قلوعي

لأبحر في أعماق الظلمة

اترك ورائي سكينا وقصيدة

وصدى صليل السيوف

في المعارك الوهمية..

شمس وقمر وريشة

- 1 -

الشمسُ تطلع من الغرب

وقمر الخليج برتقالةٌ

تتدحرجُ على تناكر الماء

أيتها الأيام الأكثر بهجةً

ليتني شيء ما

تحت شجرةٍ ما

بين ديك المحدي وضهور الشوير..

- 2 -

الحمامْ يهدلْ على السطوح

الشجر ينمو ويتساقط

والسكّين في عنق التاريخ

والحب يتوهّجُ في القلب

وينزلقُ على خارطة الخواء

جسدا جد صغير من الرماد..

- 3 -

نسير معا

على شاطىء الخليج

يدي في يدك

وقلبانا يخفقان بالدهشة والحزن

تخرجُ الكلمات

وتتفتّتُ كالثلج

على صفحةٍ داكنةِ الزرقةِ

وكذلك القمر

يتفتّتُ ويسقط

أحبّك.. تحبينني

كالدراويش نعبرُ الجسر

وفي الليالي الكثيرة الغيوم

تتفتّتُ صرخاتك الخفيفة

لتسقطَ على صفحةٍ داكنةِ الزرقة..

- 4 -

أرسمُكِ في دفتري

وأحملكِ في حقائبي

مسافر في شوارع هذا العالم

أسوّيك شعرا

وأغنيات..

لألتصق بك.. وأسكنَ عينيك الغريبتين

أنت يا نجمة الليل المخفية

ويا قمرَ الخليجِ الحزين.

أرسمكِ على خريطتي وطنا

وتحت سماء آسيا

أتوجكِ الأحلى بين الأوطان

اجعلك شطاً وبحرًا وسفينة

وانشر قلبي شراعا

تحركهُ رياح قلبك المجهولة

صوب جزيرة كسلي

تؤاخينا طائرين طليقين

لا يكفّان عن الغناء

أرسمكِ امرأةً فريدةً

خارجَ هذا العصر المجنون

وأعطيكِ ليلاً حالك السواد

ونجمةً..

أعطيك داليةً

وسروةً

وبلوطةً..

أعطيكِ جدتي وطاحونةَ ماء

أعطيكِ فرحَ الحقول

وأفقًا صافيًا قريبًا بعيدًا

تشردين فيه

أرسمكِ

نعم.. لأنك رغبةٌ مستحيلةٌ

في عصرٍ يتفكّكَ..

ويتفتّتُ..

ليسقطَ على صفحةٍ داكنةِ الزرقة..

– 5 –

حينما يمتلىء المساء بوجيب الأحلام

وتخفقُ المصابيح

بين أشجارِ الأكاسيا في شارع بغداد

حينما يبدو كل شيء هادئا ومستقرًا

أقف على شاطىء الخليج

وأرنو بحزنٍ ومرارةٍ

فتتراءى في أعماق مياهه الدافئة

أشرعة الحب

تبحرُ صوبَ أشجار الكبّادِ والنارنج والياسمين

واسمع خفقان قلبك العاري

الآتي كالموج الهادر

اسقط على وجهي

لأصغي بعذوبة إلى أصوات الانهيارات

على جبهة التاريخ

* * *

سلام لك يا..

أنت الأوّلَ والآخر

الفرحُ والحزن

البدايةُ والنهاية..

الخريف

في البدء.. كم خجلتُ

جمالكِ ملأ أعماقي بالخوف والرعب

أسبوعان مضيا بلا أنهارٍ وبلا بساتين

بلا طيور.. وبلا رايات

بلا ليل.. أو نجوم

والليل عندي تحرّق.. وتمزّق، وسهاد

يا ليالي السهاد

لكم أهاجتني ظلمة التغرّب القاتلة

بينما تعوي على الطرقات ذئابَ الوحشة الموجعة

وتتزلقُ على جسد المدينة

هناءات لا حد لها..

***

في البدء.. كم دهشتُ

ولكن من خلال الأسى

المختنق بالقداسة والدموع

رأيت السماء في المساء

زهورا، وملائكة، وأطفالا يمرحون
وسمعت صوتك البرتقاليَّ
الآتي من مكان بعيد
صوتك الأكثر عذوبةً
من أنغام القيثارات الأندلسية
فاذا الكون بيني وبينك
شريط من اللونِ، والضوءِ، والحقول
وإذا أنا أصغي إلى صوتك
أصغي إلى خفق قلبك الورديِّ
الآتي من عالم مجهول
أصغي إلى نغم لا حدود لعذوبته..
في معبد جمالك الغارق في البهاء..

***

يا حسنائي الشاحبة
جميلةٌ أنت كالخريف
ذلك أن الطيور العائدة إلى المناطق الدافئة
تقف على أهداب عينيك السوداوين
ملوّحة بمناديل الوداع الحزينة

ذلك ان السماء

ملأى بالغيوم الرمادية

فتملأ قلبي بالشوق والشعر والأغاني..

أنت وأنا

خذ أقراطي

واشتر بها قلمًا وأوراقا

واكتب لي قصائد الحبِ

وأشعار الحنين

كلماتك الوحشية تدفىء برودة أيامي الحزينة

وتنعش زهرات عمري الذاوية

وفي ليالي الغربة الطويلة

كلما عاندني النوم

أطير بك ومعك

إلى عالم سحريّ أخّاذ

حيث المعابد الأسطورية القديمة

المطهّرة بالقداسة والبخور

خذ قلبي

وانشر القلوع على سارية الرحيل

فها نحن.. أنت وأنا

سفينتان في محيط مجهول

تبحران إلى اللاّمكان..

الولادة الثانية

علّمني الحب

علمني أن أعدو وراء سرابك كمهرة الصحراء

أو أن أغفو كقطّة سيامية على ذراعيك

فالحزن متسوّلٌ يقرعُ أبوابي الموصدة

والضجر يغرز أشواكه الحادة في عمري الضائع

علّمني الحب.. أيها الفارس الخرافي الوسيم

علّم قلبي أن ينبض

أن يخفق مثل عصفور أزرق

هاربٍ من شبكة الصيّاد

أن يسهر حتى الصباح مع الأحلام الوردية

يترقب رقاده..

كي يولدَ من جديد في عينيك الخائنتين..

المطر

المطر يتساقط في قلبي

وفي داخلي عصفورٌ أزرق يجهش بالبكاء

وبين الجدران المتهاكلة

في ظلمات ليالي الغرباء

فوق ركام الانهدامات عبر العصور

أمضي وحيدا مرهق الخطى

عبر دروب الشوك والأفاعي

مسكونا بكل خطايا العالم

***

يا زهرة الشعر

معك أشعرُ أني قريبٌ من قمة الدنيا

أغادرك لكي تهاجمني الأشباح والكوابيس

فأسأل عنك نوارس البحر الآتية

من البحر الأبيض

وزنابق البراري على ضفاف النيل

أغادرك.. لكي أجدك

وبكل جنون الأرض

أرتمي كطفل على ساعديك

فأسمع وجيب قلبك العاري

وهو يتدفق بعذوبة مياه الينابيع الجبلية

فتتراءى على بحيرة عمري الزرقاء

صورا وتعاويذ وأيقونات الزمن الآتي

أنا الصقر المقهور الذي يرود القمم العالية

والقلب البائس الذي يحضن جميع القارات

***

يا زهرة الشعر

في عينيكِ الجميلتين شيء ما

إعصار أو عاصفة

طيرت الرماد المتراكم على قلبي المتحجّر

وأعادته متوهجا كما النجوم في سماء الشرق

***

يا زهرة الشعر

أنت يا حلوة المراح

أيها البستان المخلوق للعذوبة والفتون

لك الكون كلّه تمرحين فيه

وتروّين أحلامك الوردية الصخّابة

فأعيدي إليه الروح والدفء والشعر

أو اتركيه يمضي وحيدا

متثاقلَ الخطى يعانق كآبة الخريف الثقيل..

أنا وأنت
في صدفة بلهاء

دونما اكتراث، يعبر أحدنا الطريق

يمر بالآخر، يسلّم، يصافح، يبتسم، ينفعل، يضحك

يبكي.. يصمت.. يحكي، يشرد.. يتيه

على جناح غيمة

يحلم بالسفر والرحيل

لكن دون أن يستطيع أن يتجرّد من غباء عزلته

من جنون تقوقعه في صدفة بلهاء

جميع مراثينا، وأوجاعنا، وأحزاننا، جفّت.. نضبت

أصبحت مفرغة من المعنى

انها صرخات وحشية تنطلق في غرفة باردة

بلا صدى، بلا هدف.. بلا عزاء...

ونحن في منفى مليء بالرعب والصمت

والجنون المقهور...

ويوما وراء يوم، نكبر، نشيخ.. ونتعفن

وكل منا يستهلكُ نفسه لنفسه

يمضي والصدأ عالق بأهدابه

دون أن يقف لحظة واحدة

ليصرخ في وجه خطيئة العالم الكبرى...

ليمزّق بأظافره جدار العتمة

الذي ينتصب بين عينيك وعيني...

أيتها الصديقة الشاحبة

شحوب ضوء شمعة، في معبد كبير

أيتها المسحوقة في ذهول، تحت وطأة الفراغ...

أنت وأنا، وهذا المساء الذي تهتزُّ فيه أوتار الحزن

لن نبقى محكومين بالنفي والفراق

فخلّي، دم الحب يجري في دمك

علّه، يزيل كل تلك البقع السود

من قلبك المليء

بالعري والأناشيد المغرورة...

أما أنا فسأظل أحبك...

حتى الانتحار

وانهزم بمجد أمام شرور العالم...

علامة استفهام

هذا المساء

مسكونٌ أنا بالحزن والبكاء

يقهرني الحنين الى عينين مجهولتين

يا طير الوروار.. قف على شبّاكها

وأنشد مواويل الغربة

لتذكّرها بالفتى الذي عرفته كل المحطات والموانئ

وآخته المقاعد الخشبية في حدائق كل الفصول

وأنت يا قبّرة البراري

تسللي الى دارها.. وسلّميها دفتر الخيبة والضياع

وهات من عندها علامة

لترصعيها في سفر الذكرى..

* * *

لها في أرضه صنوبرةٌ وسروةٌ، وزيزفونة

ومرج من الشقائق والياسمين

وله في أرضها الزبد والوهم

ورائحة العشب اليابس

أيها الفتى الذي يعدو على رمال الصحراء

أي خواء تسعى اليه

وأي مجنون أنت

أيها الخافق المزروع على قمة الدنيا

أنت يا سيّد الحزن النبيل..

***

كلّ شيء ساكنٌ.. وقلبي هادر

قولي لحنينك المعتّق

ألا يتأخر عن زيارتي آخر الليل

عندما أكاد اختنق

داخل شرنقة الوحدة الأكثر برودة من صقيع الشمال

فعلى شفة الغريب

تتوس بقايا الكلمات التائهة

وتتقاطر الأسئلة الهاربة من الأعماق

يالذيذة الكلام.. وياشهيّة الحديث

قولي لحنينك المعتّق

الا يتأخر عن زيارتي في آخر الليل

ترى هل ستعرفني بساتين النعناع
والزهور التي تفتحت في غيابي؟..

لعينيك تسقط التقاويم

لرنين صوتك

جميع القيثارات تصغي

وكل الطيور تتوقف عن الغناء

ولضحكة عينيك السوداوين

يرفرف المكان بأجنحته

فوق أشجار الغبطة

ويحطّ رحاله قرب ينابيع البهجة والسلام

* * *

في غيابك تتدحرجُ الأرض

وتتعارك المسافات

تخاصمني الأشياء والطرقات

تنكرني الكؤوسُ وتحاصرني الخيبات

أدخل من خرم الإبرة

وأتكوّم مثل شحاذ بلا رداء

وعندما تأتين عبر الأثير

تأتي الدنيا تحت جناحيك

ولحظة تعلنين الوداع

تنغرز السكّين في القلب

ويغوص الحزن في الأعماق

* * *

بين رسائلك وصوتك

أكبرُ.. أتمدد.. أمسك النجوم بأصابعي

أنت العام الذي أتى

والعام الذي مضى

وكل الأعوام التي ستأتي

يا نجمة الصبح

لا أحد يشبهك غير روحي

وأنا أطلب اللجوء إلى عينيك

حيث الأمان وسنابل الحنطة

* * *

أرسمك على أبواب المدن

أسمّيك بحر المسرّات

ومن أجل عينيك تسقط التقاويم

فأنت تجسّدين كلَّ الأزمنة

قلبكُ الهادر كالسيل يحرّرني

وبعشقك أجدُ زمني

ويصير الشعر ملكي..

مغادرة

ألملم الأشعارَ والأشياء

والرؤى الحزينة

أغادرُ المدينة

أجلس تحت سروة في قريتي الأمينة

أحلمُ يا صديقتي بأنني كأنني

غادرتُ أرض الغربة اللعينة..

من أين؟

كل اللهجات

كل اللغات

كل الأبجديات

تسجد لك

تركع خاشعة أمام قدميك الصغيرتين

فمن أين لي

أن أبتكر أبجدية جديدة

تليق بعينيك السوداوين العاشقتين

***

كل النارنج والكبّاد والياسمين

كل الزهور والورود والرياحين

كل عبير الأرض

كل عطر العالم

لا يمحو عطر حبك الممتزج بدمي

فمن أين لي

أن أصنع عطراً جديداً

يماثل عطر جسدك

المعجون باللهفة والرغبة والحنين

كل الهناءات

كل المسرّات

كل ينابيع السعادة

لا تكفي قلبك الذي يخفق بحبي

فمن أين لي

أن أكتشف ينابيع جديدة

تغسل وجهك العذب الجميل

***

كل مساء

أطوّقك

أعصرك بكل ما فيّ من حنوّ وحنان

أضمّك إلى صدري

أغرق عيني في عينيك

أحرقك بأنفاسي

تنامين بعذوبة على ذراعي

فمن أين لي

يا زهرتي الشتوية النادرة

عجبا .. كيف استطعت رغم المسافات

أن تقلبي طاولتي الحجريّة

لكي آتي إليك

وأبايعك.. وأتوّجك

أميرة على قلبي

وسيّدة مملكة حبّي

قناديل في العاصفة

كلمة

مثلما تبعثر الريح تبن البيادر.. وتقتلع العواصف عيدان الذرة اليابسة، كذلك ستبدد رؤى الابداع أكوام التفاهات التي تزكم الانوف برائحتها الباهتة، اذن لا عجب في ان الضفادع تتواجد قرب ملاعب العصافير.

الذين يبغون تقييد الشعر بسلاسل القوالب والاطارات الجامدة المسبقة الصنع، والذين يريدون ان يستعبدوا الشعراء بالقواعد والقوانين الثابتة، هل يعلمون ان النسر لا يسجن في قفص، وان نسيم القمم لا يعبأ في زجاجة

أنا أكره جسدي لأنه يحبس روحي، وأكره صدري لأنه يضيق بقلبي.. فكيف تريدون من شاعر يرود النجوم ان يكون تابعا؟

على الورق سأزرع كلماتي النابعة من اعماق قلبي وأشعاري سأكتبها كما تأتي، وكما أشاء..
ان الزهرة لا تسأل كيف ولماذا تنشر عطرها

والسماء لا تسأل كيف ولماذا تسكب أمطارها.
أحيانا اسوّي كلمتي زهرة على صدر الحياة
وحينا أضعها سيفا وخنجرا، وحينا آخر أرفعها
قمة غارقة في أعماق الزرقة السماوية..
كلمتي هي ذاتي، أعطيها فرحي وحزني
واحلامي
لذلك كلماتي تطلع من اعماق قلبي.. أما انتم
فلكم الحرية ان تأخذوا كلماتكم من القواميس
وتلتقوطها من بطون الكتب.
كنت عبدا وحطمت قيودي
أما انتم فلكم ان تبقوا كما تشاؤون اتباعا
الى الابد.. ولكن لن تستطيعوا ان تحجبوا
انوار الابداع مهما اثرتم من غبار..

أغنية للوطن

يا وطني

أيّها العملاق الذي يدقّ

جبينه بالنجوم

يا نسمةً آتيةً من حقول الياسمين

حلوةٌ.. حلوة عيناك العسليتان

كأغنيةٍ مخمليّة في مرفأ التاريخ

تترجم شموخ ذراك العائمة في السماء

وتواضع سهولك العامرة بالخير والبركات

وامتداد آفاقك إلى ما لا نهاية

آفاقك يا وطني

صفحات ملوّنات بالدمِ والصباحِ والانتصارات

ينزرع عليها تاريخنا العظيم

منارات الطريق الجديدة..

للملايين الزاحفين إلى قمّةِ الحياةِ الظافرة

فعلّمنا يا وطني

ان نستمدّ قوتنا وإيماننا

من هذه الصفحات المشرقات

كعين الشمس

لنحقّقَ ذاتنا

ونبني لنا غدا ضاحكا كالربيع

آه.. يا وطني

يا وطنَ الحبِ والمجدِ والبطولات

متى نكون كبارا كقلبك الكبير

متى نتركُ غبارَ أقدامنا

على جبهةِ الشمس..

أغنية للبسطاء

لكم يا أحبابي

أكتبُ الآن هذه القصيدة

لكم أيّها الفقراء

الذي كان عيدهم بسيطاً كأزهار الحقول

أكتب الآن

للذين أكلوا خبزا وتمرا وناموا

للبسطاء

لطيبي القلوبِ والودعاء

للأكواخ التي كانت غارقةً بالصمت

عندما دَقّتِ الساعة الثانية عشرة

للدروب الموحشة المؤدية إلى تلك الأكواخ

لكم يا أحبائي

أكتب هذه القصيدة

بعد أن أصبحتم في قلبي

نهرا من الحزن

عندما عدت إلى غرفتي ليلة العيد

وكانت الأرصفة تتعثّرُ
بالسكارى والمعربدين
والعمارات تضجّ بالموسيقى والعطور
وكنتم أنتم نياما يا أحبابي
نياماً كالمروجِ البعيدة..
كمساكبِ الورودِ الحالمة
ما أحلاكم وأنتم نيام
ان اللهَ يتكلمُ في عيونكم
والمحبة تسكنُ قلوبكم
لقد طهّرتِ المحبةُ نفوسكم
فسوّتكم على صورتها ومثالها
يا أحبائي
معكم كنتُ ليلة العيد
لقد طفت على منازلكم المتواضعة
وصافحتكم فردا فردا..
فرأيت النورَ
يغمرُ أجنحتكم الحزينة
فلا تحزنوا.. أيها الأحباء

لأن العيد ليس خمّارةً

وحذاءً لامعا

لكنه ذهاب إلى الله

على أجنحة التأمّلِ والابتهال

وذهابُ إلى الحياة

على أجنحةِ التمّردِ والثورة..

صلاة

ربي افسح مجالَ العمل

للأيدي الكادحة والزنودِ المفتولة

للجباهِ المنشورةِ تحت الشمس

على الصقالات، وفي الطرقات والبراري

واجعل الأيدي القذرة

طعاماً للدود..

دع الحناجر الحلوة تغنّي

وجمّد حناجر الغربان والبوم

ازرع أعماقنا بالمحبة

وأشعل الشموع في أقبيتنا المظلمة

واعطنا يا الله

اعطنا سفينةً

وملاحًا في عينيهِ نجمتان..

حديث

كان وردة

بعطرها تنتشي القلوب وتطرب

كان صقرا

لتصفيق جناحيه

لون القمم الذاهبة إلى الأعالي

لدى عودته من العمل

كانت ترتجُّ أعماق ذاتي

تماما كما ترتجُّ الآن لذكراه

وعند ذهابه إلى العمل

كان قلبي يتكيءُ في عينيه

يا لضحكته البرتقالية العذبة

ويا للرجولة في حزنهِ وفرحهِ

وذات صباح غادر

لا أدري لماذا بكيت على صدره

في تلك اللحظة

أحسست أن عالمي ينهار

ومرّ صباح.. وصباح آخر

وفي صباح ثالث

كنت على أحد أرصفة المدينة

أنظرُ إليهِ من خلال دموعي

وهو محمولٌ على عريه

إلى عالم الخلود..

لا تسألني مَنْ أجل ماذا يموت الأبطال

ومن أجل مَنْ تزهرُ الحقول

لا تسألني مَنْ أجل مَنْ

تظهرُ النجوم ويتألقُ القمر

ومن أجل مَنْ تتم دورة الحياة وكيف

ولكني أريدك كأبيك

أريدكَ أن تكون كأبيك

مطرقةً تحطّم الأصنام

ومخرزا تفقأ به عيون العبيد..

حديث آخر

تاقت نفسي للسفر

واشتاقت إلى مغاورِ الذهبِ

والماسِ والزمرد

فيمّمتُ وجهي صوب المجهول

حيث الكنوز والينابيع

التي لا تنضب ولا تجفّ ولا تغور

أنا ما تحرّكتُ مرةً

إلا وقبضتُ على عوالم

غنيّة بالفكر والشعور

وما سافرتُ إلا واكتشفتُ

شيئا جديدا

فكلما وصلت إلى قمة

بدت أمامي قمم أعلى

لكل واحدةٍ ألف ألف يدٍ تلوّح

وألف ألف لسان ينادي

وكلما سمّرت أجفاني بأفق

امتدت أمامي آفاق أوسع وأرحب

***

تاقت نفسي للسفر
واشتاقت إلى مغاور الذهبِ
والماسِ والزمرد
فقد طال قعودي
وما أبشع القاعدين المقيمين
وما أبغض القعود
القعود جمود
والجمود موتٌ وانحلال
ونفسي ترفض الجمود والقعود والموت
سأسافر باستمرار
وأغوص إلى أعمق أعماق الوجود
لأتحد فيه، في صميمه في كيانه، في كلّه
لأكون والوجود
ثورة على العدم
ولأكون والحياة
ثورة على الوجود لمجرّد ذاته..

وحديث آخر

من يستطيعُ أن يمنعَ العصفورَ عن التغريد

والنهرَ عن الجريان

من يستطيع أن يوقفَ الشمس

عن ارسال نورها الخارق

والزهرة عن نشرِ عبيرها الفوّاح

من يستطيع أن يجمّد حنجرة الشاعر

آه.. أيها العصر الخسيس المروّس

اني أهبك صخرةً على شاطىء بحر

وسروة على تلّةٍ في قريةٍ جبلية

وبيتا صغيرا سطحه قرميد أحمر

وعرّيشة يتكىء في ظلالها

شاعرٌ وعصفورٌ أزرق...

ثلاثة أصوات

الأول

مُسافر يحملُ في عروقِهِ
خرائب الازمنة الذبيحة
يحملُ إثم البغض
ولعنة الاجيال
والولادة المغلولة الكسيحه
يحمل عار الارض
يصيب عين البحر بالدوار
ويذهل الجزائر
والشطَّ والمنائر
وترتمي
في تعبٍ
كواكبَ المدارْ

الثاني

أتعبُ من السفر وحيداً

ضعي أقراطك في حقائبي

ازرعي قتلاكِ وجرحاك

في محاجري

ازرعي سنديانةً وزيتونةً وصنوبرةً

وحمّليني أطفالك الجائعين

أريدُ ان أجوب ارصفة العالم

وأصرخ بملء حنجرتي

هاقد اعطيتُ رمحا وجسراً

ها قد اعطيت وطناً

وعلمًا مرفوعاً

يرفرفُ بكبرياءٍ بين الغيوم

الثالث

أرسمُ على جبينكِ علامة

أملأ فمي بالصراخ

استلقي تحتَ شجرة سرو

في مكان ما

أنظرُ بحرية الى النجوم

اغنّي بصوت أجشّ

للارض والسماء

للاصابع التي احارب بها

ركام الخرائب المتعاظمة

تلك التي تتراءى

في عينيّ التاريخ وقلبه..

وفي عتمات المجهول

أحاول أن اقرأ كلمة

تتألقُ في حروفها

ضحكاتُ الاطفال والمنتصرين..

صوت آخر

صوتٌ صارخٌ في العالم

حاد ولامع كالنصل

ينطلق

يتماوج

يتسكّع على أبواب المدن

والاسماء والتاريخ

اسلكوا طريق التجربة

أعدوّا طريق الخلاص..

* * *

أرتدي الثوب الارجواني

وأتوّج جبهتي باكليل الشوك

وباطمئنان اجتاز جسر التجربة

لأدخل بوابة النهاية..

وحبّك جرح عميق في صدري

جرح يعدو كحصان اصيل على صدري

حيث يجعلني فأسقط على الأرض

مسحوقا دونما سؤال

دونما احتجاج.. دونما عويل..

لا اثم بعد اليوم

في ذهول أحدّقُ في عينيك

وأحبّك حبا جائعا إلى الأبد

لا فكاك لي منه

ولا عاصم من أمره

بل سجينا بين جدران قلاعه

وأسواره الرهيبة..

* * *

فليمتلىء قلبك بالشمس

هذا الصباح الربيعي

بلا طيور

بلا ازهار

بلا حدائق أو جداول

وليمتلئْ صوتك الآتي

بالبحر

بالمدن والتواريخ

والاسماء التي لازمان لها..

مرثية
لمدينة ساحلية

لماذا يمتلىء صدرك بالعويل

بالليل، بالاشباح، بالمقابر

ايتها المسحوقة تحت احذية

الغزاة والعابرين..

يا رافعة الساقين في الهواء

على الارصفة المستديرة

والجسور العريضة

متى تضاجعين الريح والنسور

فيمتلئ رحمك نعمةً

ونأتي اليك منشدين

مبارك الآتي باسم المجد

مبارك الآتي

باسم بيارق الانتصارات..

***

عارية تمضين

تجرّين سلاسل الازمان الغابرة وتحلمين بجرّ

سلاسل الازمان الآتية

لماذا انت جارية كاسدة

في اسواق الدلالين؟

❋ ❋ ❋

على جبينك

تعبر قوافل الفاتحين

وفي عينيك بقايا

خانات المسافرين

متى تؤاخين الرعدَ والبرقَ والعواصف

فيكثرُ نسلك في الارض

عمالقة.. وجبابرة..

كما في اساطير الاوّلين..

❋ ❋ ❋

ايتها السيّدة المتعبة من العري

يا ذات الوجه الكالح

والاسنان المنخورة

ما مرة سمعتك حتى في الحلم تصرخين

وما مرة رأيتك

حتى في الحلم تحتجّين

ابداً انت

على الارصفة المستديرة

والجسور العريضة

تستقبلين.. وتودعين..

وما من علامة

أو بشارة..

ما من فارس أو رمح

يمرق بين الرؤوس والأكتاف

كما تمرق الشرارة بين الغيوم..

* * *

الكلُّ خطاة

والكل يرجمك بالحجارة

أما الذي بلا خطيئة

فله أورام الهزائم والزقّوم

الكلّ زناة

وأنت وحدك غير محمية

وما من علامة أو بشارة

ما من صرخة احتجاج

تتفجر على مسرح هذا العصر..

* * *

ايتها الخريطة المرسومة على ورق الوهم

الشوكُ والمساميرُ

في دمي

وما من قوة على وجه الارض

تمنعني أن أحمل صوت فيروز

واختار زاوية ما

تجاورها سروة ونبع ماء

بانتظار قنّاص

يطلق على حنجرتي الرصاص

قصيدة خرساء أخرى

قلبي مليء بالمشاعر والانفعالات

مثل بحر زاخرٍ بالامواج والعواصف

وليس باستطاعتي ان انقلها اليكم

ان الكلمات تموت عند حنجرتي

وأجراس الشعر

لا تقرع في قلبي..

* * *

طالعٌ من مدار البساتين

وآت الى مدار الشوك

والملح والانهدامات..

آت الى هذا العصر

بلا زاد وبلا حقائب

ارتطم بالوجوه المستعارة

بالرؤوس المقنعة والجبهات الكالحة

وعلى خرائب وركام احلام الطفولة

استلقى بهدوء وسكينة

متوسّدا سفر الزيد

ومن بين اغصان الاكاسيا

انظر الى القمر

حيث يبدو كزهرة صغيرة نادرة..

انا رمح بني عبس وذبيان

والوطن المقهور المتوهّج بالدموع

اشتهي كل شيء

وليس لي أي شيء

أعبر الطرقات والجسور والارصفة

وألهثُ كعصفور هارب

وراء التبغ والرايات الممزقة

على الكثبان الرملية

في صحارى التاريخ..

واكتبُ الاشعار

والكلماتِ المضيئة

لفرسان الأرداف

في المدن البذيئة

وأهرّج للسلطان

والعاشقات

والخرائط الوهمية

وأصفّق دون خجل

لسالومي في بلاط هيرودوس..

قلبي مليء بالانفعالات

ولكن الصراخ يموت

عند الحناجر

والقمر زهرة صغيرة نادرة

في مدن هذا العالم..

مزاميز لليأس
في زمن الهزيمة

الأول

عندما هوى النسر في تمّوز
وشربت الارض دمه وعنفوانه
كنت آنذاك
أبحث في عينيك الخائنتين
بين ركام الخرائب والانهدامات
ورماد الحرائق والبراكين الخامدة
عن رجلٍ أو امرأة
عن طفلٍ أو شيخ
عن قدّيسة أو بغي
عن صقر
أو عصفور ملوّن الريش
قادر على خرق صمت هذا الخواء
كنت أعدو كالحصان البرّي
وراءك يا نجمة الليل القطبية

أيّتها النقطة الوحيدة المضيئة

في هذا العالم المروّس كالصوان

ولكن النسر هوى

وشربتهُ الارض

في ليلةٍ حالكة السواد

وكنت انت في عليائك تقهقهين

وكانت عيناك الخائنتان

تزهوان بكل ركام الخرائب والبراكين

فانزويتُ

في ركن مهجور ومستور

وبكيتُ لأول مرة بحرية

بكيتُ

كما لو كنت طفلا جائعا

كما لو كنت انسانا بلا وطن..

الثاني

ألهبوا ظهري وقفاي بالسياط

وضعوني في مكان ما

لا تعرفه الشمس ولا القمر ولا الاصدقاء
ومنعوا عني الكتاب والتبغ والغناء..

الثالث

حارس الحدود
يغطّ في نوم عميق
تسللت كلص
الى أرض مجهولة
وتسكّعت
حتى آختني
أرصفة المدن المسكونة بالرعب..

الرابع

السياط تلمع في ايدي الجلاّدين
وتتمجّد على صدر الحرية
محترفو القمع
يكتسحون كلّ شيء
ويقتلعون النور
من عيون الاطفال والشيوخ والنساء

وفي أيّ اتجاه

كانوا أمواجا من الجراد والذباب..

الخامس

الزمن صيفا

السماء صافية زرقاء

الارض تموجُ بفرح القمح والاطفال

وحينما أتيتُ اليك يا طاهرة

حفرتُ اسمينا على سنديانه

واتجهت الى الحرب..

السادس

الزمن لا زال صيفا

الهواء ثقيل

السماء سوداء

الارض تموج بالحزن والفجيعة

وحينما رجعت اليكِ.. يا مقهورة

محوت اسمك بمرارة

وتركت اسمي وحيدا

مشرعًا للريح المحمّلة بكل عار العالم..

السابع

من أجل ماذا اذن

حمّلتُ

وأحمّل

كل هذا القهر

وكل هذه المرارة؟!..

المزمور الأخير

ها أنا وحدي

أعبر بحر الظلمات

تاركا سفينتي

تتجه دونما ندم أو صراخ

الى مينائكَ البنفسجي

أيها اليأس

يا أمير الاحرار في هذا

العصر المائل..

أربع حركات

في البدء

ها أنا ذاهب الى الفراش
ولكنَّ النوم يستعصي عليّ
في البدء كان السوط والجلاّد
العالم ينهار كالتماثيل الورقية
السلام عليكِ ايتها الحروف
الأبجدية
السلام عليك ايتها الحرية
أنت قاس، يا وطني
أنت قاس، ايها العملاق
غنّيتُ لك
في الماضي
وقد اغنّي لك
في المستقبل..
أما الآن
هذا يكفي

الى اللقاء غداً

ابناء الليل يتسكّمون

وأمام حوافرهم الوحشية

تتدحرج جماجم الشعراء..

وسائد

ايتها الغجرية الصغيرة الحسناء

يا وردة حمراء

ترقص في الحانات الرخيصة

لك تنشد الاناشيد

لك ترفع الرماح والرايات

سلام عليك

أنت الألفُ والياء

عيناك سروتان

وردفاك وسادتان

ينام عليهما التاريخ والمستقبل

على صدى

رنين السيوف

في

المعارك الوهمية..

قتل

طارت السمّنة

حطّت السّمنة

وقعت المسكينة في شبكة الصياد

الصيّاد وحش يقتل العصافير

يلتهمها مشويّة ومقليّة

أو يبيعها للسادة الكبار

الذين تعلموا القتل على الهوية

والرقص في المقابر

والضحك على الموتى

الراقدين بعيدا عن الشمس

على وسائد الابدية

من خلال الهروب الى المرابع الليلية

والنوم على أفخاذ الراخصات

وأثدائهن المدلاة

إلى العالم السفلي..

صولجان

القلم مكسور

القلب مذعور ومقهور

القلم يابس وجاف وجامد

لم يعد يصلح لكتابة القصائد

كل شيء

جاف

ويابس وجامد

الهواء والماء والأحلام

الحبر

والعطر

والانغام

وكذلك المواويل والمجينا والعتابا

ولكن الرأس الملساء

تخرج من بين الانقاض

ومن خلف أسوار الأسر

حاملة صولجانها الذهبي

مغسولا بالدم والحرية

وترقص

الى ما لانهاية

حول النار..

أنف

الخوف جلاّد

يقبع كالجلواز في رأسي

يمد أذرعه الطويلة

فيعصر الفؤاد

يكسّر افراحي واضلاعي وكأسي

أنفي وما ادراك ما انفي

مازال تمثالا

على وجهي

من الخزف

لكن خوفي

محايا حسرتي أنفي

وبعثر في الطرقات

إزميلي

وحرفي..

أعور

لو كان لي

أن أقهر الجريدة الوحيدة العيون

لحرقتها اذن

جعلتها رمادا

لأن من أرسلها غبي

لأن من يحملها ويختفي وراءها غبي

لأننا في هذه الدقيقة

نزيّف الحقيقة

وندّعي بأننا احرار

في بلد الحرية

وندّعي بأننا مسمار

في جزمة القضية

وندّعي بأننا

لا نعرف الجريدة الوحيدة العيون

واننا واننا..

كأننا

لا نعرف الحكاية

فليذهب الفجّار

الى الجحيم والبوار

ولتنتهي الرواية

فذلك الذي اتى

من اجل ماذا ومتى

ليس له في آخر النهار

سوى السباب

سوى الشتيمة في الذهاب وفي الاياب

لكنه

التلفيقُ

يقودنا حتما الى التحقيقُ..

ثلاث رقصات على ايقاع واحد

الأولى

يا أمّة العرب
دقّي على الصنوج
دقّي على الخشب
وعلّقي العجين فوق العَتَبات
وعلّقي الحدوات
والخرز الازرق والبروج
يا ايها العرّاف
خذ هذه الابريزة
واكتب لنا تعويذة
فعندنا من كل صنف
الف ألف
فها هنا السيّاف والقنّاص والجلاّد
وها هنا الدهليز والحجّام
وحامل المنديل للاهين في القصور
والسفن المحروقة الأعلام

والرمح والقرطاس والسخّام

وعندنا في آخر المطاف

سلاسل الحديد للاغلال والأصفاد..

الثانية

يا أيها العّراف

خذ هذه الابريزه

واكتب لنا تعويذه

تحرسنا من حسد الحسّاد

فهذه راقصة تقطّع العصب

وهذه مطربة تفجّر الغضب

وهذه.. قرأّعة مسنونة

كأنها لتوّها طالعة من مجمر الحطب

تهوي على الرقاب باسم الرقص والطرب

وعندنا

في مصر أمّ الدنيا

شخص قميء

يقمعنا في الليل والنهار

بصوته الرديء
وأنت يا هذا الذي ينوح في التلفاز
يبكي ولا يغرّد
من أي مقلعٍ أتيت
يا أمردُ..

الثالثة

يا أيها العّراف
خذ هذه الابريزه
واكتب لنا تعويذه
تحرسنا من انتقام الجنّ والأشباح
فعندنا في الدفتر العتيق
فرزدق وعندنا الحطيئة
يجعلنا دريئه
لناقد معاصر يؤمن بالتجريب والحداثة الشعريه
زوجته تسير في الشوارع الخلفيه
تبدو لنا كأنها غراب
وابنته من خلف ثقب الباب
تحاور الزوّار

تجادل التجّار والسّمار

تخوض في المسائل العصريه

تحكي لنا.. تحكي عن الحريه

وعندنا

في حيّنا رباب

تعاشر الجان الكرام

وزوجها العنّين

صار له جيش من الأولاد

جيش من الأحفاد...

خاتمة

حطّت على يدي

حمامة زرقاء

ناحت على غدي

طردتها...

يا أمّةً تموت بالنشاز والغناء والخُطب

يا أمةً سيقانها قصب...

الخلاص

الضجر كرة ثلجيّة

تسقط على رأسي الملتهبة

قلبي كرة ملتهبةٌ

تسقط على ثلج الطريق

أربعون عاما وأنا أسير حافي القدمين

مكشوف الرأس معصوب العينين

الماضي خرائب وعفن وركام

والحاضر همّ ووهن وسخّام

والغد هارب خوفا من الاعتقال

فالى اين المسير؟

الى اين المفّر ياغلام؟

فاذا تراجعتَ الى الوراء غرقت

واذا بقيت في مكانك قُتلت

واذا اندفعت الى امامك قُمِعت

فاركب اذن بساط الريح

واندفع يمينا

واخلع كما الحيّة قشرتك

واركب ظهور الجان

واندفع يسارا

ولا تحدّد وجهتك

لكن حذارِ ان تقف

حذارِ أن تقف..

حذارِ أن تقف..

عجائب

صديقتي بهيّة

وجارتي رقيّة

أمهما تماضر المصرية

وبعضنا في موطن العرب

ليس لنا أب ولانسب

ذكورنا، فحولنا

مرّت على أسمائهم دجاجة الاسبان

فشطّبوا من دفتر الهوية

فخالد الى سبيكة ينسَبُ

وناصر وشمدص

وبطرس وبولصُ

ومصطفى ومصعبُ

وعامر كنيته حليمه

وسامر كنيته نعيمة

وجارتي رقيّة

تفّاحة حامضة شاميّة

في خلوة العشية
تأتي بكل ما في اللعب من عجائب
وعندها بهية
في الفازة الرقيقة الستائر
تسمع كل شيء..
تسمع غنج الجنس والاهات والدوائر
فتمتطي اصابع اليدين
وتغمض العينين
وتدخل البوّابة
عازفة على الربابة
وينتهي في لحظة.. ينتهي كل شيء..

ملح

أبحث في عينيك عن شيء ما

يا فجيعة الزمن الاخير

يا وطنا بلا راية

أي سماوات مغبّرة

أي نجوم تلك التي تتفكك

وتهر كما الاوراق الصفراء في الخريف..

يا فجيعة الزمن الاخير

ها نحن وحدنا الغرباء

نتسكع على ارصفة التاريخ

وملء أفواهنا رماد وطين

وكلماتنا ذات اللسان الجريح

تطوي اجنحتها على الشوك والمسامير

وترنو بحسرة وحرقة ومرارة

الى تماثيل الملح

وهي تتفكك وتتفتّت وتتلاشى

من ذاكرة التاريخ..

كان يا ما كان

وكان يا ماكان

كانت لي النجوم في السماء

وكان لي نهار

وكان لي بيتٌ وشبّاكان

وكان لي عنوان

وكان لي صديقة حسناء

وكان لي مقهى وحان

وكان ياماكان

وكان.. «يالهفي» على ما كان..

حافظ الأسد

الحاءُ حريّة

حرية القرار والعقيدة

حامي الورى.. حامي الديار

وحرب تشرين المجيدة

والألف انتصار

والفاء فوق قمة القمم

نسر وسارية وغار

وبيرق من نجمتين

يجاور المهد وأولى القبلتين

والظاء ظل، ظافرٌ، ظفيرُ

أنت لنا الظهير.

ظللتنا

أظهرتنا على عدوّنا

يا طالعا من مقلع الرجولة

يا صانع البطولة

بوركت يا مظفّر

بوركت يا منتصر

يا رافع القمم

نعم.. نعم

قائدنا الى الابد

يا حافظ الاسد

* * *

والألف افتخار

ابهى من القمرينِ

أبصر من عقاب

واللام لا مساومة

على الحقوق

في القدس والجولان والجنوب

فأرضنا أبعد عن اطماعهم من العيّوق

أنأى من الكواكب البعيدة

والسين اختنا سناء

وابنتنا سهى

هاماتنا على الذرى

بوقفة العزّ وبالفداء

يا أحد الأحدينِ

علمّتنا المقاومة

والبذل والعطاء والشهادة

والسين في سلوكنا سلام

والسلم في قاموسنا حقٌ وخير

عدل ونصر

يافارس القيادة

ما أروعك

في الحرب والسلام

نحن معك

الى الابد

يا حافظ الاسد

❊ ❊ ❊

والدال دولة الاسد

ودولة الرجال

في السلم والطعان والنزال

وأمة تمرّست بالحب والنضال

ودولة البراعة الحكيمة العليمة

والسحر في مرونة الفولاذ والحديد

واللُجين

والخبرة العظيمة العظيمة

يا أحد الاحدين

أبقى من النسرينِ

أثلك الجمهور يا مؤثلُ

وأثلت العز والمجد له

لك المحبة كلها

لك القلوب والعيون والمهج

قد ظهر الصبح لذي عينين

عدونا أروغ من ثعاله

أكذب من هبّ على الارض ومن درج

أجبن من نعامة

أحمق من فراشة وعقرب

وماضغ الماء

من ناطح الصخر

وناطح الماء

أذلّ من حصيرةٍ ومن بساط

أذلّ من وتد

فان أتوا ريحا فأنت العاصفة

وان أتوا ليلا فأنت المقمر

خسئوا

فمن أجرأ من ذي لبدةٍ

ومن أسامة

فليدفنوا رؤوسهم في الرمل كالنعامة

يا أحد الاحدين

ابقى من العصرينِ

بوركت يامظفّر

بوركت يا منتصر

يا صانع التصحيح والتشرين والسلام

ما اروعك

نحن معك

الى الابد

يا حافظ الاسد

طاقية الإخفاء

في ليلة ليلاء من كانون

كان المطر

يسقط فوق الاسطحة

وكان لمع البرق صوتُ الرعد والرياح

يملأني بالشك والظنون

قال لي العرّاف

طلّق حياة الليل والسّم الزعاف

يوم ويومان

شهر وشهران

انظر الى الفنجان

على جداره اشارة، علامة، بشارة

وأجنحة

عمّا قريب

يا أيها الغريب

تُعطى لك الحروفُ والاسماء

والارض والبحار والسماء

ستملك

يا ملكُ

طاقية الاخفاء

* * *

من فرحي

حطّمت كأسي الاخيرة

صدّقت كذبته الحقيرة

غادرتُ ارض الحان

على جبيني ريشةٌ

وفي يدي عصا وصولجان

* * *

وفي الطريق

من طربي صرخت.. يا أيها الطغاة

قد بلغ السيل الزبى

لكم الممات

لنا الحياة

اليوم خمرة

وفي غد يأتي الحساب

* * *

وفي الطريق

تعبتُ في الطريق

أحرقني وهج الخيال

زلزلني التجوال في عوالم السراب

جلست في حديقة المدينة

وفوق رأسي الصغيرة

غصن ونجمتان

وغيمة مثقلة حزينة

تجهش بالبكاء

وفجأة ... وفي أقلّ من دقيقة

هوت عليّ المطرقة

ألبسني الاخوان

طاقية الاخفاء

***

اشارة .. اشارتان.. علامة .. علامتان

بشارة .. بشارتان

صدقت يا منجم

طاقية الاخفاء فوق قامتي

أخي وأمي وأبي

وعمتي وخالتي

حبيبتي وجارتي

وكل من يعرفني من الخلاّن والصحاب

قد سألوا الناطور والحارس والبوّاب

وجنّدوا حتى الذباب الأزرق الجوّال

عادت قوافل الذباب

صفر اليدين

يا أعور العينين

أين خفيت جثتي؟

رصاص

في شارع الرشيد

امرأة عجوز

بكأسها تلوذ

ترقص في الحانات

وتنشد الموّال والقدود والنشيد

بصوتها الرديء

وترفع الهتاف والسيوف والرايات

على ضجيج طبلها القميء

وفجأة يلعلعُ الرصاص

من مدفع يحمله قنّاص

فتسقط المسكينة

سابحةً في دمها

هاربة بعريها إلى السكينة

ضحيّة الحماس للنضال والكفاح

في الحانة الرخيصةِ الأرداف والأقداح!

بغداد

بغداد مقرورة

تنام واقفة من الخوفِ

باردة الأطراف والأنفِ

مسكونة بالظلم والجنّ وبالأشباح

مسلوبة القرار والارادة

عارية كجارية

يسوقها مزنّد تزندقا

مباعة أو عارية

للطاغية

والموت في بغداد

يأتي بلا ميعاد

من حاكم سفّاح

جاء إلى القيادة

بقبقة في زقزقة

في ليلة ليلاء حالكة السواد

بغداد مقهوره

لا تأكل التمرَ ولا الرطبا

بغداد... والهفي على بغداد

يحكمها البسطارُ والجلواز والجلاّد

أهزوجتان

- 1 -

لو أنني شمس صغيرة، لما أشرقت إلا من أجلكم، ولما غمرت بالنور غير دنياكم، أو منارة عالية متألقة، لما هديت غير زوارقكم إلى الشواطىء الخضر الآمنة.. أو نبع كامن في أعماق الأرض، لما تفجرت إلا في أرضكم لأزيد في خصبها ونضارتها...

ذلك، لأنكم أنتم جميعكم، أنتم النشيد الذي يردده قلبي، والنغم الذي ينطلق من أعماق ذاتي...

وكلما اندفعت على دروبكم، كلما تألق وجودي بأنوار السعادة. لأن السعادة الحقيقية هي تلك التي يصنعها الحب والعطاء...

وها نحن جميعا نعبر جسر الحياة.. فلنكن جميعا على دروب العطاء... دروب السعادة والهناء...

- 2 -

في عربة الليل السوداء، التي تقودها الجياد المطهمة، نسير على دروبك، أيها العطاء أيها الينبوع الأكثر عذوبة من البحر والسفن المبحرة إلى الموانىء المنسية... وتحت أفياء

أشجارك ذات الغصون الممتدة إلى السماء، نتكيء كلما أحببنا أن نلقي بمتاعبنا في وهاد النسيان... ذلك أننا على أنغامك السحرية، نحلق بأجنحة النسور، فوق القمم السابحة في الزرقة البعيدة...

بك ومعك، نكبر ونمد أجنحتنا لنحضن الوجود ونزرعه في قلوبنا فراشة وزهرة ونجمة...

بك، ومعك، نضيء ونتألق، ونرتفع منارة وسفينة وميناء دافئا عجيبا...

بك، ومعك، نصير بذار قمح، وأرضا، ومطرا ومواسم...

ولهذا، نحن نسقط في بهائك...

ولهذا، نحن نرتمي على سريرك...

ولهذا، نحن بك ومعك، لا ندع شمالنا تعلم ما تعطيه يميننا، لكي نكون في مستواك، وعلى صورتك ومثالك...

أيها الفرح الذي لا حدود له...

درج الليل

لأنني أحبّكم

أتيتكم عاصفةً مزمجره

زوبعةً مدمّره

مركبةً من ياسمين

تحملكم من درجِ الليل

الذي عليه تزحفون

من عُلبِ الظلام حيث تقبعون

إلى غد أحلى

إلى غد

قميصه الربيع والضياء...

قصائد يتيمة

أنا من هناك

أنا من هناك أتيت إليك من وادي الكروم
من مقلع الضياء في وطني ومن زرق الغيوم
من ضيعة هناك عالقة بأهداب النجوم
من وشوشات دروبها وحكاية النبع الكريم
من سنديان هضابها وصنوبر التلّ القديم

***

أنا من هناك أتيت من خصب عناقيد الدوالي
من المروج الخضر والأزهار من دفء الظلال
ومن التلال السمر من ألوان هاتيك التلال
من كبرها وصمود منزلها لهبّات الضلال
أنا من هناك من المروج الخضر في أرض الجمال

***

أنا من هناك أتيت أغنية وألحانا طروبه
في رفّة الأهداب لي دنيا وآفاق رحيبه
وفي حديث الشفة الحلوة أحلام خصيبه

وشـراع مـلاّح يرّش مـلاعب النجـمـات طيـبـه
ويمّـد أبعـــــادا بـكل مـــــدى تـزنـرّهـا دروبـه

--*

أنا شاعر من لحم قلبي من دمي أطعمت غيري
ورصفت أضلاعي جسورا صلبة ووهبت عمري
ولأجل عـذراء خـجـول أحـبّـهـا أصـوغ شـعـري
وأرشّ دنيـاهـا شـذى جـمّـعـتـه من كل زهـر
أنا شـاعـر من لحم قلبي من دمي أطعم غيـري

نحن من أمة حرة

أخي شارف الزاحفون الربى
وبانت حدود لنا غاليه
ولاحت قصور الجمال النديّ
على مفرق القمّة العاليه
وغنّت طيور الرياض نشيد
الحياة وألحانها الباقيه
فحطّم قويّ القيود وسر
بحزمٍ وعزم إلى العافيه

* * *

أخي نحن من أمةٍ حرّة
ومن بحرنا انطلق الزورق
ونحن وضعنا أساس الوجود
فكان.. وكان بنا المشرق
ونحن شققنا دروب الحياة
فمات على دربنا المغلق
ونحن بنينا القباب التي
عليها يُرى القمر العاشق

أخي أنت عندي نداء بلادي

ورجع أساطيرها الخالده

تمر فتخضرّ أرضا تمرّ عليها

وتورق أشجارها البارده

ورغم أنوف حديد السجون

وأنف هوى الطغمة الحاقده

سنبقى كبارا كبارا أعزّاء

تعرفنا القوة الصامده

شموخ

لا تسل ماذا؟ ما أكون ولا ترمي

بروحي في الضيّق المحدود

أنا إن شئت أحمل الشمس في كفّي

وأمضي إلى البعيد البعيد

أو أشأ أقطف النجوم.. أسوّيها

شموعا على طريق الوجود

وأرش الطيوب في كل صقع

بسخاء ولا تبالي ورودي

أنا انسان قوة الله في قلبي

وفكري وأضلعي وزنودي

ما أتيت الحياة إلا لأبني

لأقيم القصور من تشييدي

لصراع يأبى انتصارا بسيطا

وكفاح يأبى مجال القيود

أبدا ملعبي دروب مجالات وساع

للخلق والتجديد

أنا إنسان يرقص الكون نشوانا
على لحني الجميل السعيد
وتغنّي الدنيا أناشيد حبي
وحناني وذوب روحي الصمود
الصباح الجميل ملء دمائي
وجمال الصباح كل نشيدي
قال كن كما أريد كن صورتي
الحلوة في الأرض كن مثالي وعيدي
أنت سوريّ بلادك درب العزّ
والخير والهدى والخلود

الريشة المبدعة

رسمت ريشة الهدى والضياء
من دمانا ملاعب الارتقاء
يورق القفر إن مررنا على القفر
وتخضّر واحة الصحراء
وبلادي على فم الحب ألحان عذاب
وفي شفاه البقاء
من هنا، من بلادنا نحن وزّعنا
على الدنيا ثورة الكبرياء
ومهرنا الوجود بالأحمر القاني
فكانت لنا دروب العلاء
وحفرنا على جبين الليالي
قصّة الحب والعلى والسناء
من هنا من بلادنا نحن أطلقنا
شراعا مذهّب الأضواء
فسرى يقحم العتيّ من الموج
ويمضي في عزّة وإباء

يحمل الحرف للشعوب وازميلا

عظيما ورفعة العظماء

من هنا من بلادنا نحن أطلقنا

شراعا مذهب الأضواء

يا فلسطين والقلوب حملناها اشتياقا

ولهفة للعطاء

في غد يطلع الصباح وتنهدّ

قصور الانذال والجبناء

ويعود التاريخ دفقة ينبوع

سخيّ مطرّز بالدماء

في غد نلتقي هناك لنصر

في فلسطين منبت الأنبياء

الشهيد

لِمَنْ الغار والتماثيل في كل

فؤاد ومن حبيب البنود

ولمن تنشد الصبايا أغانيها

وتسبيح الشاعر الغرّيد

يا أخا العزّ والبطولة والتاريخ

يروي من كان خير نشيد

ته على الدهر فالملاحم الحمراء

كانت مع الشهيد السعيد

روعة الموت ان يكون طريقا

وانطلاقا إلى البعيد

قل لمن يعشق السلام

قل لمن يعشق السلام ويهواه

خنوعا وذلّة ووعودا

ولمن لقّه الصغار فخلاّه غريبا

عن أهله وبعيدا

غاية الشعب نهضة تخلق

المجد لشعب يأبى الردى والقيودا

يا فلسطين والقلوب تنادي

لك منا بأن نظلّ جنودا

لك منا بأن نظلّ سيوفاً

تبتر الشرّ والأذى واليهودا

كبرياء

أنا ان قصّت الخطوب جناحي
واختفى زورقي ومات صباحي
وعلت مرجتي الكبيرة موجات
اصفرار.. وحطّمت اقداحي
وأباح الشقاء قلبي وآمالي
وحبّي لقاسيات الرياح
لا تنوحي ولا تقولي حرام
فتزيدي متاعبي وجراحي
أنا ابن العذاب والألم المضني
رفيق الأحزان والأتراح
ولدتني الحياة في ليلة خرساء
ظلماء في الطريق المباح
ورمتني كأنني لست منها
في صقيع الأسى وثلج النواح
عذبتني الأيام عذّبني دهر
عتيّ اقسى من السفّاح

أبــدا أســــــــــــــأل الــدروب ولا شــيء

فــي الـدروب عـن مــــــصـــــــبــــــاحـي

كـلـمــــــا مــــــرّ فـي حــــيـــــاتي هـنـاء

خـنـقـــتـــــه جــــحــــافل الأشــــبــــاح

لــم لا أثــور؟ لا أمــــــــلأ الــدنـيــــــــــا

كـــــفـــــاحـــــا يـفـــوق كل كـــــفــــاح

لـم لا أكـــــون خـــــفـــــقــــــة قـلـب

هـمـس حـب عـلـى شـــــفـــــاه الأقـــــــاح

وضـلـوعـي تـقــــتــــات شـــوق فـــــؤادي

لـشـــــمـــــوخ الـذرى وكــــبــــر الـبـطـاح

ســــوف أحـــيــــا وســــوف أبـني قـــصـــوري

رغـــــم أنـــف الـــــردى وأنـــف الـــريـــاح

فــــالـعـظـيـم الـعـظـيـم مـن يـقـــهــــر الـصـــعـب

ويـبـــــقـى فـي لـهـــــفــــــة لـلـســــــاح

هواجس

أنا ماذا؟ ماذا أكون؟ أعطر

في فم الورد أم نداء فؤاده

أنا ماذا؟ ماذا بنيت بحبي

هل خلقت اللحون في أبعاده

هل نثرت الوجود دنيا جمال

ونصبت القباب في أبعاده

ينتهي العمر والزمان على قلبي

بخيلا يعطي بقايا رماده

* * *

أنا طيف الشقاء في هذه الأرض

ولون العذاب والآلام

حطّمتني الأوهام حطّمني البؤس

وأفنت حقوله أحلامي

أبدا يركض العذاب ورائي

ويعيش الشقاء ملء عظامي

ربّ شخص يبدو سعيدا طروبا

هو في الحق كومة من حطام

أين آمالي الكبار وأحلامي

وقلبي وعزتي وابائي

أين أشواقي للعطاء ولهفات

دمائي للثورة البنّاء

أين داري وملعبي ومزاري

وصلاتي ومعبدي وسمائي

أين؟ لا شيء في دروبي

سوى الليل وصمت المقابر السوداء

***

آه يا زورق الحياة وماذا

في حياتي غير الصدى والرمال

آه يا زورقا أحب إلى أين

ومجدافي كسّرته الليالي

في غد يحفرُ الزمان على قبري

سطورا كانت تعيش ببالي

وتغنّي الأطيار لحن حياة

عشتها وحدي في الأسى والقتال

قلق ينهش الفؤاد وخوف

من غد.. من مستقبل محجوب

من ينير الطريق؟ من عنده

نور عظيم يشقّ قلب الغيوب

من يزيل الآلام عني إلى حين

لأحيا كما تشاء حبيبي

روضة تملأ الوجود طيوبا

وحكايا على شفاه الدروب

أول آذار

أنت والدرب وآمالي وآفاقي الرحيبة

قصّة الانسان في الكون وفي أرض الحبيبه

يا أخي والشقاء يغمر داري

ودروبي وأضلعي وفؤادي

والظلام الحزين يملأ دنياي

بكل الأسى وكل القتاد

بيد أني على الدروب أغني

في سبيل الأبناء والأحفاد

وأصوغ الحياة شيئا جميلا

أبيض القلب أخضر الأبعاد

وأسوّي الوجود ينبوع حب

وعطاء باق على الآماد

***

كل شيء عندنا حلو كأحلام العذاري
التلال السمر والكوخ وأشواق البكارى

كلما أصبح الصباح وغنّى
عندليب في الروضة الغنّاء
وحكى الورد للندى في حنان
قصة الحب والهوى واللقاء
ومشى العطر في اختيال الطواويس
عزيزا في موكب السعداء
كلما جاءني خيالك هزّتني من
الأمس صورة الكبرياء
هزّني هزّني الحنين فألقيت
بروحي على طريق الفداء

***

أنت في الدنيا حكايات وعنوان الرجولة

وحديث القلب للقلب وأنغام البطولة

ذاك آذار يا جموع استفيقي

واشعلي النار في الهشيم الباقي

انه يقظة المدارك والعقل

وهدر زوابع الاشراق

نحن فيها زند يعمّر حق الشعب للشعب

قصرا من السنا الخلاّق

نحن فيها جرح يعانق جرحا

فاذا الجرح وثبة الانعتاق

نحن فيها سيف يمزّق ثوب الذل

والعار والخنا والنفاق

***

ذاك آذار صرخة في فم

الشعب وزحف مجلجل هدّارُ

صرخة تقلب الوجود لتبنيه

وتمشي بهديها الأقدار

نحن فيها مواكب تتحدّى

وقضاء محتّم قهّار

كلما مرّ في الحياة مساء

اطلع الصبح للورى آذار

انه النور فامّحي يا شقاوات

ليالينا وانهدم يا جدار

* * *

قتلوا من أراد تحريرهم ظلما

وناموا على سرير الهوانِ

زعموا انهم إذا غيّبوا النسرَ

تصير الحياة للغربان

زعموا انهم بذلك يرمون إلى الموت

فكرة الانسان

خَسِئت دولة الطيوف فما

انهدّ بناءٌ قام على الايمان

الموسم الطيب

غدا يمر موكب الحصاد في أرضنا

ويطلع القمر

وتنضج السنابل الشقراء في حقولنا

وتغرق الكروم بالثمر

وتكتسي التلال بالزهر

ويهطل المطر

وينشد النهر

ترنيمة الحصادِ والمواسمِ

والخير والمغانمِ

غدا يموت القحط في دروبنا

وجوعنا القذر

* * *

بلادنا مواسم طيّبة العطاء

طيّبة كأرضنا

كشعبنا المكافح العنيد

ونحن في كفاحنا المجيد

حكاية الانسان والمشاعلِ

حكاية الانسان يعشق الضياء

حكاية الكروم والسنابلِ

* * *

بلادنا وفي غد بلادنا عطاء

بلادنا ضياء

بلادنا حريةٌ حمراء

أغنية خضراء

خضراء كالأطفال والصغار والزيتون

كالحب والأحلام والخمائلِ

وفي غد ينزرع الزيتون

وتنضج السنابل الشقراء في حقولنا

وتغرق الكروم بالثمر

وتكتسي التلال بالزهر

ويطلع القمر

غدا يموتُ القحط في دروبنا

وجوعنا القذر

صباح وطيب

صباح وطيب

بداري

وفوق مزاري

ولحن قريب بعيد

يهزُّ الفؤاد الكئيب

ويخلق فيه الوجود الخصيب

وكل الذي حولنا

وكل الذي عندنا

صباح وطيب

وسقسقة العندليب

***

يغنّي القمر

ونحن نسير

على زورقٍ عاشق للسفر

إلى عالم من ضياء

إلى عالم طيّب كالعبير

ويهتف قلب القضاء

سيبقى الصباح الرطيب

سيبقى

على شفة الموكبِ المنتصر

أغاني الغد المنتظر

عيناك

أمرجة من ضيعتي تغفو
في حضن نيسان وأيار
أم زورق من موطني يسري
يحمل أشواق أسفاري
عيناك
أم موّال راعيةٍ
لنجمةٍ في الأفق العاري
حكاية
عيناك لا أحلى
كبحر ألوانٍ وأنوار
عيناك لي دنيا مركّزةً
للعطر والريحان والغار
يا حسنها غابات من لوز
أنغام قيثار ومزمار
وموكب الأحلام
في خاطري

وهمس أكواخي لسماري

وملعب

على دروب المنى

مطيّبٌ بمسك أزهاري

❋ ❋ ❋

يا حلوة العينين

يا حلوتي

يا كل ألحاني وأشعاري

ماذا يهم القلب لو انه

لو أنت لي

لو كنت في داري

أرجوحة القمر

لا تسألي كيف كان

لقاؤنا الأوّلُ

لا تسألي والزمان

من حبّنا يغزلُ

أرجوحة للقمر

وملعبا للنجوم

بلون كل الزهر

وشكل كل الكروم

نحن على دربنا

ما دامت الأعصرُ

الحب من عندنا

واللحن والمزهرُ

لنا دروب الجمال

لنا غد أخضر

وكل سام وعال

والمسك والعنبر

يا حبّذا

من يا ترى يا حبيب
من لّنا
وشكّنا
على الذرى والدروب

❊ ❊ ❊

من خبّر الأطيار عن دربنا
ووشوش الزهرا
والنبع والنهرا
وعلّم الأطياب عن بيتنا

❊ ❊ ❊

من حمّل الشاعرا
أشواقنا
والقمر الساحرا
أحلامنا
من يا ترى يا حبيب
من زوّق الحبا

والليل والأحلام والوهما

من لوّن الآفاق والدربا

وأيقظ الكرما

لي أنت لي

يا حبيب

طعم الشذا

يا حبّذا

لو كنت لي يا حبيب

وأسأل عنك

وأسأل عنك دروب الكروم
دروب النجوم.. ودرب القمر
وأسأل عنك حديقتنا في
- منامي وفي يقظتي - والشجر
وأبقى ألوك السؤال العنيد
وأعصر قلبي وقلب الحجر
حبيبي أحبّك رغم النوى
والبعاد ورغم الأسى والكدر
أحبّك وجها يصوغ الجمال
وقلبا يصوغ السنا والصور
وأهواك روحا طليق الجناح
يجوب الفضاء بغير حذر
أحنّ إليك حنين الغريق
إلى زورق من ضلوع القدر
وشوقي إليك كشوق الصباح
لشدو الطيورِ وهمس الزهر

حبيبي ترى هل أراك بقربي

تغنيّ الحياة وتهوى السفر

وتحيا شذى في عروق الربيع

وحبّا يصوغ السنا والصور

طفلة

طفلة أنت يا حبيبة طفلة

تزرع الآفاق طيبا

وترشّ الكون عطرا والدروبا

تملأ الدنيا أغاني

وأماني

وتقول العمر قبله

فوق تلّه

قرب نجمٍ أبيض الأضواء أحمر

* * *

يا حبيبي أنا أهواك وأهوى

اللون في عينيك أخضر

يا حبيبي آه لو تملأ كأسي

من رحيق الشفتين

وعصير القلب والرمّانتين

يا حبيبي انها فرحة عمري

يوم ألقاك بقربي

تسكب الأحلام من قلب لقلبي

وتغني العمر قبله

فوق تلّه

قرب نجم أبيض الأضواء أحمر

عفوا حبيبي

أبعدتها عن فؤادي

لكي أعيش هنيّا

فزاد شوقي ووجدي

وثار قلبي عليّا

فعدت أسأل عنها

زهر الربيع الشذيّا

وعدت املأ شباكها

غناء طريّا

وقلت عفوا حبيبي

اني أعود وفيّا

إذا تركتك يوما

أموت شيئا فشيّا

تسامي

هناك خلف النجمة الساحرة

صبيةٌ شقيّة ساحرة

تقول لي

بصوتها المخملي

هنا هنا عمّرت منزلنا

فلا.. شذى.. سوسنا

وحبّنا

حكاية الأزهار والورد

والنرجس اللفهان والنهد

ودربنا

أولها عندي

طويلة ترتمي

في عبّها تحتمي

ملاعب الأنجم

وشيّتها بدمي

وقلت يا قيثارتي غنّي

غنّي لها

من بعض ألحانها

بعض الذي يُحْكَى لها عني

لو تسمعين

لو تسمعين

لحن الهوى

وتهجرين

دنيا النوى

كان الشذا يعطّرُ

هذا الذي يثرثرُ

قلبي الحزين

وتمر مركبة السنين

ويظل يتعبني سؤال

هذا السؤال

ما الكون ما طعم الحياة

ما النور ما معنى الصلاة

بدون حب

بغير قلب

يثرثر

قدّ الظنون وأكثرُ

يا حبّذا

لو تفرشين

دربي شذا

وياسمين

مرّي على ديارنا

مرّي على ديارنا

يا نسمة العبير

يا رحلة الأشواق

في زوارق العصور

مرّي على ديارنا

لينشد الصمت مع الأطيار

ليزهر الحب مع الأزهار

فأنت يا ناشرة الهنا

أغنية مثلي أنا

على فم الدهور

مرّي فقلبي ها هنا ينتظرُ

يلوب شوقا

والهوى يستعرُ

هل تنفع الأحلام

نغزلها ملاحنا تدور

يا ضحكة تضوّعت

على فم العصور

لو كنت قربي والمنى

كنا اختصرنا الزمنا

بلحظة.. فأنت يا ناشرة الهنا

أغنية مثلي أنا

على فم الزهور

في البدء والنهاية

ترى يا ترى من تكونين

وماذا بهذي الجفون الكسالى

وأي بحارٍ

وأي زوارق حبٍ

وأشرعة من نجوم

وأي مساكب فلّ

وأي كروم

تُخبّأ خلف الجفون الكسالى

تُمدّ على الدرب لو تبسمين

ولو أنت لي تهمسين

وأدعوك يا فرحتي

ولا ترحلين

لماذا؟ وأنت غريبة

وأنت كروحي غريبة

تعيشين في الضفة الثانية

مع الثلج والريح والأغنيات الكئيبة

وفي الجهة النائية

بلا ولهٍ أو ذكريات خصيبه

* * *

لأنك أنت يا حلماً عسلاً

يا جناحي الطليق

لأنك يا حلوتي

لأنك أنت ملاذي الوحيد الأمين

دعيني ألوّن من وجنتيك شحوبي

وأصنعُ من لون عينيك

لي قمرا لدروبي

فقلبي الحزين

يغنّيك قلبي الحزين

يغنّي بعينيك لحن حياتي الحزين

* * *

لأنك أنت يا حلوتي

لأنك أنت ملاذي

الوحيد الأمين

أحبّك حتى تجفّ الدماء بقلبي

وتيبس فيه العروق

وتسكت دقاته

وتخنق آهاته

وحتى تموتَ الرؤى في عيوني

ويغرقَ صدري بوادي الفناء العميق العميق

قسم

لن تكوني على دروبي ولن

ألقاك يوما في ملعبي المسحورِ

أنت شئت الفراق يا فتنة

الدهر ولن يقتلَ الفراق شعوري

أنت شئت بأن نعيش غريبين

بعيدين عن طريق السرور

***

هدمت كبرياؤك الدار التي

كانت غناءً على فم العصفور

دارنا السحر والضياء وهمس

الورد والزهر والندى والعبير

فلماذا يا فتنة الدهر لماذا

نحن صرنا كأننا في سعير؟

***

أين يا حلوتي ابتسامتك العذبة

تبني ملاعبي وقصوري

أين اللحاظك الفواترُ تحكي

قصّة القلب والحنان الكبير

أين يا حلوتي أنا ملك البيض

تشكّ القبابَ فوق البدور

قسما بالايمان يخلق في نفسي

حنينا إلى الصراع المرير

قسما بالسماء بالأرض وبالحب

بدنيا مغمورة بالنور

قسما انني أحبّك كل الحب

فهلا رجعت لي يا مصيري

هل تذكرين

يا ترى هل تذكرين

ما تركنا من حكاياتً جميله

في الخميله

تحت ظلّ الورد في تلك الخميله

وبظل الداليه

قرب حوش الفلّ

قرب الساقيه

كم ضحكنا

ولعبنا

وسرقنا قبلاتٍ وسكتنا

***

يا ترى هل تذكرين

دارك الحلوة والشبّاك

والشال الرماديّ الحزين

وزهور الياسمين

وهداياي زهور الياسمين

يا ترى هل تذكرين

كم سهرنا

وانتظرنا

واجتمعنا

وانصرفنا

كم قطفنا من نجوم

وزرعنا من نعيم

ربما لا تذكرين

يا حبيبه

يا أغاني الطروبه

ربما كان كمثل الغيم في الصيف هوانا

ربما ماتت منانا

ورؤانا

***

مستحيل أنا أن أنسى

حياتي الماضيه

مستحيل..

انها أشياء عمري الغاليه

فاسمعيني

أنا لا زلت على العهد أمين

واتبعيني

أنا لا زلت على الدرب الطويله

دربي النسرين والبان

وأحلام الطفوله

ربما يا حلوتي

قد تذكرين

دارك الحلوة والشبّاك

والتلويح بالشالِ الرماديّ الحزين

لماذا افترقنا

وكان الذي كان

وصدّقت ألف وشايه

وفبركت ألف حكايه

حكايات سخف وكذبٍ

ولم أختلقْ

وشاء الزمان

بأن نفترقْ

ولما افترقنا

رحلت.. وغبت أنا في زحام المدينة

وعدت إلى الحان

حاني القديم

أعبّ الكؤوس اللعينة

وعشت هناك

أعمّر دنيا

وأهدم دنيا

وأسكن حينا وراء القمر

أداعب نجمه

وأغزل غيمه

وأحمل روحي

وقلبي الجريح

إلى عالم غارق في الضباب

وعدت إلى الحان

حاني القديم

أغنّي الأغاني الحزينة

أغانٍ كمهجة درب مريض

سقيم

ككوخ أسى

كخيمة بؤسٍ مقيم

* * *

لماذا افترقنا

لماذا تركنا نيوب الشقاء

تمزّق أحلامنا

وتشلح قدّامنا

غيوم النوى والعذاب

ترانا مللنا الوفاء

ترانا شبعنا هناء

لماذا افترقنا

ولما افترقنا احترقنا

وصرنا رماد

وطعم رماد

وصرنا كأغمار ثلج الشتاء

ولحن كمانٍ هزيلِ الوتر

شتاء

شتاء.. شتاء

ينقّر في جبهتي

ينتّف في مهجتي

وريح شماليّة باردة

تلفّ الطريق

وتغمر بالطين وجه الطريق

وتغمره بالحصى والرمال

وتملأه حفرا وتلال

وشيء كناب الحريق

ينقّر في جبهتي

ينتّف في مهجتي

ويركمُ في ذاتي المجهده

ظلال الشتاء

ولون المساء

❋ ❋ ❋

شتاء.. شتاء

حياتي شتاء

حياتي ككانون برق ورعدُ

وثلج وبردُ

وريح شماليّة جامده

وقصف حقود ووغدُ

ينقّر في جبهتي

ينتّف في مهجتي

ويركم في نفسي المجهده

ظلال الشتاء

ولون المساء

* * *

متى تبزغ الشمس في مشرقي

متى التقي

بموكب زهر

بموكب عطر

بقطرة طلّ نقيّ

نقيّ كحبي

كشيء جميل

حنون يرفّ كهدبِ

***

سأرحل يوما على جنحِ غيمه

لأسكَن خيمه

بعيدا بعيدا.. بحضن الاقاحي

سأرحل يوما

وطيّ جناحي

حبيبا أحبّ

وضوء صباحِ

خائن

أتذكر يوم أتيت إليّا

وقلت كلاما شهيّا

أتذكر يوم أتيت

وكيف ذهبت.. وكيف رجعت

«حياتي وضوء عيوني

جبينك كوخي وعيناك ترتيلتان

وهمسك لحن

يشيل إلى اللامكان

حياتي وروحي

إذا ما رفضت

أصير ترابا وطين

أصير رماد السنين»

فخدّرت ضعفي.. غروري

بهذا الكلام المنمّق

بهذا التملّق

وصدّقت كذبتك الماكره

فأصبحت طوع بنانك

طوع اشاراتك الآمره

لأنك تعلم اني

أظل أغمغم باسمك

وأهمس حين تغيب لرسمك

وألثم كل شيء

مررت عليه

لأني أشمّك فيه

أشم شذاك

وعطرك

لأنك تعلم أن زماني يمر

وعيني وراء خطاك

وروحي ترفرف حولك

أقضي نهاري

على جمرِ نارِ انتظارك

أصليّ لأسمع وقع خطاك

لأسمعَ حلو نداك

فأعطيكَ دفءَ حناني وحبي

وأطوي جناحي عليك

وأحلم اني أميرة

على شطّ أي جزيرة

من الجزرِ السمرِ في ناظريك..

قطار

وتحمل العواصف الغبار

إلى الدروب السمر في المدينة

وها أنا أبحث عن محطّة

وعن قطار

يحملني

يعبر بي هذي الصحارى والقفار

إلى مدينة تحكمها السكينة

والليل والنهار

والحب والنهار

لكنّ لا قطار

لا شيء غير القحط والبوار

وها أنا على الدروب

القفر في المدينة

تلهّف إلى غد قميصه من

سندس الربيع والنضار..

بلا هدف

قلبي وعيناه

والفقر والغربة، والآه

وامرأة من الخزف

جميعنا بلا هدف

أعماقنا مسكونة في الليل والنهار بالعسس

قنديلنا مرمدّ الفتيل

والزيت جفّ في عروقه الحزينة

ومات.. مات من عشقناهُ

وسار نعشه الحزين

في الشارع الطويل

مات.. ولم يمش وراء نعشه الحزين

سوى أنا

قلبي وعيناه

والريحُ والوحشةُ واللهُ..

إلى صغيرة

صديقتي قلبي حزين

كالليل في الغاباتِ

في الهياكلِ القديمةِ المهجوره

يدور في دوّامة الظنون

ينشهه الضياء والشجون

وقصتّي يا نزهةَ العبير في المساء

تبدأ من زمان

من يوم ان كنا معا

في رحلة خالقة مسحوره

نودّ لو شراعنا المذهّب الضياء

لو انه أغنية الرحيل

للمجهولِ في ضوء القمر

ضياع

أنا والليل والفراغ وقلبي

نتلهّى على دروب المدينه

الدروب المريضة المجنونه

الدروب الصفراء حيث القذى

والطين والرمل والبلى والعفونه

ضائع قلبي تائه يأكل الوهم

مداه وافقه وجبينه

ويمصّ الظلام في نهم الجائع مصّا

عيونه وجفونه

***

ضائع قلبي في دروب المدينه

في فراغ المدينة المحمومه

أنت لا كنت

يا فراغ المدينة

يا شتاء الزمان يا موسم القحطِ

والجدبِ.. يا فراغ المدينه

***

ليتني طائر صغير يغنّي

فتغنّي له القلوب الحزينه

والقلوب الذبيحة المحرومه

والعيون الجريحة المهمومه

ليتني طائر يحمّل للريح مداهُ

وشوقه وحنينه

طائر عاشقٌ

جناحاه فوق الهمِّ والأرض

والدروب الأليمه

أحبك

أحبك.. اعشقُ عينيكْ

وضحكة غمّازتيكْ

وفي أي دنيا تكون

وأي مكان

أطيرُ حبيبي إليك

بكل تلهّف قلبي

بكل اشتياقي وحبي

لأحنو عليك

لأنشر كوني ربيع أغاني

وأغفو.. كطفلٍ

على ساعديك

توق

أحسّ بي توقا إلى أشياء أجهل ما تكون

لكنها تحيا معي

بأضلعي

أحسّها ملء دمي

ملء كياني وفمي

أحبُّ أن أشمّها

أحبُّ أن أضمّها

أودّ لو أفرشها على الدروب

حكاية طيّبة كالياسمين

صديقتي

توقي إلى المجهول يسري في دمي

متوهجاً كما السنا

فهل ترى يكون لي

بعض الذي أردته

من رحلتي

في حلمي.. ويقظتي؟

نادي الرجولة

مسرحية من ثلاثة فصول

مقدمة:

رؤية شعرية في قضية انسانية تستلهم الكشف الذهني من الرمز الأسطوري

عدنان بن ذريل

هذه المسرحية أدب رمزي ذهني في الانسان، وصراعاته من أجل إنسانيته، انها تتسقط مضامين وجدانية لمواقف انسانية متنوعة تدور حول (الضعف الانساني)، وعلى الخصوص السقوط، واليأس من الكمال، ولكنها في الوقت نفسه تعكس ذهنية واضحة تظل تقربها من الأذواق والافهام، وهي أن الكمال في الحياة الانسانية شيء عزيز نادر، بل هو مفتقد، منشود، وغير محقق.. وقد تساوقت بالفعل الحركة الوجدانية، مع المغزى الذهني بنشاط وحيوية، يتساندان صراحة فيها، يقومان فصولها، ومشاهدها، وتسلسلها التلقيني حتى النهاية..

ذلك ان مظاهر الضعف الانساني العامة والمجردة التي تعالجها المسرحية متنوعة بين عنيفة وعادية،

وتعانق مرافق الحياة والوجود.. وأظن أن ذلك بفعل الرغبة التقنية الأكيدة في رسم صورة جامعة لليأس من الكمال - وهي تنضوي تحت مفهوم (السقوط) والذي يقصده المؤلف في معناه الأدبي والحياتي العام، أي فقدان الذات، أو لنقل الاغتراب عن الذات.. فيقارب منه الوقوع في الخطيئة أو الجنوح إلى الأثم، أو التلاشي والموت..

وبالفعل (السقوط) في المسرحية سقوط إرادي، ولا إرادي، وسقوط أمام البراءة أو أمام المسؤولية، وسقوط في موقف فاجر أو سقوط في عجز، وسقوط أمام علو الكمال أو سمو الطموح، وهكذا دواليك..

وموضوع المسرحية إذا جاز لنا أن نستعمل مصطلح موضوع في مثل هذه المسرحيات الرمزية الذهنية - موضوع بسيط لا يعدو كونه رؤية شاعرية في الرجولة، أي الكمال الانساني وانها مفتقدة على الأرض، مفتقدة في الحياة، لا حاجة إلى ناد يمجدها أو تمثلها أعضاؤه.

وبالفعل لمجرد (تكشف) النفوس عن ضعف سرائرها يحل «نادي الرجولة». ان الأعضاء في فجور، وفي عجز في ضعف، في يأس، ولا امكان للنادي الذي يلم شملهم أو تدبر أحوالهم.

المسرحية «رؤيا شعرية) في قضية انسانية اذن، وهي حقا إيجابية تلقينية فيها العنف، وفيها اللين، فيها الارادة وفيها الحياة، ولكن قيمتها في تفاصيل بنائها المسرحي الرمزي الذهني، وحواراته النيرة الشيقة.

والأمر الذي يلفت النظر في (البناء المسرحي) فيها هو التسلسل الوجداني الذهني، تسلسل مثل التداعي الحر تماما يعرض حركة المواقف والأفكار.. ان (البناء المسرحي) فيها مشاهد من الحياة اليومية سوّيت من لبان الاسطورة، وضمخت بعبير الذهنية الشرقية، وهي ذهنية رمزية في الأساس.

(حدث) واحد وسط هذه المشاهد يمكننا أن نقول أن المؤلف تتبعه في مواقف صعبة وهي: (مجابهة) زوج ساذج لغريمه في زوجته وهو عقيم، زنيم، تؤثره الزوجة على زوجها وتلحق به.. وربما هذا الغريم –

كما هو مرجح تظاهر بالعقم لينجو من أتون خصمه، وجحيم مجابهته ولكن المغزى الذهني الرمزي في مجريات المسرحية يفيد من هذا التظاهر، مثلما يفيد من كل حركة في المشاهد كافة.

إن هذا (البناء المســــرحي) في الواقع ليس البناء الدرامي الملحمي، أو المأساوي الذي نعهده في المسرح السلفي، أي البناء الذي يقوم على (قصة) ذات عقدة وتأزم، وتنتــــهي إلى حل.. ولكنه (بناء) التكشف الذهني، والمواقفي، (بناء) التلقين الايحائي الرمزي، أي (بناء) خط نفـسـي وفكري وسط الأحـــداث في إيمائها ومضامينها ومعانيها.

ومن هنا كان البناء تسلسلا لحركة نفسية مواقفية، في مشاهد من جوانب من الحياة والصراعات، يصطدم فيها الخصب بالعقم والبراءة بالمكر، والصدق بالخداع، والرجولة بالسقوط، والعلو بالتدني، حتى تصير إلى اعلان حل (نادي الرجولة) وهو أيضا حلّ رمزي، يعتبر هو نفسه مترتبا على المضامين الذهنية والرمزية أكثر من ترتبه على مجريات الأحداث وهو

بمثابة حركة رمزية، لموقف انساني ذي دلالة ذهنية واضحة، ان لا فائدة من طموح إلى الكمال، فلا كمال على الأرض.

والمسرحية في مجموعها، أي بموضوعها وحركتها وأشخاصها تحقق هذا القدر الكافي من الفنية الأصيلة والبسيطة، الذي يسمح باعتبارها مسرحية ناجحة، ولن نكون مغالين إذا قلنا أن هذه المسرحية الناجحة ربح للأدب العربي الحديث ربحناها من قريحة الشاعر المبدع الأستاذ (الياس الفاضل) الذي وفر لنا طاقات من القيم الذهنية والايجابية المختلفة.

وبالفعل حسب هذه المسرحية الرمزية الذهنية قيمة فعلية وواقعية في ميزان النقد المنصف العادل والأمين، انها اصطنعت لبابا من لباب أساطيرنا السورية والعربية الخالدة، صاغته بأصالة وعالجته بفن، فسوّت من نسفه موضوعها، وشخوصها، ومشاهدها.. وحركت الكل بعفوية وبساطة نادرتين، ستظلان موضع الاعجاب والتقدير، وهذا اللباب الأسطوري هو تمجيد الانسان وعطائه، في (تمجيد)

الرجولة والنكاح وعلى الخصوص المسؤولية والبراءة.

ان لبـــاب (النكاح) الاسطوري للطبـــائع في تراثنا السوري العربي، والذي كان يلف عالم الأساطير، والطبيعة، والمجتمع كافة، عالم الألوهة، والناس، والحياة في شرقنا العربي القديم، لباب التناسل والخصب، الربيع والبعث في مقابل العقم والتخاذل، الشقاء والموت.. لو تصورت أديبا سوريا من عصورنا القديمة يحاول أن يستنطق الخصب، لما استطعت العثور على بساطة في الأداء، وبراءة في المضمون، ودلالة في الرمز، مثلما تحققها هذه المسرحية الرمزية الذهنية:

نادي الرجولة

وهذا دليل صادق على مدى تشرب المؤلف الشاعر (الياس الفاضل) للتراث العربي السوري الأسطوري، وتفاعله معه من أجل طواعيته لفنه وأدبه.. إن المؤلف الشاعر (الياس الفاضل) غني عن التعريف.. انه قريحة مبدعة، وطبع أصيل، صقيل العبارة، دقيق التركيب، يعج شعره باللمحات الذكية عن الانسان في

واقعه الانساني يصطنع لها في الأساس الصور، والتشبيهات والأخيلة ومعظمها رمزي حياتي، وهي في معظم الأحيان سبيله إلى المواقف، والأفكار أو سبيل ذهنية إلى الظهور.

وللأستاذ (الياس الفاضل) عدة دواوين شعرية من الشعر شهد له بطول الباع فيها أساطين النقد والأدب مثل (سعيد عقل) و(جبرا ابراهيم جبرا) وكان كاتب هذه الأسطر درس، وكتب فيها مقالات نقدية متنوعة تظهر فنيتها الأدبية والشعرية.. علاوة على حبه للمسرح، وعمله له، وابداعه فيه، وقد كتب حتى الآن عدة مسرحيات واقعية ورمزية واسطورية، قيد الطبع، بعضها يقوم على معطيات اسطورية بابلية صريحة بعينها في موضوعها وأشخاصها ومغزاها.

وهذه المسرحية إذا كانت عطاء شاعرية انسانية بصيرة وذواقة، شاعرية أحبت البساطة في كا ما عانت، وآثرت الصدق في كل ما أعطت.. إلا انها عطاء البيئة والفترة الحديثتين وذلك من حيث أن المؤلف يواكب باخلاص تطلعاتها، ويندمج بصدق في

قضاياها ويعبّر ببساطة عن مواقفها.

ونحن كنقاد ودارسين إذا تساء لنا أين (مكانة) هذه المسرحية من أدبنا المسرحي العربي أو تراثنا الأدبي على العموم.. وجدناها بالفعل عطية أصالة مخلصة لتراثها استكنهته، واستنطقته، لأنها مؤمنة له حريصة على تجدده وخلوده، وحسبها استلهام أساطيره في رموز الخصب والتناسل، الفحولة والعقم النكاح والاخلاص والمسؤولية.

هذا الاستهام للاسطورة سنة أدبية روج لها اليوم الشعراء والأدباء، ويخدمها رواد الشعر الحر، والشعر المنثور خاصة، ولكنها شيء أصيل في تراثنا ونجدها قبل هؤلاء وأولئك خدمت (التفنن الأدبي) العربي المسرحي والعادي على السواء في أنواع وأشكال وأساليب مختلفة.

ان استلهام (الاسطورة) اليوم في أدبنا الحديث وعلى الخصوص في النتاج المسرحي سبيل ممهدة إلى الفن القوي، دلل المرة تلو المرة على قيمته وجدواه وجماليته وقد غلب في الفترة الأخيرة على كل لون غيره عند

الأدباء والشعراء المختلفي النزعات الأدبية والشعرية والذين كتبوا فيها، في المسرح، وفي الملحمة، وفي القريض العادي المنوع، وطبعوها بطابع المعايشة الحياتية للتراث الاسطوري كما سنرى.

وفي هذه المسرحية الاستلهام عفوي وبسيط وصادق، وهو فيها رمزي وذهني وانساني، انه (رؤية شعرية) في الضعف الانساني والسقوط ظلت مع رموز الفحولة والعطاء والاخلاص والسمو ونقائضها العقم والجدب والخداع واليأس.

الاتجاه الأدبي وقتها إتجاه انساني صريح لا مراء في ذلك، ورغم انه اتجاه بدائي يمكن أن تعوزه الذهنية الموحدة وخاصة الملتزمة والموجهة، إلا انه شيء ملحوظ وظاهر، ومثل هذه البداوات الانسانية وقتها المبادرات الأكثر عناية بالرمز والأكثر احتفاء بالموضوع الاسطوري، والتراث الحضاري عند سعيد عقل في المجدلية، وقدموس، وبنت يفتاح وغيرها.

اتجاه سعيد عقل في ذلك اتجاه واع في المذهب إرادي بالأحرى يخدم الرمزية كما يستنطق التراث

الحضاري، يحييه ويمجده.

وستظل هذه الغرر الأدبية كما يستنطق التراث الحضاري، يحييه ويمجده.

وستظل هذه الغرر الأدبية المسرحية والملحمية وغيرها التي منحتها أصالة (سعيد عقل) وشاعريته الفكر والأدب العربيين الحديثين علائم من الجهد إلى وعي الذات، الجهد إلى العلم، إلى التراث، إلى اللاشعور في الأصالة، ولكن أدباء الستينات وأوائل السبعينات لم يعودوا يكتفون بالانسانية، أي مجرد الوصف للتجارب على المستوى الانساني العام والمجرد ولا بالرمزية، أي مجرد التقنية الشعرية والأسلوبية لتحريك طبقات اللا وعي وإنما راحوا يتسقطون أصالتهم نفسها في تسقطهم قضية وجودهم وحضارتهم ومواقف واقعهم.

ومن هنا اتخذت معالجتهم للأساطير ورموزها (شكلا حديثا) هو الشكل الرمزي الحياتي وهو شكل ذهني في الأساس يمزج الواقع إلى الأسطورة في اتجاه واحد رصد المعايشة الفعلية للحياة والوجود وعلى

الخصوص في مشاركة الناس قضاياهم.
إن (علي كنعان) في (السيل) يستلهم اسطورة (سد مأرب) في صموده، أو تصدعه للتنبيه إلى قضية معايشة هي قضية فلسطين و(على عقلة عرسان) في (الشيخ والطريق) يستلهم دورة العمر في مراحلها وجدواها كبديل على الريادة و(وليد مدفعي) يستلهم في (وبعدين) ريادة الفضاء في الهامس والصاعق كرمزين حضاريين حديثين لاختراق المسافات والأنوار من أجل الايحاء بحدود المعايير والقيم وهكذا.
(الحس الاسطوري) في ذلك كله صار إلى معايشة قضية حضارية، أو لنقل واقعية حياتية، لأنه صار سبيلا إلى الفترة والبيئة سبيلا إلى الحديث إلى الناس..
وبذلك صارت الانسانية إلى حياتية واقعية تستلهم وجودها الأدبي والحضاري والرمزية إلى تلقينات تقوم بالوجدان والعاطفة واللا شعور جميعا.
هذه هي النقلة الحديثة حقا في استلهام الاسطورة في أدبنا العربي الحديث، وكنا عالجنا في دراسات

أشكاله في الشعر الحر والشعر المنثور أو في نماذج مسرحية حديثة عليه بعضها يصطنع اللا معقول يضيفه إلى التقنية الرمزية.. إلا اننا يكفينا أن نذكر هنا أن من أنواع هذا الاستلهام اقتباس الخرافة الشعبية نفسها في حين الاستلهام في هذه المسرحية ظل للتراث الاسطوري نفسه.

واذن عنصران أساسيان في المسرحية نحب أن ننوه بهما:

أولا: عنصر المغزى الاسطوري لمضمون الخصب والنكاح، والذي يسخره المؤلف في تقنية رمزية ذهنية، لايحاء افكارنا مسؤولياتنا تجاه عطائنا الانساني.

ثانيا: عنصر الأسلوب الصقيل والمجود الذي تزدان به مشاهد هذه المسرحية وحواراتها والذي ربح به أدبا قويا يمكنه أن يصمد ويعيش.

ان الأسلوب الصقيل والمجود في هذه المسرحية منحة من شاعرية (الياس الفاضل) الأديب الشاعر المؤمن بالكلمة والصورة والرمز وحبذا صنيعه، وحبذا كل دأب على تجديد النتاج الأدبي، وخاصة المسرحي،

والذي يعج اليوم بالأساليب الفاسدة والمهلهلة التي لا تلبث أن تسترذل وتندثر.

استمع إلى هذه المقاطع المتنوعة من حوارات المسرحية لتر إلى قوة الأداء، ودقة التركيب وجمال الرمز.

الشاب: إن كل شيء ينتهي إلى الحفر كما تنتهي الأنهار في البحار. النجمة تتألق في القبة الزرقاء البعيدة ثم تتحجر يوما وتسقط.

النسر يحلق فوق القمم السابحة في السماء ثم فجأة يسقط.. السقوط.. السقوط.. هو نهاية العالم.

المرأة: أنت الذي يلبس لكل موقف لبوسه

أنت الذي تدعي الفلسفة، وتدعي العبثية ليتهرب من وعوده.. إن الذي لا يؤمن بجدوى النهاية لا يرتمي على الأقدام، ولا يبكي كطفل فقد لعبته أمام أي امرأة.

ولا يكذب ولا يعد بالزواج، بل أقول لك لا يتسمح كطلب في سبيل أي غرض لأن الايمان بالعدم، إيمان بخلو الحياة من الأهداف.

الرئيس: أيتها الأفكار المجهولة.

أيتـهـا الطـيـور ذات الأجنحـة الملونة أين كنت قـبل أن
نؤسس نادينا البائس الحزين.

الزوج: فيما مضى كانت لي آراء وحلول
كانت لي أحلام وآمال كبار
أما الآن فان اليأس يغرز أظافره في قلبي.
وأنا أمضي في طريقي
أحمل على كتفي المرهقين
أثقال سنيّ القحط والجفاف
ولكني تعلمت شيئا سأحفره على جبهة العالم وهو أن
الصيف والشتاء لا يجتمعان على سقف واحد.

إن (الأشـخـاص) أنفـسـهم في المسـرحـيـة رمـوز، أي
تشخيص مادي مجسد لمواقفهم ومعانيهم وهي مواقف
ومـعـان أسطورية في الخـصب والنكاح، والتي ترمـز
الاندماج في الالتزام والاخلاص في العطاء.

والمسرحية كما رأينا فنيتها في تعرية واقع الانسان في
ضعفه وسقوطه وعقمه ومكره وخداعه ويأسه..
ولكننا ألسنا نلاحظ أن المؤلف كان في مشاهدها
رساما فنانا أكثر منه موجها وواعظا.

المسرحية في نظرنا يائسة، والتشاؤم يصبغها بصبغته المريرة.. لدرجة أن القارىء يتساءل لتوه منها: لماذا كل هذا الضعف؟ لماذا كل هذا اليأس؟ لماذا كل هذا الاستسلام، وهل صحيح أن ليس ثمة كمال على الأرض؟

وإذا لم يكن هناك كمال أليس ثمة درجات من المعاناة باقية أن المسرحية سلبية في هذا كله، انها ترسم للرسم أو لنقل رصد للرصد تتسقط الضعف الانساني لتوجه بواسطته الرموز والصور إلا أننا نذكر المؤلف أن الايجابية والتفاؤل والطموح وهي من الحياة وإلى الحياة أجدى على الحياة والأدب والفن جميعا.

الفصل الأول

قاعة اجتماعات متوسطة.. عدد من الرجال يجلسون على طاولة كبيرة.. معظمهم يرتدون نظارات طبية وصداري.. أنيقون جدا على رأس الطاولة رجل يبدو من وضعه انه الرئيس.. يكح.. يسوّي هندامه.. ثم يقف..

الرئيس: أيها الأخوة أعضاء نادي الرجولة المحترمون.

لقد استدعيتكم إلى هذا الاجتماع الاستثنائي لبحث أمر خطير جدا.. إن المشكلات تترامى في طريقنا كما يترامى الدجاج على الحب..

(تصفيق) إن واحدا منا، وهو عضو قديم عامل في نادينا العظيم (تصفيق وهتاف) وقع قبل ساعات في مأزق حرج سيخبركم به بعد قليل..

إن أعصابنا لم تعد تتحمل.. اننا نكاد ننفجر كالبالون المنتفخ بالهواء (تصفيق قوي) يجب أن نجد حلا.. يجب أن نبحث عن مخرج.. لنجاة زميلنا بل لنجاتنا جميعا.

(تصفيق يستمر بعد الوقت)

عضو رقم ١: يجب أن نجد حلا.. يجب أن نبحث عن مخرج.

عضو ٢: يقف عن كرسيه.. يستند على كرسي زميله.. يضع نظارات سميكة.. يتحنح

إن مشكلتي أيها السادة بل أيها الزملاء مشكلة معقدة جدا.. انها شبيهة بتلك المشاكل الدولية المستعصية وفي الحق لا أدري من أين أبدأ بعرضها عليكم..

(يسعل سعالا خفيفا)

تصوروا اني عدت اليوم إلى منزلي فوجدت زوجتي مسحوقة تحت حوافر الحمّى

(يسعل سعالا أشد)

عضو آخر: وهل جئت لها بطبيب؟

عضو ٢: انها لا تريد طبيبا (يسعل)

عضو آخر: وماذا تريد اذن؟

عضو ٢: انها تريد.. تريد.. (يتوقف عن الكلام) دعني أكمل عرض القضية أولا فينجلي لك الموضوع تماما..

(يتوقف عن الكلام)

بصراحة أيها السادة إن زوجتي مريضة لأن عشيقها قد هجرها هذا النهار.

عضو آخر: تقول ان عشيقها قد هجرها هذا النهار؟

عضو ٢: هذا ما أخبرتني به.

عضو آخر: وهل قمت بعمل ما، من شأنه أن يزعج العشيق؟

عضو ٢: أبدا (يسعل) كل ما في الأمر كما قالت: انه لم يعد يحبها.

عضو آخر: وأي ذنب لك في هذا؟

عضو ٢: انها تحملني الذنب كله.

عضو آخر: هذا ظلم فادح.. هذا طغيان لا يحتمل..

(يلتفت إلى الأعضاء.. يسأل)

هل هناك مصل يحقن به المرء فيرغمه على حب امرأة معينة؟

أصوات: لا نعلم..

عضو آخر: وماذا تقول زوجتك أيضا؟

عضو ٢: انه كان عليّ أن أغريه بالمال ليبقى

(يسعل سعالا شديدا)

عضو آخر: ولما لم تفعل؟

عضو ٢: يجب أن نجد حلا.. يجب أن نبحث عن مخرج..

عضو ٣: (يمسح العرق عن جبينه بمنديل من القماش الأبيض..)

سيدي الرئيس أرجو أن تأذن لي بالحديث..

الرئيس: تفضل أيها الزميل العزيز

عضو ٣: شكرا سيدي الرئيس

الرئيس: عليك الدخول في الموضوع مباشرة دون مقدمات أو إطالة في الحديث عن لا شيء..

عضو ٣: قبل أسبوعين، كنت تعبا ومرهقا في العمل فرجعت إلى منزلي، واتجهت فورا إلى غرفة النوم وحينما مددت رأسي من الباب رأيت بعيني.. بهاتين العينين الثاقبتين رأيت، ويا لهول ما رأيت.

الرئيس: هل رأيت عفريتا؟

عضو ٣: يا ليت.. رأيت أيها السادة زوجتي تمارس الحب مع عشيقها على سريري بالذات.

عضو ٤ : وماذا فعلت؟ هل قتلتهما؟

عضو ٣: (يسعل) أبدا.. اني لم أفكر في ذلك ولم يخطر ببالي خاطر من هذا القبيل كل ما فعلت اني اعتذرت بلباقة من زوجتي، وقلت لها اني ذاهب في عمل وسأعود بعد عشر دقائق غير أن زوجتي لحقت بي، وكانت عارية تماما.. وأمرتني ألا أعود قبل ساعة على الأقل من تاريخه.

عضو ٤: هل كان حقا لديك عمل؟

عضو ٣: كلا.. أيها الزميل.. لكني ادعيت ذلك كمخرج لكي لا أريك العشيق.

عضو ١: يجب أن نجد حلا.. يجب أن نبحث عن مخرج.

عضو ٤: وأين قضيت تلك الساعة؟

عضو ٣: في المقهى.. وحيدا كالله..

عضو ٤: وماذا حدث أيضا؟

عضو ٣: بعد ساعة أو أكثر قليلا عدت إلى البيت.

عضو ٤: وهل اشتريت مسدسا؟

عضو ٣: كلا

عضو ٤: ولا سكينا؟

عضو ٣: (متذمرا) أوه.. مسدسات.. سكاكين.. خناجر يا الله.. لماذا كل هذه الآلات الجارحة القاتلة يبدو أيها الزميل انك متهور وعصبي فوق العادة.

عضو ٤: اذن ماذا كان موقفك؟

عضو ٣: في الحقيقة عدت إلى منزلي، وجلست كأن شيئا لم يكن، وكأني لم أر مشهدا، ولم أكن أنوي ان أفاتحها بالموضوع على الاطلاق ولكن المصيبة.

عضو ٤: أي مصيبة هل وجدتها منتحرة بالسم؟

عضو ٣: يا لأفكارك الشيطانية ويا لمزاجك الحربي.. هل اشتركت في حرب ما؟

عضو ٤: حسنا.. اشتركت في الحرب العالمية الثانية فقط.. وقد أصبت بعد ساعتين من اشتراكي بالمعركة ونقلت إلى المستشفى إلى ما بعد انتهاء الحرب واعلان الصلح.

عضو ٣: ألم تمنح أوسمة على ذلك؟

عضو ٤: بكل تأكيد.. منحت وسام الحرب من الدرجة الممتازة.

عضو ٢: دعونا من الحديث عن الحروب والأوسمة ورايات الفخر والاعتزاز واتركوا لنا مجالا نبحث فيه عن حل لمشاكلنا الآنية.

عضو ٣: معك حق.. أين وصلنا في الحديث؟

عضو ٤: كنت تتحدث عن المصائب والكوارث بعد عودتك إلى المنزل.

عضو ٣: أجل.. لقد كانت مصيبة حقا أن تستقبلني بسيل من السباب الفاجر والشتائم الداعرة.

عضو ٤: زوجتك فعلت ذلك؟

عضو ٤: نعم.. زوجتي.

عضو ٤: ولماذا؟

عضو ٣: لأني على حد زعمها كنت فضوليا ودخلت غرفة النوم دون استئذان.

عضو ٤: وماذا كان ردك عليها؟

عضو ٣: بالطبع اعتذرت لها عن هذه الخطيئة المميتة.. ووعدت ألا تتكرر.. ثم طلبت صفحها وغفرانها.

عضو ٤: وهل صفحت؟

عضو ٣: آه.. يا زميلي الطيب.. لقد طردتني من غرفة النوم وأقفلت عليها الباب.

عضو ٤: وأين قضيت ليلتك تلك؟

عضو ٣: ذهبت أولا إلى السوق واشتريت هدية ثمينة.. بعد ذلك نمت في غرفة الاستقبال على أحد الكراسي وفي الصباح.. قدمت لها الهدية مكررا أسفي واعتذاري، وبعد رأي ابتسمت.. وحينذاك عادت المياه إلى مجاريها.

عضو ٤: السابقة طبعا..

عضو ٣: بكل تأكيد، يا زميلي بكل تأكيد.

عضو ٤: سؤال آخر هل كانت بمفردها حينما أقفلت عليها باب غرفة النوم؟

عضو ٣: (يسعل) بكل تأكيد.. يا سيدي بكل تأكيد.

عضو ٢: والآن.. هل أفهم أيها الزميل انك رويت قصتك هذه، لا مشي على هديها ونورها، وأقدم المال إلى عشيق زوجتي.. لكي يبقى إلى جانبها.

عضو ٤: بل عليك أن تقدم له الرصاص.

عضو ٢: ما رأي السادة الأعضاء في نادي الرجولة.

عضو ٤: عندما تتسخ الزهرة في الآنية يجب أن تلقي في الطرقات لتداس بأقدام الغرباء والمشردين..

عضو آخر: ان التفاحة الفجة، خير ألف مرة من التفاحة الناضجة إذا كانت محشوة بالدود والبارود.

عضو آخر: وإن الوردة الذابلة أحب إلى قلبي من الوردة النضرة إذا كانت ملطخة بالوحل والعار.

عضو ٢: الحزن يغمر العالم

فليخترق الصمت جدار الهزيمة

عضو ٤: بل يخترق الرصاص رئة الخيانة (يرن جرس الهاتف.. الرئيس يضع السماعة على أذنه.. ثم يناولها إلى عضو رقم ٤)

عضو ٤: (يأخذ السماعة).. ربما يطول الاجتماع.. لا أدري.. تموتين من الضجر.. آه يا حبيبتي الصغيرة الحلوة.. يا سمرائي الطيبة كتفاحة حامضة.. طبعا.. لن أبقى أكثر من ساعتين..

مع السلامة.. يا قنديل عمري الذي لا ينطفىء..

(يرسل لها قبلة على الهاتف)

عضو آخر: يا للذل.. يا للعار.. يا للنفوس المثقلة بالحقد والنار.

عضو ٢: أيها الزملاء.. اسمحوا لي أن أستعير منبركم هذا لألقي عليكم هذه الخطبة القصيرة واسمحوا لي ثانيا أن أقول لكم انكم في واد.. وأنا في واد آخر انكم تتكلمون عن الرصاص والسكاكين والقنابل كما تتحدثون عن الزهر في البراري.. وقد فاتكم أن قلبي شفاف كالزجاج.. وإن لي أعصابا أكثر رقة من الشعاع الصباحي في تشرين لماذا لا تكونون واقعيين وتنصفوني.. رحمة بي ابحثوا لي عن حل..

عضو ١: يجب أن نبحث عن حل.. يجب أن نعثر على مخرج.

عضو ٣: ادفع المال اذن.

عضو آخر: أو طلقها.

عضو ٢: أطلق زوجتي شريكة عمري ورفيقة دربي.

عضو آخر: ولم لا.. انها تخونك.

عضو ٢: انها لا تخونني.. انها.. اني سأدفع المال..

عضو ٤: ما دام الأمر وصل بنا إلى هذا الحد من التسامح والتفاهة فإني أعلن انسحابي غير آسف من نادي الرجولة..

وداعا أيها الأصدقاء..

وداعا لالقاء بعده على طاولة الاجتماعات، واسمحوا لي أن أغادركم من هذه اللحظة.. إن زوجتي الحلوة الطيبة كالأجاص.. تكاد تموت شوقا إلى عودتي..

انها تكاد تموت من الضجر..

(يخرج مسرعا.. هرج ومرج)

الرئيس:

(يقف.. يقرع الطاولة بشدة فجأة يعود الصمت يلف المكان)

إني أشم رائحة الكبريت.

العالم على فوهة بركان ثائر مجنون

أيتها الأفكار المجهولة.

أيتها الطيور الاستوائية الملونة

يا زارعة الحب وناشرة ألوية الصفاء

رفرفي فوق نادينا البائس الحزين

وكوني المنارات التي تهدي سفن حياتنا .

إلى المرافىء الزرق الدافئة.

(ستار)

الفصل الثاني

(غرفة نوم أنيقة.. يوجد فيها بارافان ومقعد مستطيل.. المرأة تتكيء باغراء على السرير.. الشاب يجلس على المقعد جلسة تبدو فيها اللامبالاة.. وعدم الاكتراث..)

المرأة: انه لن يأتي قبل ساعتين من الآن.. بمقدورنا أن نحقق كل ما نرغب به..

الشاب: لم يعد لدي أي رغبة

المرأة: (تترك مكانها.. وتجلس بقربه)

هل أنت مريض يا حبيبي؟

الشاب: أبدا.. أنا قوي كالثور.. وأستطيع أن أثقب الجدار برأسي.

المرأة: اذن ماذا حدث؟

الشاب: لا شيء.. إنما سأسافر.

المرأة: تسافر!!.. إلى أين؟

الشاب: إلى أي مكان في العالم..

أي مكان غير هذه المدينة اللعينة

المرأة: يا الهي.. ماذا تقول؟ هل هناك عقبات تعترض حياتك؟

الشاب: أبدا.. العقبة الوحيدة هي أنت.

المرأة: (باستغراب) أنا؟

الشاب: نعم.. أنت..

المرأة: هكذا فجأة من القمة إلى السفح.

الشاب: بل إلى أعماق الوادي..

المرأة: يا الهي.. ماذا أسمع.. هل أنا في حلم أم في يقظة.. اني أحس بدوار رهيب.. تكاد رأسي تنفجر كالقنبلة..

الشاب: هل أزعجتك صراحتي.. الم نتعاهد على أن نكون صريحين في علاقاتنا.

المرأة: ولكنك لم تصارحني بشيء.. ولم تقل لي سبب انقلابك وتحولك كما أنك لم توضح لي سر هذا الموقف العدائي المفاجيء.. كما انك لم تقل كلمة واحدة صريحة..

(تتوقف عن الكلام بعض الوقت ثم تتابع)

سامر.. ألم تقل لي وأنت تغادر هذه الغرفة آخر مرة اني رغبتك الوحيدة في هذا العالم..

الشاب: نعم..

المرأة: الم تقل كذلك.. أنت غرفتي ومدينتي.. وعالمي..

الشاب: نعم قلت.. وقلت أيضا انك الزورق الرائع الذي يحملني إلى المرافىء الزرق المنسية.

المرأة: والمنارة التي تهدي أيامك ووجودك

الشاب: والبحيرة الهادئة التي تسبح فيها أحلامي.

المرأة: والحديقة التي تتفتح فيها ورود أمانيك.

الشاب: بلى..

المرأة: اذن كيف تجرؤ على اتخاذ قرار خطير كهذا.

الشاب: ماذا تريدين من أن أفعل بعد كل هذه المدة الطويلة.. لقد صبرت ولم أعد أتحمل..

المرأة: صبرت على ماذا؟

الشاب: لم أعد أتحمل أن أدخل إلى هذا البيت كاللص.. أريد أن آتي وأنا متحرر من كل خوف أو قلق.

المرأة: انك تأتي كل يوم تقريبا.. نتحدث ونطير على أجنحة الحب إلى عوالم تتألق كالسفن المبحرة في الليل..
وخلال ذلك تتفتح براعم الياسمين وتغمرنا بعبيرها..
سامر كيف تستطيع أن تنسى أو تتجاهل موسم الياسمين.

الشاب: صحيح كل هذا.. ولكني سأشد على الأشواك المكدسة في قلبي وأذهب ولن أعود.. لأني لم أعد أتحمل أكثر مما تحملت.

المرأة: ماذا تريد أن أفعل لأجلك.. إني أضحي بكل شيء في سبيل ارضائك.

الشاب: لا أدري.. إما أن تجدي طريقة ما، وإما ينتهي كل ما بيننا.

(صوت رنين جرس المنزل)

المرأة: (بفزع) يا الهي.. انه هو؟

الشاب: من؟

المرأة: انه زوجي..

(صوت رنين جرس المنزل مرة أخرى)

الشاب: الآن كيف أتدبر.. ماذا سأفعل وأين سأذهب؟

المرأة: بسرعة اختبىء هنا وراء الحاجز وحذار أن تأتي بأي حركة.

(يرن جرس المنزل مرة ثالثة)

(بصوت عال) اني قادمة لأفتح لك يا عزيزي..

(تلتفت إلى الشاب وتقول)

سأحاول أن أذهب واياه خارج البيت.. تدبر الأمر..
واخرج وراءنا ولا تنسى أن تأتي غدا لنتفاهم..
(يرن جرس المنزل مجددا)
إني قادمة يا حبيبي.. يا الهي كم أنت لجوج وملحاح.
(تحمل بيدها مشطا وتتجه إلى الباب حيث تفتحه..
يدخل الزوج العضو رقم ٤ وعلى وجهه سيماء التوتر
والانفعال).

الزوج عضو ٤: يا لهم من أغبياء.. انهم جبناء ومنافقون..

الزوجة: من هم الأغبياء والجبناء والمنافقون يا عزيزي.. ثم
مالي أراك مضطربا هكذا..

الزوج: بكل تأكيد يا صغيرتي.. بكل تأكيد أنا مضطرب..
ان الأمر خطير جدا.. لقد أثاروني.. وحطموا
أعصابي.. لا بد أن السكر قد ارتفع معي كثيرا..

الزوجة: ألم أقل لك ألف مرة.. يجب أن تبقى هادئا دوما. ترى
ماذا سيكون مصيري بعدك.. وكيف أستطيع العيش
إذا ما فارقتني.

الزوج: كم أنت مخلصة وطيبة..
ولكن لا تخشي شيئا اني قوي كالثور.

الزوجة: (بتهكم ظاهر وسخرية) صحيح انك قوي كالثور..
ولكن ليس ثمة خسارة إذا ما داريت مرض السكر
الذي تئن تحت حوافره اللعينة.
(يجلس الزوج على المقعد في نفس المكان الذي كان
يجلس عليه العشيق).

الزوجة: والآن لم تخبرني من هم الذين أثاروك ولماذا؟

الزوج: أعضاء نادي الرجولة.. لقد انسحبت من النادي..
ولن أتراجع عن قراري مهما بذلوا من جهد لارضائي.
لن أتراجع أبدا.
ذلك لأن الخطايا تلمع كالنجوم على جباههم
المستديرة
والآثام تتلوى كالأفاعي في أعماقهم المتعفنة.
فيارب.. يا اله السماوات والأرض لا تغفر لهم لأنهم
يعلمون ما يفعلون.

الزوجة: خطايا وآثام، وصلوات ضد البشر وأنا لا أفهم عليك..
ألست زوجتك ولماذا لا تخبرني بمتاعبك؟

الزوج: إن العالم كله، وليس أنا وحدي الذي يرزح تحت أعباء
المتاعب العالم يتدهور والبشر يتسابقون إلى الدخول

في مملكة الظلام.

وليس من منارة واحدة.

على شواطىء هذا الجيل المنسحق كالرمل.

الزوجة: (مهددة) إذا لم تخبرني، وبشكل صريح.. بمتاعبك أو متاعب العالم سأغادر هذا البيت على الفور ولن أعود إليه ثانية.

الزوج: سأخبرك كل شيء ولن أخفي عليك أمرا.

ولكن صلي معي.

صلي معي أيتها الصغيرة النقية كالزهرة البرية..

فقد يستجيب الله إلى صلواتنا ويرسل طوفانا آخر ليطهر العالم..

الزوجة: ما لنا ولتطهير العالم

إن الموضوع ليس من اختصاصنا انه يدخل في اختصاص الله وحده يعرف ما الذي يجب أن يفعله.

(بعصبية ظاهرة)

أما ما يجب أن تفعله أنت هو ان تخبرني بكل ما جرى..

الزوج: ولكني أشك بوجود نوح آخر على الأرض في هذا العصر.

الزوجة: (بعصبية ظاهرة أيضا)

عدنا إلى الطوفان ونوح وتطهير العالم.. اني لم أعد أتحمل أكثر مما تحملت.. وسواء وجد نوح أو مليون نوح، وسواء تطهر العالم أو غرق في الجحيم فإني ذاهبة خارج حدود هذا البيت اللعين.

الزوج: مهلا يا صغيرتي الحلوة.

تعالي واجلسي قربي وسأخبرك بكل ما تريدين.. وبعدها سترين كم أنا على حق..

هل تعلمين انك تصبحين كحورية اسطورية حينما تغضبين..

(تعود الزوجة وتجلس على المقعد)

الزوجة: (وهي تتنهد) والآن أنا كلي آذان صاغية.

(يعطس العشيق المختبىء عطسة قوية)

الزوج: ما هذا.. لقد عطس انسان ما في هذا المنزل..

الزوجة: (بارتباك) ما قلت.. لم أسمع شيئا.. من سيعطس وليس في المنزل سوى أنا وأنت..

الزوج: ولكني سمعت عطسة انسان ولا بد من إلقاء نظرة على المكان..

الزوجة: لا شك انك متعب يا حبيبي ما رأيك لو نذهب لمشاهدة أحد الأفلام.. يقولون ان هناك فيلما مسليا (بدلال واغراء) وفي آخر الليل نعود إلى البيت.

(تبتسم بغنج ظاهر) ونحن أكثر صفاء من سماء الصحراء.

الزوج: اني مرهق.. وفي رأسي صداع رهيب.

الزوجة: ألم أقل لك إن ما سمعت كان وهما..

(يعطس العشيق مرة أخرى)

الزوج: كان وهما.. ان ما سمعت كان أمرا واقعا إن في منزلنا رجلا غريبا.

(يقف الرجل.. يذهب إلى درج الكومودينا يحمل مسدسا.. ثم يفتش في الغرفة.. ينظر إلى الخزانة.. وتحت السرير.. ثم ينظر وراء البارافان ويصرخ)

الزوج: قف.. ارفع يديك واخرج من وكرك أيها الجرذ الحقير.

(يخرج العشيق رافعا يديه ويتمتم)

الشاب: هكذا تريد لي أن أكون جرذا حقيرا.. ورطة كيف سنتخلص منها.

الزوجة: يا الهي.. كيف وصلت إلى هنا.. أيها الرجل العجيب.. وكيف لم أشاهدك أو أحس بوجودك كل هذا الوقت الطويل.

الزوج: سأفرغ هذه الرصاصات في رأسه

الزوجة: ما رايك، قبل أن تتسرع وتقضي عليه أن نستجويه ونعرف من هو، وما هو غرضه وكيف ولماذا اخترق حرمة منزلنا؟

الزوج: قل.. تكلم.. هل أنت لص؟

الشاب: أبدا.. لم أكن في حياتي لصا ولن أكون.

الزوج: ما دمت لست كذلك.. اذن ماذا تبغي من دخولك هذا البيت.

الشاب: ان غرضي شريف يا سيدي.

الزوج: آ.. غرضك شريف.. اكشف عما سعيت إليه ولا افرغت رصاص مسدسي في دماغك.

الشاب: لن أتكلم؟

الزوج: اذن ودع هذه الدنيا الجميلة هل تريد أن تشرب سيجارة قبل إعدامك.. خذ هذه واحدة..

الشاب: اني لا أدخن يا سيدي.. لكني أكون شاكرا لك فضلك إذا تكرمت علي بكأس من الويسكي قبل موتي.

الزوج: (بسخرية) ألا تريد مع الويسكي فرقة باليه.

(يخرطش المسدس)

هل تتكلم.. أم اترك المسدس يتكلم؟

الشاب: كما تشاء يا سيدي.. اني لا أبالي.

الزوج: لا تبالي! لا شك انك مجنون أعطني هذا الهاتف.. سأسلمه للشرطة وهم يقومون بالمهمة عني.

الزوجة: (تحمل الهاتف)

ماذا لو تؤجل الاتصال بالشرطة فريما استطعنا أن نعرف منه شيئا.. من يدري فقد يكون هذا الشاب فقيرا أو جائعا ودخل بيتنا ليأخذ ما يسد به رمقه..

هل هذا صحيح أيها الشاب؟

الزوج: هل دخلت المنزل بدافع الجوع؟

الشاب: لا.

الزوج: اذن بدافع الفقر والحاجة؟

الشاب: لا.

الزوج: اذن بدافع السرقة.. لا شك انك لص محترف..

الشاب: لا

الزوج: اذن بأي دافع؟ قل.. انطق بالحقيقة..

الزوجة: لا بد انه يخجل أن يقول بدافع الجوع.. ثق إيها الشاب اننا طيبون.. قل ذلك ولا تخجل.

الشاب: كيف أقول ذلك.. وهو ليس بصحيح.

الزوجة: اذن لماذا اخترقت بيتنا؟
والله لقد حيّرتنا.

الشاب: أريد أن أقول الحقيقة.. ولكني أخجل من ذكرها.

الزوجة: أرأيت؟ انه يخجل أن يقول أن الجوع قد دفعه إلى التسلل إلى بيتنا.

الشاب: ليس ما تقولينه يا سيدتي بصحيح.. لست بحاجة لأن اخترق المنازل في سبيل لقمة العيش ففي محفظتي من المال ما يكفي لإطعام عشرين مشردا لمدة شهرين على الأقل.. على كل حال سأقول الحقيقة كاملة دون زيادة أو نقصان.

الزوجة: تقول الحقيقة؟!

الشاب: نعم.. بكل عريها وعلى المكشوف ولكن ليس بحضورك يا سيدتي.

الزوجة: (بعصبية) هل جننت.. وكيف تجرؤ.

الزوج: اسمحي لنا أن ننفرد بعض الوقت يا حبيبتي. وسأخبرك بكل ما ينطق به.

الشاب: إذا كنت ستخبرها لن أتكلم إذن؟

الزوجة: (بجنون ظاهر) لا تصغ إليه يا عزيزي.. انه مجنون دون ريب.. أو لص محترف.. يجب أن تخبر الشرطة حالا.. أعطني هذا الهاتف فقد تأكد لي انه خطر فقد يغافلك ويقضي علينا.

الشاب: أنا لا أبالي.. ولا يهمني ان أفرغتم مسدسكم في رأسي. أو اتصلتم بالشرطة، أو أطلقتم سراحي ولكني لن أذكر الحقيقة إلا على مزاجي وكما أرغب أنا.. هل فهمتم؟

الزوج: أرجوك يا عزيزتي ان تغادري الغرفة.. اتركينا وحدنا..

الزوجة: لن أغادر الغرفة.. لا تصغ إليه.. انه مجنون.. ماذا تنتظر لتناولني الهاتف. أو لتعطيني المسدس كي أفرغ رصاصاته في صدره.. إذا قتلته أنا لن أدخل السجن لأني أستطيع أن أثبت للجهات المسؤولة اني قتلته دفاعا عن الشرف والنفس معا.

الشاب: سامحك الله.. تقتليني دفاعا عن الشرف.. من أجل هذا سأقول الحقيقة وإلى الجحيم كل ما في رأسي من مشاريع.

الزوجة: انظر إلى عينيه.. ان حراب الشر تنطلق منها حادة غادرة.. اقتله.. ماذا تنتظر حتى تطلق عليه الرصاص.. انه لص أو مجنون أو ربما يكون جاسوسا.. يا الهي سيغمى علي قبل أن ينطق بحرف واحد من حقيقته..

الزوج: استريحي قليلا يا عزيزتي.. لا ترهقي نفسك ودعيني أحقق معه..

الشاب: اغفر لي ذنوبي أيها الرجل الطيب.. اني أحس الآن كأني أحمل على كتفي الهزيلتين كل ما في الكون من آثام وخطايا..

الزوجة: لا تصغ إليه.. انه ثرثار..

آه يا الهي.. أكاد أتمزق..

انقذني إيها الاله..

الشاب: اسمع يا سيدي.. واسمعي أنت يا سيدتي..

منذ أكثر من أسبوعين، وأنا أسند إلى نفسي دورا مسرحيا معينا، ولكني ما أكاد أصعد على خشبة

المسـرح حـتى أنهـار كليـا وأسـقط كـتلة من الخـوف والجبن اني يا سيدي مثلي مثل الرجل الجبان..

الزوجة: وما هي طبيعة ذلك الدور؟

الشاب: اني أسعى لكي أقتل نفسي.

الزوج: ومـا العـلاقـة بين دخـولك بيـتي وبين سـعـيك إلى قـتل نفسك؟

الشاب: حينما عجزت عن قتل نفسي يا سيدي، حينما وقفت وجـها لوجـه أمـام المشنقـة التي نصـبتـهـا لنفـسي في منزلي، سعيت إلى بيتك لكي ألقى مصرعي بـرصاصة من مسدسك.

سامحني أيها الرجل الطيب..

اني لم أقـصـد إيذاءك.. ولكني كلمـا حـاولت أن أعلق رقبتي في الحبل، كنت أرتجف مـثل عـصـفـور صـغـير قادم من سفـر بعيد.. ثم تخور قواي، فاستلقي على الأرض وأبكي كالطفل.

الزوجة: (مستغربا) ولكني لمست فيك شجاعة فائقة في تحدي الموت.. ثم لماذا اختـرت بيـتي بالذات لتـمـوت فـيـه.. أليس عندك ضميـر؟.. وماذا سيحل بي لو صـر عتك

بمسدسي، وماذا سأنال غير السجن (يلتفت إلى زوجته) وابقاء هذه المرأة الصغيرة الحلوة للحرمان والدموع والوحدة القاتلة.

الشاب: أرجوك يا سيدي.. لا تحاول تفسير موقفي تفسيرا سطحيا.. أنا أعرف انه لن يصيبك أي مكروه..

رجل يخترق منزلك سرا.. رجل مجهول لا تعرفه.. يحاول أن يسرق.. ثم يلتقي بصاحب المنزل الذي يحاول القبض عليه.. السارق لكي يتخلص يسحب سكينا جارحة ويشهرها في وجهه (يشهر سكينا فيخاف الزوج) لا تخشى شيئا يا سيدي.. اني لا أريد أن استخدمها.. وصاحب البيت دفاعا عن نفسه وعن زوجته يطلق الرصاص على اللص الجاني وهكذا كما ترى يا سيدي أنت بريء.. انهم يلقون القبض عليك للتحقيق وأخذ افادتك فقط ثم لا يلبثون أن يطلقوا سراحك بعد يومين على أبعد تقدير.. فتعود إلى زوجتك.. أما أنا فأكون قد حققت مرادي.. أكون قد غادرت هذه الحياة اللعينة غير آسف على شيء فيها..

الزوج: (يشعر بالراحة) ولكن.. لم تخبرني لماذا تريد أن تقتل نفسك؟

(الزوجة تشعر بالاطمئنان وتلقي بجسدها على المقعد وهي تتنفس الصعداء)

الشاب: لا تتعب نفسك معي ولا تهتم بمعرفة السبب لكن أرجوك.. أطلق رصاصك علي.. انقذني مما أنا فيه من عذاب.. اني أتوسل إليك ها هو صدري انه مشرع لرصاصك.. اطلق رصاصة واحدة وينتهي الأمر.

الزوج: أيها الشاب لقد مزقت صدري (يضع المسدس جانبا) تعال إلى جانبي وحدثني بمتاعبك ما في أحد على هذه الدنيا إلا وله متاعبه.. خذ أنا مثلا ان متاعبي تفوق حدا التصور، ومع ذلك لم أفكر يوما أن أهرب من الحياة..

انظر إلى هذه السماء الزرقاء التي تتألق بالنجوم.. وتذكر الشمس المشرقة الرائعة.. والزهور والربيع.. ان كل شيء في هذا الكون يشدك إلى التمسك به والتعلق بأهدابه.

الشاب: وما قيمة السماء الزرقاء والنجوم والبحر والشمس

والزهر والربيع ما قيمة الحياة نفسها إذا كنت تراها ولا تستطيع أن تحياها..

وما قيمة أي اطار إذا لم يكن لديك صورة.. أتوسل إليك يا سيدي أن تساعدني.. ان تنقذني من يأسي الأزلي..

الزوج: يا لك من بائس مسكين ان كلامك يدخل إلى قلبي كالخناجر بربك قل لي هل تعاني من أزمة مالية؟

الشاب: أبدا.. اني والحمد لله في أحسن حال..

الزوج: ان الأزمات عادة تأتي اما عن طريق المال.. أو عن طريق النساء فهل تعاني من أزمة عاطفية؟

الشاب: بربك دعني.. لا تذكرني بتفاهتي لا تذكرني بأني مثل قشة في الريح.

مثلي يا سيدي مثل شجرة الزيزفون.

إنها تولد وتنمو وتزهر وتملأ الدنيا عبيرا ذكيا لا أشهى.. ولا أنقى.. ولكنها لا تثمر.

الزوج: ولكن هناك أشجارا أخرى تزهر وتثمر والطبيعة تحلو بأزهار هذه وأثمار تلك.. ونحن نأخذ من الجهتين.

الشاب: هذا صحيح يا سيدي.. غير اني أزهر ولا اثمر.. ولا أفيد شيئا من ثمر الآخرين.. وهذا سر عذابي وسر يأسي الخالد.

الزوج: لقد بدأنا نقترب الآن من شاطىء المشكلة.. الآن قل لي من هي؟ فقد أستطيع اعادة المياه إلى مجاريها..

الشاب: (بتهكم) من هي؟ انها لم تكن؟ ولن تكون.. ألم أقل لك يا سيدي اني أزهر ولا أثمر.

الزوج: آه.. لقد فهمت؟ هل أنت..

الشاب: نعم أنا كذلك..

المرأة: يا للخسارة الفادحة.. ويا لضيعة الشباب.. ويا للشجر الذي يزهر ولا يثمر.. (تبتسم).

الزوج: سلمى حبيبتي.. اعملي لنا قهوة أرجوك..

المرأة: من عيني يا حبيبي (كأنها تكلم نفسها) انه ليس خبيثا.. انه الخبث نفسه..

(تخرج)

الزوج: هل عرضت نفسك على طبيب ما؟

الشاب: لم أترك طبيبا مشهورا أو مغمورا إلا وعرضت عليه حالتي.. ما من أمل يا سيدي.. ما من أمل يا سيدي..

ما من نقطة ضوء على صفحة حياتي البائسة..

ان شبابي مهدور..

وأنا سمكة أسبح في بحيرة حمراء اسمها اليأس..

الزوج: بعد كل هذا هل تسمح لي أن أناديك بيا صديقي؟

الشاب: بل قل يا سيدي الصديق الأوفى والأكثر نعومة من نسائم الربيع..

الزوج: اني على استعداد لأن أسلفك قدر ما تريد من المال في سبيل اعادة الحياة إليك.. فتش عن طبيب أخصائي في أي مكان في هذا العالم وأكتب له.. سافر إليه، وأنا أعطيك كل ما تحتاج إليه من مصاريف..

الشاب: اني اعجز يا سيدي

عن نقل مشاعر الشكر والامتنان، لروحك الانسانية النبيلة..

هذه الروح التي ترتفع بأجنحة الهية قدسية..

فوق دناءة هذا العالم الوضيع المليء بالحقارات والشقاوات.. ولكن.. صدقني يا سيدي.. بل يا صديقي العظيم.. اني لا أحتاج إلى مال لأني سبق أن سافرت وعرضت حالتي على أكثر من طبيب في أكثر

من بلد.. وكلهم وقفوا عاجزين عن إعادة الحياة إليّ..
ان مثلي يا سيدي.. مثل الورقة اليابسة التي تهر
وتسقط لتدوسها الأقدام وتضيع بين التراب إلى
الأبد..
(يتنهد بعمق)

الزوج: هوّن عليك يا صديقي فلا بد أن نجد لك حلا أو
مخرجا ما..

الشاب: نجد حلا!.. وأي حل يا سيدي
آه ليتني كنت تافها حقيرا، أو إنسانا مشوها أو
معتوها..
ليتني كنت أي شيء ولم أكن كما أنا الآن.. أرى الحياة
أمامي ممدودة على طبق من فل، ولكني لا أستطيع
التمتع بها..
(بصوت عال كأن الرعد)
لا بد من الانتحار
لا بد من الرحيل عن هذه الدنيا الفانية..
(تدخل الزوجة تحمل ثلاثة فناجين من القهوة.. تعطي
الشاب أولا ثم زوجها وتجلس معهم).

الزوجة: يا للمسكين.. إن وضعه يفتت الصخر الجلمود.. ويمزق نياط القلوب.. هل تصدق؟ اني أستطيع أن أبكي عليه.. ان ابكي شبابه الضائع المهدور.. (فترة صمت.. وبصوت كأنه البكاء) أيها الشاب لماذا دخلت بيتنا.. لماذا حملت إلينا هذا الهم الكبير؟

الزوج: (يربت على كتف زوجته)

كنت دائما رقيقة وشفافة وحنونة.. من أجل هذا أحببتك وجعلتك سيدة على قلبي.. وملكة متوجة في مملكة حبي.. (فترة صمت) ولكن علينا أن نتعاون جميعا لكي نجد مخرجا لصديقنا البائس (شهقة كبيرة) سأحاول أن أجعله يتمتع بالحياة كما لم يتمتع بها أحد من قبل.

الشاب: انك تزيد في متاعبي بالحديث عن إيجاد الحلول لي..

كفى.. أرجوك.. ودعني انطلق ما دمت لم تعد قادرا على اطلاق الرصاص علي بدافع الشفقة والمحبة.. فقد أجد عندي بعد هذا الموقف، الشجاعة الكافية لالقاء نفسي أمام سيارة مسرعة.. وينتهي الأمر.

الزوج: لا تكن عنيدا وسخيفا في وقت واحد.. قلت لك لا بد من إيجاد حل.. مهما كان الثمن.. والحل عندي.. أساسا.

الزوجة: وهل وجدت الحل المنشود؟

الزوج: نعم.

الزوجة: ماذا تنتظر لتطلعنا عليه..

الزوج: ما رأيك بـ ليلى..

الزوجة: ليلى.. والله انك لعبقري يا زوجي الحبيب.

الشاب: وما أمر ليلى يا سيدي.. ألم أقل لك اني أزهر ولا أثمر.

الرجل: بلى.. ومن أجل ذلك اخترتها بالذات لأنها هي الأخرى تزهر ولا تثمر..

الشاب: هل هي؟

الزوجة: نعم هي كذلك (بخبث)

الشاب: وما فائدتنا معا، وما المعنى الكامن وراء ذلك؟

الزوج: انها فاتنة، ثم انها لا تطالبك بشيء.. ولا تستطيع أن تعطي شيئا لغيرك.. وفوق ذلك انها تملك ثروة لا تأتي عليها النيران..

الشاب: عدنا إلى الحديث عن الثروة..

ايه.. مـاذا ينفع الانسـان لو ربح العـالم كله وخسـر نفسه؟!

الزوج: أقصد يا صديقي.. ان ليلى مثلك تماما لا تطالبك بشيء، لأنها لا تستطيع أن تأخذ منك شيئا.. ولكنكما تظهران أمام الناس زوجين كاملين ولكنكما عاقران.

الزوجة: انها والحق لفكرة جهنمية مغرية.. سنعمل على تحقيقها.. سنزوجهما قريبا وسنفسح لهما في المجال للتعرف على أصدقائنا ومعارفنا.. وبذلك نصبح كأننا أسرة واحدة. نقضي معظم أوقاتنا معا.. وبهذا تستطيع أيها الشاب أن تنسى مشكلتك.. أليس كذلك ومن ثم تعيش كالآخرين في سعادة الأزواج الحقيقيين..

الزوج: ومن أجلك يا صديقي منذ هذه اللحظة أتراجع عن قراري بالانسحاب من نادي الرجولة.. وسأعمل على قبولك عضوا عاملا في نادينا العظيم.. ان نادينا ليس مثله بين النوادي، انه يضم نخبة مختارة من الرجال الأشداء.. سوف تتعرف عليهم وتسر كثيرا بهم.. ما رأيك هل أنت موافق؟

الشاب: على ماذا؟

الزوجة: الزواج من ليلى..

الزوج: (يقاطعها) والانتساب إلى نادي الرجولة.. واعتبارنا من الآن أصدقاءك..

الزوجة: طبعا انه يوافق بحرارة.

الشاب: والله.. لا أدري ماذا أقول؟

الزوج: لا داعي لأن تقول شيئا.. غدا أو بعد غد سيتم كل شيء..

الزوجة: وستكون مسرورا جدا..

الشاب: أشكركم من أعماقي لكل هذا الاهتمام بي وبمشكلتي.. والآن اسمحوا لي أن أعود
إلى منزلي طابت ليلتكم وإلى اللقاء غدا.

(ستار)

الفصل الثالث

الزمن مساء.. صالون أنيق.. المرأة والشاب اللذان رأيناهما في الفصل الثاني الشاب يجلس على مقعد مقابل تماما لمقعد المرأة.. الشاب يطرق برأسه إلى الأرض.. بين أصابعه سيجارة..

المرأة تتململ.. تنظر إلى الشاب.

المرأة: والآن قل لي.. على ما استقر رأيك؟

الشاب: لم يستقر على أمر..

المرأة: ما رأيك في الحل الذي اقترحه؟

الشاب: ما تقولين أنت؟

المرأة: اعتقد أنه حل غير موفق بالنسبة لنا.

الشاب: لماذا؟

المرأة: لأنه سيكشفنا، ويتركنا عراة أمام عين الشمس والناس.

الشاب: (فترة صمت) وماذا بعد؟

المرأة: في يدك الحل.

الشاب: ماذا تقصدين؟

المرأة: أنت تعلم تماما ما أقصد، أو بالأصح ما نقصد أنا وأنت..

الشاب: اني لا أفهم ما ترمين إليه..

المرأة: (بغضب ظاهر) لا تفهم.. أم تتعامى عمدا.

الشاب: أقول لك الصدق.. لم أدرك قصدك؟

المرأة: ليس قصدي وحدي.. بل قصدنا نحن..

الشاب: أرجوك.. تكلمي بوضوح.. ان الوقت يمر، وليس أمامنا متسع للتفكير في المعميات والطلاسم..

المرأة: يبدو أنك بالفعل تتجاهل واقعنا الباكي الحزين.. ومع ذلك سأتكلم بكل وضوح كما ترغب.

الشاب: هذا ما أريده تماما..

المرأة: سامر.. ألسنا متحابين.

الشاب: نعم..

المرأة: وما نتيجة هذا الحب؟

الشاب: سؤال سخيف.. قولي ما نتيجة أي شيء في هذه الدنيا.

المرأة: دع الفلسفة جانبا.. ولنتكلم ببساطة..

الشاب: اني أتكلم ببساطة متناهية أليس السقوط نهاية كل شيء.

المرأة: لا أحب أن أدخل معك في جدال عقيم حول السقوط والصعود. أنا أفهم اننا متحابان وان نهاية كل حب هو الزواج.

الشاب: وماذا بعد؟

المرأة: السقوط، كما تعبر أنت في عالم الزواج.

الشاب: بل في عالم الحفر المعتمة.. ان كل شيء ينتهي إلى الحفر.. كما تنتهي الأنهار في البحار.

النجمة تتألق في القمة الزرقاء البعيدة ثم تتحجر يوما وتسقط

الشجرة تنمو وتزهر وتعطي ثمرا ثم تيبس وتسقط..

الانسان يولد ويكبر ويتعفن يحب ويتزوج أو لا يتزوج ثم يسقط.

النسر يحلق فوق القمم السابحة في الزرقة البعيدة.. ثم فجأة يسقط.

السقوط.. السقوط هو نهاية العالم..

المرأة: اسمع يا سامر..

سواء كان السقوط نهاية العالم، أم كانت نهايته التربع على أعلى قمة فيه.. هذا لا يهمني ولن يهمني في يوم من الأيام.. إن ما يهمني هو اننا - انا وأنت - نقف على حافة مشكلة خطيرة.. فإما أن نسقط في بحر الفضائح.. وإما أن نتابع الرحلة في هذا العالم دون فضائح..

الشاب: طبعا نحن نتابع الرحلة.. ولكن ماذا بعد؟

المرأة: (بغضب حقيقي ظاهر)

وماذا بعد.. بعد.. بعد..

دعنا نبحث في الآن وليس فيما بعد..

الشاب: أقول لك الصدق أنا لا أؤمن بجدوى النهاية..

المرأة: ولماذا كنت تؤمن بها يوم قدمت إليّ نفسك؟

الشاب: لم أكن أؤمن بها.

المرأة: انك تجانب الحقيقة.. والحقيقة انك كنت تؤمن بها كما يؤمن القط بفأر أمامه..

الشاب: لم أكن كذلك في يوم من الأيام.. انك تفسرين الأمور على هواك.

المرأة: بل أنت الذي يلبس لكل موقف لبوسه.. أنت الذي تتدعي الفلسفة، وتتدعي العبثية ليتهرب من وعوده..

ان الذي لا يؤمن بجدوى النهاية لا يرتمي على الأقدام..

ولا يبكي كطفل فقد لعبته أمام أي امرأة.. ولا يكذب..

ولا يعد بالزواج.. بل أكثر من ذلك لا يتمسح ككلب في سبيل أي غرض.. لأن الايمان بالعدم إيمان بخلو الحياة من الأهداف..

الشاب: سلمى.. انك تهينني بشكل مرعب..

المرأة: أنا لا أهينك، إنما أضعك في الغربال.. إما أن تسقط كزؤانة حقيرة.. أو ان تبقى كحبة قمح ناضجة.. بل كسنبلة أصيلة..

الشاب: أنت وحدك تعرفين انني لست سنبلة فحسب بل بيدر من القمح في موسم العطاء.

المرأة: ليس أمامنا مجال للخيار.. اما أن تكون صادقا وتتزوجني.. وإما أن تكون..

(يرن جرس الهاتف)

تتجه إليه المرأة وتمسك السماعة..

نعم.. أنا زوجته.. انه ليس موجودا.. انه في مهمة.. لا أعرف متى يعود.. بكل تأكيد سيعود إلى البيت.. أهلا وسهلا.. مع السلامة.

الشاب: من المتكلم؟

المرأة: رئيس نادي الرجولة..

انه سيزورنا بعد قليل.

الشاب: اذن سينتهي نقاشنا الآن ونتابعه غدا.

المرأة: كلا.. أمامنا وقت طويل قبل أن يحضروا.. وخلال هذا الوقت سنقرر إذا كنا سنلتقي إلى الأبد أو لن نلتقي أبدا..

الشاب: ماذا تقصدين بهذا الكلام؟

المرأة: (بعصبية) أقصد دائما.. أقصد أنا.. ألا تقصد شيئا أنت..

الشاب: بلى.. أن نستمر كالسابق.

المرأة: مستحيل.. مستحيل.

الشاب: لماذا كل هذا الاصرار.. وكل هذا العناد.. ألم توافقي بحرارة أن أتزوج من شقيقة زوجك ليلة البارحة؟

المرأة: لم أوافق إلا للتخلص من المأزق الحرج الذي كنا فيه..

الشاب: وماذا لو وافقت ليلى؟

المرأة: انني أعرفها كما أعرف نفسي.. انها لن توافق تحت أي ظرف..

الشاب: وما أدراك فقد يستطيع اقناعها؟

المرأة: لا أظن (فترة صمت يقطعها رنين جرس الهاتف) انه ما زال موجودا.. طبعا لن أتركه يذهب.. نعم.. اتصل بك رئيس نادي الرجولة وسوف يعقدون

اجتماعهم عندنا في المنزل هذا المساء.. هكذا قال الرئيس مع السلامة.

الشاب: متى سيعود؟

المرأة: انه في الطريق..

الشاب: ألم يخبرك شيئا عن موقف ليلى من عرض الزواج؟

المرأة: كلا.. ثم ماذا يهمنا ذلك؟

الشاب: كيف لا يهمنا أو لا يعنينا والأمر يتعلق بنا؟

المرأة: اطمئن.. قلت لك انها لن توافق.

الشاب: وماذا لو وافقت.. إن مستقبلي ينهار حينذاك كبيت على الرمل..

المرأة: كفى دجلا ونفاقا.. كفى لفا ودورانا.. دعنا نرجع إلى المستقبل الحقيقي.. مستقبل حبنا وعلاقتنا السرية..

الشاب: اسمعي يا سلمى.. انني أحبك أكثر من أي شيء في هذا العالم.. أنت قيثاري الذي أبدع عليه ألحاني والفيء الذي يغمرني بالأمن والسلام..
والينبوع الذي يورق بمائه العذب أيامي.. وها نحن زهرتان من حب تزينان صدر الوجود.. فماذا تريدين أكثر من هذا؟

المرأة: لا أريد أكثر من اختيار المزهرية التي يجب أن توضع فيها هاتان الزهرتان وهذه المزهرية هي الزواج بعقد مكتوب.

الشاب: وحريتي..

المرأة: انها لن تكون مقابل عبوديتي.

الشاب: إذن..

المرأة: اذن عليك أن تختار بين نعم ولا..

رنين جرس المنزل

المرأة تفتح الباب.. يطل الزوج.

الزوج: (وهو يدخل) لم يخطر ببالي أبدا ان ليلى قد أصبحت فيلسوفة تصوري يا عزيزي.

المرأة: (تقاطعه) ان الجميع أصبحوا فلاسفة هذه الأيام.

الشاب: النهر يجري تحت فراشه وهو غير نائم.. ولا يراه..

الزوج: تصوري يا عزيزتي ماذا كان جوابها.

الشاب: ماذا قالت؟

الزوج: انها تسمح أن يبصق عليها جميع الناس.. ولكنها لن تسمح أو توافق أبدا ان تبصق هي على نفسها..

الشاب: في الواقع يا سيدي.. ان شقيقتك كانت أكثر وعيا وادراكا مني، لذلك كان موقفها منسجما تماما مع تكوينها أما أنا فقد حركتني العاطفة فقبلت الموافقة على أمر لا أجني منه سوى السراب والوهم..

اعذرني يا سيدي الطيب انا لا استحق ما تبذله من اجلي.. فاسمح لي أن أقدم لك، كل ما تستطيع ان تحمله النفس الانسانية من تقدير وولاء ومحبة.. وان اغادركم حاملاً معي اطيب الذكريات وابهاها..

الزوج: ولكن الا ترغب في الانتساب الى نادينا العظيم..

الشاب: ان ناديكم، ياسيدي ليس لأمثالي..

انه للرجال الاشداء ذوي الاكتاف العريضة.. وانا ورقة خريفية ذابلة لا خير فيها ولا نفع..

الزوج: مهما يكن.. فاني اضع كل نفوذي وسلطتي لقبولك.. عضوا ولو فخريا.. اذا شئت.

الشاب: اقول لك الصدق ياسيدي من الآن وصاعدا ساعتزل الحياة العامة بعيدا عن النوادي والمجتمعات والصالونات واقضي.. ماتبقى من هذه السنين العقيمة بهواية ما؟

الزوج: اذن لن تعود الى مثل محاولتك السخيفة السابقة بتعليق رقبتك في الحبل.

الشاب: على الاقل اخرج الآن من هنا وقد ابعدت عن ذهني تلك الفكرة.

الزوج: هذا لا يكفي.. اريد وعدا ملتزما بأن لن تفعل ذلك ابداً.

الشاب: اني أعدك يا سيدي.. وعدا صادقا وملتزما.

الزوج: الآن اطمأن قلبي، وسكنت نفسي... الآن أشعر كأن حجرا كبيرا قد رفع عن صدري..

المرأة: ماذا يهم.. ان صدرك العريض يستطيع ان يحمل كل احجار العالم.

الزوج: سلمى ما الذي تقولينه؟

المرأة: لاشيء.. لكني ألست انت واحدا من جبابرة نادي الرجولة.. على كل حال.. هل انتهيتما؟

الشاب: نعم.. وقد آن أن اغادركم.. وداعاً.. والى اللقاء. (يخرج)

الزوج: سلمى لماذا لم تودعي صديقنا؟

المرأة: ما لنا وله.. لقد ذهب في حال سبيله.. ومن جهتنا ادينا واجبنا وانتهى الامر.

الزوج: مهما يكن كان من الواجب ان تودعيه..

المرأة: دعنا منه.. فقد أخذ الكثير من وقتنا واهتمامنا.. والآن ارجوك ان تصغي الي جيدا «تطرق رأسها الى الارض» كما ارجوك ان تبعد عنك كل هموم ومتاعب الآخرين.

لأن الحديث الذي سأبدؤه الآن يتعلق بنا وحدنا..

الزوج: الا يمكن تأجيل الحديث الى ما بعد زيارة اعضاء النادي لنا؟

المرأة: كلا.. اني لم اعد قادرة على السكوت.

الزوج: اذن لابأس.. ليكن الحديث الآن.

المرأة: في الواقع لا اعلم من أين أبدأ.. ولكن آمل ان تكون كلماتي واضحة لك، وان تدرك موقفي، وتأخذه ببساطة وعقلانية وهدوء..

الزوج: اطلبي ما تشائين، ولا تترددي اني وأموالي كلها تحت تصرفك..

المرأة: ان الموضـوع لا يتـعلق بمال، انه مـوقـف، كـان علي ان اقفـه قبل خـمسـة أعوام.. ولكنـي اقول لك لقـد كنت خـلال تلك المدة بلا مـوقف.. كنت أفـعى ناعـمـة حين تمسني.. ولكني كنت في الوقت نفسه اسكب السم في الكأس، التي اسـقـيك اياها.. اجل يا سـيـدي كنت كـاذبة.. كـذبت عليك.. وكـذبت على نفـسـي.. وكنت غادرة فـغدرت بك، وغدرت نفسي.. ولكن صدقني، ان السـم الذي سـقـيـتك اياه لم يمزق سـوى أحـشـائي فاعذرني ياسيدي..

الزوج: سلمى.. ان ما تصـرحين به لرهيب وقاتل.

المرأة: اجل انه رهيب ومـرعب وقـاتل.. انا اعلم ذلك.. وأعلم الآن أكثـر مـن أي وقت مـضى.. ان الخنجـر الذي كنت اوجـهـه الى صـدرك لم ينغـرز إلا فـي قلبي.. فـاصـفح عني ياسيدي ودعني اذهب.

الزوج: (وهو مذهول) إلى أين تذهبين؟

الزوجة: لم أعـد اتحـمل البقـاء مـعك.. ولم أعـد استطيع النظر الى وجــهـك الذي يفـيـض نورا وصـــفـــاء.. أنا لا اسـتـحـقك.. وبقـائي الى جـانبك بعـد ان اسـتـيـقظت

اعماقي على الحقيقة، عقاب كبير لي.. عقاب لم أخلق لتقبله وتحمله.. ان النفوس الكبيرة هي وحدها التي تتطهر بالعقاب والألم.. اما انا فلست سوى امرأة تحمل نفسا كحبة رمل..

الزوج: (ينظر إليها بذهول)

(يكاد يقتله الحزن)

المرأة: لا تنظر إليّ هكذا يا سيدي.. أتوسل إليك ألا تنظر إلي، لأني أرى آلاف الأكف تخرج من عينيك لتصفعني على وجهي، كما أرى مئات العربات التي تقودها الجياد الوحشية تتسابق لتسحقني بحوافرها الصلبة..

أتوسل إليك، لا تنظر إلى وجهي يا سيدي..

لقد كنت جبانة، وها أنذا أحس بنذالتي وخستي وتفاهتي.. فابعد ناظريك عني..

ابعد هذه الاكف ذات الأصابع الحجرية، وهذه الجياد التي تمر على صدري..

الزوج: سلمى.. ما بالك تهذين؟ هل أنت مريضة؟

المرأة: أبدا.. إني لا أهذي.. إنما أقول الحقيقة..
انـي أتألم وأتمـزق..
اني أحس كـأن شـيـئـا غـريبـا يسـري في دمـي.. يكاد يفجّرني..
اطردني من دنيـاك.. اطو جنـاحيك لكي أبقى وحيـدة.. عـارية أمـام الشـمس.. اني لا أسـتـحق جنـاحيك.. لا أسـتـحق أن أبقى حيث تكون أنت، ولا ان أجلس تحت سقف يظلك..

الزوج: بعـد هذا الذي اسـمع.. لـم يعـد أمـامي خـيـار.. اني أحـررك منذ هذه اللحظة.. أحـررك من عـبـوديتك لـرغباتك وأطلقك على الطريق التي اخترتها أنت..
ان العالم ينتظر خـلاصـا آخـر.. ينتظر نوحـا وطوفـانا جـديدا.. أمـا أنا فلم أعـد أنتظر أحدا لا نوحـا، ولا طوفانا، ولا خلاصا.. جسر الخلاص ينهار.
اني أسمع صوت الخرائب والانهدامات في قلبي..
اذهبي بسـلام.. فـقـد تجـدين لك مكانا فـي أي سـفـينة تطفو على سطح المياه..
(يـرن جــرس المنـزل.. يدخل رئيس وأعــضــاء نـادي

الرجولة.. يجلس بعضهم على الكراسي الموجودة في الغرفة.. بينما يقف آخرون.. تنسحب المرأة إلى غرفتها.. فيما يبقى الزوج في مكانه).

الرئيس: ها نحن جئنا إليك أيها الزميل الكريم وفي قلوبنا رفوف من العصافير الملونة الريش..

عصافير لا تعرف غير التغريد والغناء.. وهي لا تغرد إلا في حضرتك وعلى أغصانك الباسقة..

فباسمنا، وباسم هذه المخلوقات الصغيرة الجميلة.. نطلب إليك التراجع عن قرار انسحابك من النادي، والعودة إليه، ان نادينا، لا معنى له إلا بوجودك..

الزوج عضو ٤ : اني أتراجع عن ذلك القرار

(تصفيق وهتاف)

اني أتراجع وأعود إليكم.. لا لأنكم طلبتم مني العودة.. إنما أعود إليكم الآن بلا سيف وبلا رمح.. بلا آمال.. وبلا أجنحة.. أعود إليكم نسرا مليئا بالجراح.. بقلب هرم كالخطيئة.. يخفق بالمرارة والهزيمة..

الرئيس: يا الهي.. ماذا أسمع..

عضو ١ : يجب أن نجد حلا.. يجب أن نبحث عن مخرج..

عضو آخر: قلعة القلاع تنهار..

جسر الخلاص يتهدم..

الزوج: ان ما تسمعه سيدي الرئيس أمرا واقعا، انه حقيقة مؤكدة لقد ذهبت سلمى مع الريح والمطر.. رحلت في زورق الأثم المروّس.. إلى مرفأ تفوح منه رائحة الوحل والتعاسة..

تاركة خلفها عينا وحشية بلا أهداب..

تحدّق بي في كل حين..

وتخزّ كالمخرز في قلبي..

أيتها المخارز اللعينة..

أيتها المخارز الحادة واللامعة المزروعة على جبهتي إلى الأبد..

اني أرفع أمامك راية اليأس وانشر بيارق القحط والجدب..

عضو آخر: هذا استسلام فظيع.. اني أحتج على هذا الموقف الخطير

الرئيس: سأجل اعتراضك هذا.. ولكن يبدو لي..

ان الشراع تحركه الرياح عكس الاتجاه الذي نريد..

والمشاكل تعدو وراءنا كالخيول البرية..

اننا نعدو.. وهي تعدو وراءنا وكلما انتهينا من مشكلة.. وقعنا في مشكلة أخرى، ولهذا أعلن الآن بكل أسف ولوعة حل نادي الرجولة كمخرج وحيد من أزماتنا الخانقة.

(ضجيج وصخب من قبل الأعضاء)

عضو ١: يجب أن نبحث عن مخرج جديد فقد نجد حلا مرضيا.

عضو٣: وقد لا نجد أي حل..

الرئيس: لقد عثرنا على الحل وانتهى الأمر..

فما رأي مضيفنا هذه الليلة..

الزوج: فيما مضى كانت لي آراء وحلول..

كانت لي أحلام وآمال كبار.. أما الآن.. فاليأس يغرز أظافره في قلبي..

وأنا أمضي في طريقي

أحمل على كتفي المرهقين..

أثقال سني القحط والجفاف

ولكني تعلمت درسا سأحفره

على جبهة العالم..

قلعة القلاع تنهار

جسر الخلاص يتهدم

الصيف والشتاء يعيشان

منذ هذه اللحظة تحت سقف واحد..

الرئيس: أيتها الأفكار المجهولة

أيتها الطيور ذات الأجنحة الملونة

أين كنت قبل أن نؤسس نادينا البائس الحزين..

(ستار)

من الشهادات المرموقة في أبجدية الشاعر

- كيف لا نحبه هذا العصفور الأزرق؟ كيف لا نطير فرحاً بخلاّق في هذا الوزن.. الياس الفاضل الشاعر النضر القوي الطريف الذي وفد إلينا كتابه من على ضفاف بردى ليجد في لبنان قلباً يحبه، وسع الحب، ويعجب به من دون تحفظ.

سعيد عقل

- الياس الفاضل شاعر معرفة جعل الحياة تحت قلمه الساحر اشبه باسطورة.

سعيد عقل

- الياس الفاضل من فئة الذين جمحت بهم أحاسيسهم العنيفة، فخرجوا بشعرهم خروجاً لا محيد عنه، على الأشكال التقليدية، لعلهم يحققون للشعر اسلوباً تتجدد به اللغة، فيغدو الشعر وسيلة فعالة للتعبير عن النفس المعاصرة. وهذه النفس- ما أحزنها، وما آلم وحشتها! الفراغ والمقاهي، وعربات الآخرين المذهبة، تحيط بها كحراس طغاة. ولكنها تظفر بحريتها ظفراً لا شك فيه عن طريق هذا القول المتمرد. فالكلمة نجاتها، والكلمة سلاحها ازاء كل ما يهددها.

جبرا ابراهيم جبرا.

- الياس الفاضل شاعر احترف على ما تقول فيروز الحـزن والانتظـار وثمة كلمة أخرى تضاف إلـى هـذا القول: هـي أن الشـاعر احترف الحب ايضاً والغربة والشوق إنه مـن جيـل شـعراء الرفض والثـورة والصراخ.

الياس مسوح

- ولا نحس بسريان العاطفة وقدرة الخيال على الابداع إلا في مثل هـذا الجو المسحور من قصيدة حنين للشاعر الياس الفاضل.

حسين علي صعب

- الياس الفاضل يبدو في شعره كمالك الحزين الطير الذي يحني هامتـه لضربات القدر ولكن مـا ان تقسـو عليـه الظـروف حتـى تـراه يحلـق وصوته أنين العصر وضربة السوط الوحيدة على العنق الذي يحمـل تعب المتعبين وتأتي أناشيده فيها أصالـة الفنـان وصنعـة الـذي يخلـق الكلمة من صدره وأعصابه.

ياسين رفاعية.

- لحظات غنية سرقتها من عمر الزمن وعشت مع كتابك (تحت سـماء آسيا)...

كنت استشف روحك المتماوجـة مـع العـالم الصـاخب مـن خـلال الكلمـة العذبـة والمثقلـة بالمعانـاة... وسـافرت مـع رؤيـاك للأشـياء والآخريـن

وتمنيت لـو كـان الانسـان المسؤول هـو الشـاعر لعمّت الأرض المحبـة والسلام.

الآن أفتح نوافذ نفسي لكي اتنسم عبير ارضك الشـعرية واشـرع سـفينتي من جديد لتحمل لي من أخبارك الفعالة من الغنى والصداقة.

لقد اكتشفت أيها الأخ بأن وجودنا يقاس احياناً بما نعطـي... والقلـق فـي هذا الوجود اهم الحوافز للعطاء في هذه الدراما البشرية.

من نـافذة انتظاري على ساحل المعرفة أبث اليـك شـكري وامتنـاني لهـذا العطـاء.

ناديا نصـار

- عشت مع أمسية اوراقك وأنا لا أستغرب كونه ابداعاً شعرياً كبيراً... لشاعر مجيد.. حيث تنفرد الصـورة وتصـب خصوصيتها فـي قلـب الحضور الجميل لشخصية الزمـان والمكـان التـي تتمـرغ فـي دمـاء قصائدك المتفجرة نغماً وعزفاً.. وجه الاستغراب الوحيد هـو: كيـف تبعدنا عن ابداعاتك المتميزة جداً طـوال هـذه الفترة... كيـف تحـرم المتلقى من هذا الانتاج "السوبر" والخاص لشاعرية مبدع كبير يـختـار البعاد في ظل حشد صاخب من النشـاز يسـد عيـن هـذا المتلقـى فيمـا يسمى مشهد كوابيس الشعر الآنية

أحمد المنشاوي

• أوراقك الجريحة، هي أوراقي، أوراق الرفاق الذين يبيعون الحياة من أجل جفن منهوك، وميسة قد أهيف. وما أعذب الحياة أن تكون في فرح دائم. فأنت حقاً ذلك الإنسان الذي يرحل بقلب الشاعر عبر المجهول ليحظى بالنار المقدسة.

اسماعيل عامود

• الياس الفاضل واحد من المعذبين في الشعر، لأنه واحد من القادرين على تحويل العذاب إلى عطاء من الفن والخير والحق والجمال.

والياس الفاضل في أشعاره المبتكرة أداء وصورة وحساً جمالياً وذوقياً يبدو أصيلاً متمكناً وقادراً على خلق الصورة الحية النابضة والحس والحركة والتمرد كما يبدو متميزاً من غيره من الشعراء

عبدالله الشيتي

• لا أريد أن أتحدث عن تجربة الياس الفاضل الشعرية من ناحية الاسلوب والصياغة واستعمال الكلمة وانما من الناحية الذهنية والنفسية التي فاضت منها التجربة وكيف يفهم الانسان والزمن والموت والحب. لقد رسم لنا الياس الفاضل الملامح النفسية لإنسان القرن العشرين وليس فقط لأبناء اسيا.

كنعان فهد

• الياس الفاضل شاعر يعيش الكلمة وتعيشه الكلمة. أنيق الحرف من غير ضعف. صخاب الجملة من غير عنف، كل شيء عنده إذا مرّ على الحس والقلب عاد شعراً.

(م...)

• العالم والكون والوجود، لها كلها ألوان خاصة عند الياس الفاضل، ولها روائح خاصة وسمات تختلف عن الواقع لأنها مرتبطة بالحالة النفسية المتولدة من التصور العقلي، ذلك التصور المرتبط بالمجردات لا المحسوسات. فالشمس ذات ألوان متبدلة والقمر والحبيبة وهذا الاحساس الأخير عند الشاعر هو الذي يقدم لك الحياة على غير ما خبرتها ويعرضها مبرقعة، وضبابية بلغة مأساوية وتصورات حزينة

وليد مدفعي

• إن التغلغل في عالم الياس الفاضل إنما هو مغامرة فذة ممتعة تتناغم وتتناسق مكونة ما يشبه قارة ذات نظام مقاييسه مأخوذة بخيوط لا تدخل التعاريف السحيقة في تركيبها إنما ترتفع وتنخفض لتصنع لك اللوحة الجديدة كل الجدة من خطوطها المتحررة وكأنها معاكسة لكل المقاييس المقننة على أوزان صح أن تبلى ليخرج الشعر من جلدها حراً حميماً

طارق الياس

- أول مـا يتصـف بـه دقـة الإحسـاس والبراعـة فـي التصـور والخيـال المجنّح ولعل الياس الفاضل يكون فاتحـة خير علـى الشـعر الجديـث فخياله لا يكاد يلحقه خيال وبيانه على كثير من الجودة والإتقان.

عيسى فتوح

الفهرس

الأعمال الكاملة

الياس الفاضل

كيف لانحبه هذا العصفور الأزرق؟ كيف لا نطير فرحاً بخلّاق في هذا الوزن.. الياس الفاضل الشاعر النضر القوي الطريف الذي وفد إلينا كتابه من على ضفاف بردى ليجد في لبنان قلباً يحبهُ وسع الحب، ويعجب به من دون تحفظ.

سعيد عقل

الياس الفاضل شاعر معرفة جعل الحياة تحت قلمه الساحر أشبه بأسطورة.

سعيد عقل

الياس الفاضل من فئة الذين جمحت بهم أحاسيسهم العنيفة، فخرجوا بشعرهم خروجاً لا محيد عنه، على الأشكال التقليدية، لعلهم يحققون للشعر أسلوباً تتجدد به اللغة، فيغدو الشعر وسيلة فعالة للتعبير عن النفس المعاصرة. وهذه النفس ـ ما أحزنها، وما آلم وحشتها! الفراغ والمقاهي، وعربات الآخرين المذهبة، تحيط به كحراس طغاة. ولكنها تظفر بحريتها ظفراً لاشك فيه عن طريق هذا القول المتمرد. فالكلمة نجاتها، والكلمة سلاحها إزاء كل ما يهددها.

جبرا ابراهيم جبرا

الياس الفاضل شاعر احترف على ما تقول فيروز الحزن والانتظار وثمة كلمة أخرى تضاف إلى هذا القول: هي أن الشاعر احترف الحب أيضاً والغربة والشوق. إنه من جيل شعراء الرفض والثورة والصراخ.

الياس مسوح

الياس الفاضل
الأعمال الكاملة